نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة

تأليف

القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي

المتوفى سنة ٣٨٤ هـ

الجزء الثامن

تحقيق

عبود الشالجي

المحامي

دار صادر

بيروت

الطبعة الاولى ، بيروت 1971
الطبعة الثانية ، بيروت 1995

دار صادر Since 1863 تأسست

دار صادر للطباعة والنشر ، ص.ب. ١٠ بيروت - لبنان
هاتف وفاكس Tel & Fax 961-4-920978 / 928271 / 922714

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة

٨

مقدمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين

أقدّم لقراء العربية الجزء الثامن من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي أبي علي المحسّن بن عليّ التنوخي ، وكان هذا الجزء من جملة المخطوطات التي اشتملت عليها مكتبة المتحف البريطاني بلندن برقم ٩٥٨٦ شرقي ، والمخطوطة تشتمل على ١١٠ ورقة ، في كل ورقة صفحتان ، في كل صفحة ١٥ سطراً ، خطّها جيد قديم ، قليلة التصحيف ، مخرومة جزء من المقدمة ، وقد ورد في آخر الكتاب : تم الجزء الثامن ، ويتلوه التاسع ، والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين [1] ، وقد عثر المستشرق المعروف د . س . مرجليوث على هذه النسخة في مكتبة المتحف البريطاني ، فنقل عنها بخطه نسخة ترجمها إلى اللغة الإنكليزية ، ونشر الترجمة في مجلة تصدر في حيدر آباد الدكن اسمها The Islamic Review ثم بعث بالنسخة العربية إلى المجمع العلمي العربي بدمشق ، فطبعها المجمع في السنة ١٩٣٠ في مجلته ، ثم نشرها في كتاب على حدة .

---

١ راجع في صدر الجزء الأول من هذا الكتاب صورة الصفحة الأولى والصفحة الأخيرة من هذه المخطوطة .

ولما عزمت على تحقيق هذا الكتاب ، حصلت من مكتبة المتحف البريطاني على فلم لمخطوطة هذا الجزء ،وكان عليها اعتمادي في القراءة والتحقيق .

أخرج القاضي التنوخي كتابه نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة في أحد عشر مجلداً[1] طبع منها ثلاثة[2] ، ولما اشتغلت بتحقيق هذا الكتاب عثرت على جزء آخر ، فأصبحت أربعة[3] ، وجمعت أربعة أخرى[4] من ثنايا الكتب ، ممّا نقله أصحابها عن التنوخي ونشواره ، فأصبح المجموع ثمانية ، تمت ، كاملة التحقيق ، بنشر هذا الجزء من الكتاب .

ولا أريد أن أتعرّض في هذه المقدمة ، لذكر مقدار ما بذلت من جهد في سبيل إصدار هذه الأجزاء الثمانية من الكتاب ، فقد سبق لي أن أوردت ذلك في مقدمة الجزء الأول ، وكررته في أكثر من موضع من مقدمات الأجزاء الأخرى .

وبعد : فهذا جناي وخياره فيه .

وأسأل الله سبحانه وتعالى ، أن يوفقنا لأرشد الأمور ، وخيرها بدأً وخاتمة ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

بحمدون في ٢٤ آب ١٩٧٣

عبود الشالجي

المحامي

---

١ معجم الأدباء ٦/٢٥١ وفرج المهموم لابن طاووس ١٥٤ .

٢ طبع الجزء الأول في السنة ١٩٢١ بمصر ، وطبع الجزء الثامن في السنة ١٩٣٠ بدمشق ، ونشر جزء ثالث بدمشق في السنة ١٩٣٢ عن أصله الموجود في مكتبة المرحوم العلامة أحمد تيمور باعتباره الجزء الثاني ، وليس به ، وإنما هو أحد أجزاء النشوار ، وقد حققته ونشرته باعتباره جزءاً ثالثاً .

٣ هي الأجزاء الأول والثاني والثالث والثامن .

٤ هي الأجزاء الرابع والخامس والسادس والسابع .

الباقي من مقدمة المؤلف

.... أكثرها تحوّلاً ، وتغيّراً ، العوائد في أخلاق أكثر العالم ، ومعاملاتهم ، ورسومهم ، فتلقطت هذا الفن ، وأثبتّه ، وخلطت به ، ما حدث ، ويحدث ، من مليح شعر ، لمن ضمّنا وإياه دهر ، ممّن لم يخلق شعره بالاشتهار ، ولا بشمه الناس بالاستكثار ، ومن رسالة غريبة ، أو حكمة جديدة ، أو ما يغلب على ظنّي من أشباه ذلك — وإن قدم — إلاّ أنّه لم يدوّن ، أو منام طريف ، أو حادث عجيب ، أو رسم غريب ، أو مستنبط مفيد قريب ، ليعرف الفرق بين الأمرين ، والتباين في الحالين ، ويهشّ لذلك ، من قد فرغ من الآداب ، وسبر أكثر الافهام والحلوم ، وقرم إلى معرفة أسرار الأمور ، والعادة في الجمهور ، والتدبيرات والاختيارات ، والملح في جميع الحالات ، التي لا تكشفها له الفكر ، إلاّ في الطويل من العمر ، وإذا وقف عليها من هاهنا ، قربت من يديه ، وخفّ تناولها عليه ، ولم أجعل ذلك مرتّباً على أبواب ، لعلل وأسباب ، قد ذكرتها [١] فيما قبل هذا ، وأوردت فيه مجمل هذا القول ، وشرحت في رسالة كلّ جزء ، ما يغني عن الإطالة فيها ، ويوضح المغزى ، ويقوم بالعذر .

وأرجو أن لا أكون مذموماً بما جمعته ، إن لم أحمد على ما صنعته ، وأن يكون ما كتبته خيراً من موضعه لو بيّضته ، كما أسلفت في الأجزاء السالفة من العذر وحبّرته ، إن شاء الله .



١
فرجة بين الصدر والقبر

حدّثني أبو الحسين عليّ بن هشام بن عبد الله[١] ، الكاتب البغدادي ، المعروف أبوه ، بأبي قيراط[٢] ، كاتب ابن الفرات[٣] ، قال :

سمعت أنّ أبا القاسم[٤] ، كان إذا خلا ، وتذكّر أمر الآخرة ، وما هو منقطع به عنها من أمر السلطان ، يقول : اللهم ، لا تخرجني من الصدر إلى القبر ، لا فرجة لي بينهما .

قال أبو الحسين : فأجيبت دعوته ، وجلس في منزله ، قبل موته ، نحواً من سنة ، تائباً من التصرّف[٥] ، تاركاً لطلبه .

فلما اعتلّ علّة موته ، جاءته رسالة الراضي[٦] ، يستدعيه ، ليقرّر معه أمر الوزارة ، ويولّيه إيّاها .

فقال : آلآن ؟ أين كان قبل مدة ، لعلّه لو جاءني هذا الأمر ، وأنا تائب ، لما رددته ، ولعلّي كنت أنقض التوبة ، فالحمد لله الذي لم يتم عليّ ذلك .

---

١ أبو الحسين علي بن هشام بن عبد الله الكاتب ، المعروف بابن أبي قيراط : ترجمته في حاشية القصة ٤/١٠ من النشوار .

٢ أبو القاسم هشام بن عبد الله الكاتب ، المعروف بأبي قيراط : ترجمته في حاشية القصة ٤/٢٥ من النشوار .

٣ أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات ، وزير المقتدر : ترجمته في حاشية القصة ١/٩ من النشوار .

٤ يريد بأبي القاسم : والده هشام المعروف بأبي قيراط .

٥ التصرف : الخدمة في عمل حكومي .

٦ أبو العباس محمد الراضي بن أبي الفضل جعفر المقتدر : ترجمته في حاشية القصة ٢/٣٠ من النشوار .

٢

الوزير علي بن عيسى

يستحثّ عاملا على حمل الخراج

حدّثني أبو الحسين [١] ، قال : أقرأني أبو عبد الله أحمد بن محمد الحكيمي [٢] كتاباً بخط عليّ بن عيسى [٣] ، وأخبرني أنّه كتبه إليه في وزارته الأخيرة [٤] ، وهو يتقلّد له طساسيج طريق خراسان [٥] ، يحثّه على حمل المال ، ونسخته ، قال :

---

١ أبو الحسين علي بن هشام بن عبد الله الكاتب البغدادي المعروف بابن أبي قيراط .

٢ اسمه الصحيح : أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيمي الكاتب : ترجمته في حاشية القصة ٧١/٦ من النشوار .

٣ أبو الحسن علي بن عيسى بن الجراح ، وزير المقتدر : ترجمته في حاشية القصة ١٤/١ من النشوار .

٤ ٣١٤ – ٣١٦ .

٥ الطسوج : الناحية ، وكان العراق يقسم إلى كور ، والكورة إلى طساسيج ، قال المقدسي في أحسن التقاسيم ١٣٣ : إن العراق ينقسم إلى ١٢ كورة ، عين أسماءها ، يتبعها ٦٠ طسوجاً ، وقال ياقوت في معجم البلدان ٤٦٠/١ عن بادوريا : إنها طسوج من كورة الاستان ، وقال في موضع آخر ٤١/١ : إن العراق ينقسم إلى ٦٠ طسوجاً ، ومما يلفت النظر ما ورد في كتاب الوزراء للصابي ٢٨٠ في خطاب للمعتضد بالله : إن طساسيج السواد ٢٤ طسوجاً وكانت قبلا ٦٠ ، مع أن أيام المعتضد (٢٤٢–٢٨٩) متقدمة على أيام البشاري المقدسي (٣٣٦–٣٨٠) وياقوت الحموي (٥٧٤ – ٦٢٦) ، ويمكن التوفيق بين القولين ، بأن طساسيج العراق ، كانت قبل أيام المعتضد ٦٠ طسوجاً، ثم انقصت إلى ٢٤ ثم عادت من بعده إلى عددها الأول ، راجع ما كتبه حبيب زيات في مجلة المشرق م ٢٨ ص ١٥٥–١٥٦ ، ولم أعثر على ما يعين طساسيج طريق خراسان، ولعلها التي يمر بها الطريق المذكور،وقد جاء في كتاب الوزراء للصابي ١٨٧ : أن من جملة أعمال طريق خراسان : براز الروز (اسمها الآن بلد روز) والبندنيجين (اسمها الآن مندلي) .

قد كنتَ — أكرمك الله — عندي ، بعيداً عن التقصير ، غنياً عن التنبيه والتبصير ، راغباً فيما خصّك بالجمال ، وقدّمك على نظرائك من العمال ، واتصلت بك ثقتي ، وانصرفت نحوك عنايتي ، ورددت الجليل من العمل إليك ، واعتمدت في المهم عليك .

ثم وضح لي من أثرك ، وصحّ عندي من خبرك ، ما اقتضى استزادتك ، وردفه ما استدعى استبطاءك ولائمتك ، وأنت تعرف صورة الحال ، وتطلّعي مع شدّة الضرورة إلى ورود المال .

وكان يجب أن تبعثك العناية ، على الجدّ في الجباية ، حتى تدرّ حمولتك وتتوفّر ، ويتّصل ما يتوقّع وروده من جهتك ولا يتأخّر .

فنشدتك الله ، لما [٢] تجنبت مذاهب الإغفال والإهمال ، وقرنت الجواب على[1] كتابي هذا ، بمال تبتزّه من سائر جهاته وتحصّله ، وتبادر به وتحمله ، فإنّ العين إليه ممدودة ، والساعات لوروده معدودة ، والعذر في تأخيره ضيّق ، وأنا عليك من سوء العاقبة مشفق ، والسلام .

---

١ في الأصل : من .

٣

كيف تمكن عبيد الله بن يحيى بن خاقان من المتوكل

حدّثني أبو الحسين [١] ، قال : حدّثني أبو عبد الله بن عليّ الباقطائي [٢] ، قال : حدّثنا أبو جعفر أحمد بن إسرائيل [٣] ، قال :

كان سبب رفعة عبيد الله بن يحيى [٤] ، طلب المتوكل [٥] لحدث من أولاد الكتّاب ، يوقّع بحضرته في الأبنية [٦] والمهمّات ، لأنّه كان قد أسقط الوزارة ، بعد صرف محمد بن الفضل الجرجرائي [٧] ، واقتصر على أصحاب الدواوين ،

---

١ أبو الحسين علي بن هشام بن عبد الله الكاتب البغدادي ، المعروف بابن أبي قيراط .

٢ أبو عبد الله الحسن بن علي الباقطائي ، ينسب إلى باقطايا ، من قرى بغداد على ثلاثة فراسخ من ناحية قطربل (معجم البلدان ١/٤٧٦) كان من رجال الديوان في أيام المقتدر (الوزراء ٢٨٨ و ٣٦٦) ، وذكره صاحب معجم البلدان في كلمة باقطايا ، وقال إنه ترجمه في معجم الأدباء ، وترجمته في القسم المفقود من المعجم ، وكان من خصوم الوزير ابن الفرات والساعين عليه ، توفي قبل أن يوزر ابن الفرات وزارته الثالثة (الفرج بعد الشدة ١/٧٠) .

٣ أبو جعفر أحمد بن إسرائيل الأنباري الكاتب : أحد الكتاب الأذكياء الحذاق ، وزر للمعتز ، وغضب عليه القائد التركي صالح بن وصيف ، فحبسه وعذبه ، وشفع فيه الخليفة ، فلم يشفعه ، وضربه بعد ذلك في زمن المهتدي ، فمات (الفخري ٢٤٤) .

٤ أبو الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، وزير المتوكل والمعتمد : ترجمته في حاشية القصة ١/٣ من النشوار .

٥ أبو الفضل جعفر المتوكل بن أبي إسحاق محمد المعتصم : ترجمته في حاشية القصة ١/١٤٢ من النشوار .

٦ أنفق المتوكل على قصوره التي بناها ، وعددها ١٩ قصراً ، مبلغاً قدره (١٣) مليون دينار (الديارات ١٨٩)، وقد فصل محقق كتاب الديارات ، ما صرف على بعضها قصراً قصراً (الديارات ٣٦٤) ، ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة أن المتوكل أنفق في حفلة إعذار ولده المعتز ٨٦ مليون درهم (الديارات ١٥٦) .

٧ أبو جعفر محمد بن الفضل الجرجرائي : ينسب إلى جرجرايا ، بلد من أعمال النهروان =

وأمرهم أن يعرضوا الأعمال بأنفسهم ، وجعل التاريخ في الكتب ، باسم وصيف التركي [1] ، وانتصب منصب الوزارة ، وإن كان لم يسمّ بها .

فأسمي له جماعة ، فاختار عبيد الله من بينهم .

فحضر أول يوم ، فصلّى في الدار ركعات ، وجلس وعليه قباء وسيف ومنطقة وشاشية ، على رسم الكتاب .

قال أبو الحسين : لأنه لم يكن أحد يصل إلى الخليفة ، إلاّ بقباء وسيف ومنطقة من الناس كلهم ، إلاّ القضاة ، لا في موكب ، ولا غيره ، فإذا كان يوم موكب ، كانت الأقبية كلها سواداً ، وإذا كان غير يوم موكب ، فربما كانت من بياض ، وفي الأكثر سواداً .

فلما صلّى عبيد الله ، وجلس ، لم يجتز به أحد من الحاشية ، كبير ولا صغير ، الاّ قام إليه قائماً ، وسلّم عليه ، حتى قام إلى رئيس الفرّاشين .

فرآه بعض الحاشية ، فقال : من هذا الشقيّ الذي قد قام لسائر الناس ، حتى قام إلى الكلاب ؟

فقيل له : فلان .

ثم أذن له المتوكل ، لما خلا ، فدخل إليه ، وكان على رأسه قلنسوة سوداء شاشية ، وكان طويل العنق ، فظهرت عنقه .

= الأسفل ، بين واسط وبغداد ، في الجانب الشرقي (معجم البلدان ٢/٥٤) ، وكان الجرجرائي شيخاً ظريفاً ، حسن الأدب ، عالماً بالغناء ، مشتهراً به ، واستوزره المتوكل ثم عزله ، واستكتب عبيد الله بن يحيى بن خاقان (الفخري ٢٣٨) .

١ وصيف التركي : من مماليك المعتصم ، قدمه ، وقوده ، وأصبح أحد اثنين سيطرا على الدولة ، وأصبح هو وبغا بعد قتل المتوكل ، المتحكمين في الخلفاء فمن دونهم ، قال الشاعر :

خليفة في قفص بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له كما تقول الببغا

(الكامل لابن الأثير ٧/٢٣ – ١٧٨) ، راجع ترجمته في حاشية القصة ٥/٨٤ من النشوار .

فلما رآه المتوكل ، أومأ بيده إلى قفاه ، ومسحه شبه صفعة ، فأخذ عبيد الله يده فقبّلها .

فنفق عليه ، وخفّ على قلبه ، وسرّ بذلك ، واستخفّ روحه .

وقال له : اكتب .

فكتب وهو قائم : ﴿ إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾[1] ، إلى قوله عز وجل ﴿ وينصرك الله نصراً عزيزاً ﴾[2] فكتب : وينصرك الله — يا أمير المؤمنين— [٣] نصراً عزيزاً ، فزاد ذلك في تقبّل المتوكل له ، وتفاءل بذلك .

وقال له : الزم الدار ، فكان يلزمها منذ السحر ، إلى وقت نوم المتوكل في الليل .

وقوي أمره مع الأيام ، حتى صار يعرض الأعمال ، كما كان الوزراء يعرضونها ، وليس هو بعد وزير ، والتاريخ لوصيف .

فأمره المتوكل في بعض الأيام ، أن يكتب نسخة في أمر الأبنية ، فقال : نعم .

فلما كان بعد ساعة ، سأله ، هل كتبت ؟

فقال : لم يكن معي دواة .

فقال : اكتب الساعة ، فاستحضر دواة .

وكان ايتاخ الحاجب[3] قائماً ، يسمع ذلك ، فلما خرج عبيد الله ،

---

١ ١ م الفتح ٤٨ .

٢ ٣ م الفتح ٤٨ .

٣ ايتاخ الخزري : من مماليك المعتصم ، قدمه وقوده ، وتقدم في عهد المتوكل فقلد الحجابة ، والبريد ، والجيش ، والأموال ، والأتراك ، والمغاربة ، وكل من أراد المتوكل قتله وتعذيبه ، يجري ذلك على يد ايتاخ ، وشرب المتوكل يوماً وعربد على ايتاخ فأراد هذا قتله ، فاعتذر منه المتوكل وقال له : أنت أبي ، وأنت ربيتني ، وحقدها عليه ، ولما حج ايتاخ وعاد ، أمر المتوكل إسحاق ابن إبراهيم أمير بغداد ، فاعتقله وقتله سنة ٢٣٥ (الكامل لابن الأثير ٧/١١ — ٤٧) .

قال له : إنّما طلبك أمير المؤمنين ، لتكتب بين يديه ، فإذا حضرت بلا دواة فلأيّ شيء تجيء ؟

فقال له عبيد الله : وأيّ مدخل لك أنت في هذا ؟ أنت حاجب أو وزير ؟

فاغتاظ من ذلك ، فأمر به فبطح ، وضربه على رجليه عشرين مقرعة ، وقال له : الآن علمت أنّ لي فيه مدخلاً ؟

فلم يتأخّر عبيد الله عن الخدمة ، وعاد ، فجعل يمشي ويعرج ، فسأل المتوكل عن خبره ، فعرف الصورة ، فغلظ عليه ذلك، وقال : إنّما قصده إيتاخ لمحبّتي له .

وكان قد اجتمع في نفس المتوكل من إيتاخ العظائم ، مما كان يعمل به في أيام الواثق ، ولا يقدر له على نكبة ، لتمكّنه من الأتراك .

فأمر بأن يخلع على عبيد الله من الغد ، وأن لا يعرض أحد من أصحاب الدواوين عليه شيئاً ، وأن يدفعوا أعمالهم إليه ليعرضها ، وأجرى له في كل شهر عشرة آلاف درهم .

فندم إيتاخ على ما فعله ، وجعل يداري عبيد الله ، ويثاقفه .

وقوي أمر عبيد الله ، حتى حذف بنفسه ، من غير أمرٍ ، اسم وصيف من التاريخ ، وأثبت اسمه .

ثم أمر له المتوكل برزق الوزارة ، ثم خوطب بالوزارة ، بعد مديدة ، وخلع عليه لها خلعاً أخر .

ثم قلّده كتابة المعتز[1] ، وخلع عليه .

---

[1] أبو عبد الله محمد المعتز بن أبي الفضل جعفر المتوكل : ترجمته في حاشية القصة ٦٣/٤ من النشوار .

ثم قلّده كتابة المؤيد[1] ، وخلع عليه .

وضمّ المتوكل إلى ابنيه ، بضعة عشر ألف رجل ، وجعل تدبيرهم إلى عبيد الله ، فكان وزيراً أميراً .

فلما تمكّن [٤] ، هذا التمكّن بالجيش ، والمحل ، عارض إيتاخ ، وبطّأ حوائجه ، وقصده ، ووضع من كتّابه ، ولم يزل ذلك يقوى من فعله ، إلى أن دبّر على إيتاخ ، فقتله على يد إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ ببغداد ، بعد عود إيتاخ من الحجّ .

---

١ المؤيد : إبراهيم بن المتوكل ، بايع له أبوه بولاية العهد ، بعد أخويه المنتصر والمعتز ، ولما ولي المنتصر ، خلع أخويه المعتز والمؤيد ، ولما ولي المستعين صادرهما ، وترك للمؤيد ما غلته خمسة آلاف دينار فقط ، ولما بويع المعتز بالخلافة ، حبس المؤيد ، ثم خلعه من ولاية العهد ، ثم قتله في السجن سنة ٢٥٢ (الكامل ٧/٤٩ – ١٧٢) .

٤

الواثق ومحمد بن عبد الملك الزيات

حدّثني أبو الحسين[١] ، قال : سمعت أبا الحسن علي بن الحسن ، الكاتب المعروف بابن الماشطة[٢] ، وكان يتقلّد قديماً العمالات ، ثم صار من شيوخ الكتاب ، وتقلّد في أيّام حامد بن العباس ، ديوان بيت المال ، قال :

سمعت أبا[٣] الفضل ، وهو يحكي عن أبيه ، وهو [ابن] الفضل بن مروان[٤] ، قال :

كان في نفس الواثق[٥] ، على محمد بن عبد الملك الزيّات[٦] ، العظائم ، ممّا كان يعامله به في أيّام أبيه .

فمن ذلك : أنّ المعلّم شكا إلى المعتصم[٧] ، أنّ الواثق لا يتعلّم ، فإذا طالبه بذلك ، شتمه ، ووثب عليه ، فأمر المعتصم محمداً ، بأن يضرب الواثق أربع مقارع .

فخرج محمد ، واستدعى الواثق ، وضربه ثلاث عشرة مقرعة ، حتّى مرض .

---

١ أبو الحسين علي بن هشام بن عبد الله الكاتب المعروف بابن أبي قيراط : ترجمته في حاشية القصة ٤/١٠ من النشوار .

٢ أبو الحسن علي بن الحسن بن محمد البغدادي ، المعروف بابن الماشطة : ترجمته في حاشية القصة ٤/٢٥ من النشوار .

٣ في الأصل : أبو الفضل .

٤ يريد : سمعت أبا الفضل ، وهو ابن الفضل بن مروان ، يحكي عن أبيه .

٥ الواثق ، أبو جعفر هارون بن المعتصم : ترجمته في حاشية القصة ١/١٥٥ من النشوار .

٦ محمد بن عبد الملك الزيات الوزير : ترجمته في حاشية القصة ١/٢ من النشوار .

٧ المعتصم أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد : ترجمته في حاشية القصة ٢/٤٩ من النشوار .

فلما عرف أبوه الخبر ، أنكر ذلك ، وحلف للواثق ، أنّه ما أمر محمداً ، إلاّ أن يضربه أربع مقارع ، فأخفاها في نفسه ، فكان يبغضه .

وعلم محمد بذلك ، فكان يقصده في ضياعه وأملاكه ، لما ترعرع ، وصار أميراً .

فوقّع المعتصم يوماً ، أن يُقْطَعَ الواثق ، ما ارتفاعه [1] ألف ألف درهم ، فمحاها محمد ، وكتب : ما قيمته ألف ألف درهم .

فلما دخل إليه الخادم ، وعرّفه ما عمله محمد ، وثب إلى أبيه ، وعرّفه ذلك ، وعرض التوقيع عليه .

فقال له المعتصم : ما أغيّر ما وقّعت به ، وما أرى في التوقيع إصلاحاً ، وكان محمد قد أجاد محوه .

وعلم المعتصم ، أنّ رأي محمد في الاقتصاد ، أصلح ، فبطل ما كان يريده الواثق ، وانصرف .

فقال للخادم : قد تمّ عليّ من هذا الكلب ، كل مكروه ، فإن أفضت الخلافة إليّ ، فقتلني الله ، إن لم أقتله .

ثم قال له : أنت خادمي ، وثقتي ، فإن أفضى هذا الأمر إليّ ، فاقتله ساعة أخاطب بالخلافة ، ولا تشاورني ، وجئني برأسه .

قال : فمضت الأيام ، وتقلّد الواثق ، فحضر الدار في أوّل يوم ، محمد ابن عبد الملك [٥] ، مع الكتّاب .

فتقدّم الواثق إلى الكتّاب دونه ، بأن يكتب كلّ منهم نسخة ، بخبر وفاة المعتصم ، وتقلّده الخلافة ، فكتبوا بأسرهم ، وعرضوا ذلك عليه ، فلم يرضه .

---

١ الارتفاع : الايراد .

فقال لمحمد : اكتب أنت .

فكتب في الحال ، بلا نسخة ، كتاباً حسناً ، وعرضه ، فاستحسنه ، وأمر بتحرير الكتب عليه .

ولم يبرح من حضرته ، حتى أقرّه على الوزارة ، وخرج من بين يديه ، والناس كلهم خلفه .

قال الخادم : فعجبت من ذلك ، وقلت : تراه أُنسي ما كان أمرني به ؟ لم لا أستأذنه في ذلك ، وأذكّره به ؟

فتقدّمت إليه لما خلا ، وأذكرته الحديث ، واستأذنته ، فقال : ويحك ، السلطان إلى محمد بن عبد الملك ، أحوج من محمد إلى السلطان ، دعه[1] .

قال : فرقّاه الواثق إلى ما لم يرقّه إليه المعتصم .

قال الفضل بن مروان : ولا نعلم وزيراً ، وزّر وزارة واحدة ، بلا صرف ، لثلاثة خلفاء متّسقين ، غير محمد بن عبد الملك .

---

١ أورد صاحب وفيات الأعيان ، في ترجمة الوزير محمد بن عبد الملك الزيات ، هذه القصة باختصار ٥/٩٤ - ١٠٣ ، وكذلك صاحب كتاب الفخري ٢٣٤ .

٥

أبو خازم القاضي

يطالب الخليفة المعتضد بما في ذمّته للوقف

حدّثني أبو الحسين[١] ، قال : حدّثني أبي[٢] ، قال : حدّثني وكيع القاضي[٣] .

قال أبو الحسين : وقد رأيت محمد بن خلف ، وكيع ، وكتبت عنه أشياء كثيرة ، ليس هذا منها .

قال : كنت أتقلّد لأبي خازم[٤] ، وقوفاً في أيام المعتضد[٥] ، منها وقوف الحسن بن سهل[٦] .

فلما استكثر المعتضد من عمارة القصر المعروف بالحسني[٧] ، أدخل إليه ،

---

١ أبو الحسين علي بن هشام بن عبد الله الكاتب المعروف بابن أبي قيراط : ترجمته في حاشية القصة ٤/١٠ من النشوار .

٢ أبو القاسم هشام بن عبد الله الكاتب ، المعروف بأبي قيراط : ترجمته في حاشية القصة ٤/٢٥ من النشوار .

٣ أبو بكر محمد بن خلف بن حيان الضبي ، المعروف بوكيع القاضي : ترجمته في حاشية القصة ١/٣٨ من النشوار .

٤ أبو خازم عبد الحميد بن عبد العزيز قاضي المعتضد : ترجمته في حاشية القصة ١/٧٣ من النشوار.

٥ أبو العباس أحمد المعتضد بن أبي أحمد طلحة الموفق : ترجمته في حاشية القصة ١/٧٣ من النشوار .

٦ الحسن بن سهل : ترجمته في حاشية القصة ١/١٦٢ من النشوار .

٧ القصر الحسني : في الجانب الشرقي من بغداد ، بناه جعفر البرمكي وزير الرشيد ، فسمي الجعفري ، ولما قتل جعفر ، أقام فيه المأمون ، ولما ورد الحسن بن سهل العراق ، خليفة للمأمون، أقام فيه ، واستوهبه من المأمون، فوهبه له ، فأضاف إليه ما حوله ، وسمي =

بعض وقوف للحسن بن سهل ، كانت في يدي ، ومجاورة للقصر .

وبلغت السنة آخرها ، وقد جبيت مالها ، إلاّ ما أخذه المعتضد .

فجئت إلى أبي خازم ، فعرّفته اجتماع مال السنة ، واستأذنته في قسمته في سبله ، وعلى أهل الوقف .

فقال لي : فهل جبيت ما على أمير المؤمنين ؟

فقلت : ومن يجسر على مطالبة الخليفة ؟

فقال : والله ، لا قسمت الارتفاع ، أو تأخذ ما عليه ، ووالله ، لئن لم يزح العلة ، لا وليت له عملاً .

ثم قال : امضِ إليه الساعة ، وطالبه .

فقلت : من يوصلني ؟

فقال : امضِ إلى صافي الحرمي [1] ، وقل : إنّك رسولي ، أنفذتك في مهمّ ، فإذا وصلت ، فعرّفه ما قلت لك .

فجئت ، وقلت لصافي ذلك ، فأوصلني ، وكان آخر النهار .

فلما مثلت بين يدي الخليفة ، ظنّ أمراً عظيماً قد حدث ، فقال لي : هي [2] ، قل ، كأنّه متشوّف .

فقلت : أنا أبي لعبد الحميد ، قاضي أمير المؤمنين ، وقوف الحسن بن

= بالقصر الحسني ، وورثته عنه ابنته بوران ، فاستنزلها المعتمد عنه ، فأصلحته وجددته وفرشته ، وزخرفته ، وملأت خزائنه بالطرف ، ورتبت فيه ما يحتاج إليه من الجواري والخدم ، وأهدته للمعتمد ، وورثه المعتضد ، فأضاف إليه ما جاوره ، ووسعه ، وأدار عليه سوراً ، ولزيادة التفصيل راجع معجم البلدان (٨٠٦/١) .

١ صافي الحرمي الخادم : مولى المعتضد : انظر ترجمته في حاشية القصة ١٥٥/١ من النشوار .

٢ هي : تعبير بغدادي ، لم يزل مستعملا ، لكنه تحول إلى : ها ، يقولها المتشوف لسماع قصة ، أو المطالب بإيضاح موضوع ، راجع حاشية القصة ١٣٧/١ من النشوار .

سهل ، ومنها [٦] ، ما قد أدخله أمير المؤمنين إلى قصره ، ولما جبيت مال هذه السنة ، امتنع من تفرقته ، إلى أن أجبي ما على أمير المؤمنين ، وأنفذني الساعة قاصداً لهذا السبب ، فأمرني أن أقول : إنّي حضرت في مهمّ ،لأصل .

قال : فسكت ساعة متفكراً ، ثم قال : أصاب عبد الحميد ، يا صافي ، هات الصندوق .

قال : فأحضر صندوقاً لطيفاً .

فقال : كم يجب لك ؟

فقلت : الذي جبيت عام أوّل من ارتفاع هذه العقارات ، أربعمائة دينار .

قال : فكيف حذقك بالنقد والوزن ؟

فقلت : أعرفهما .

قال : هاتوا ميزاناً ، فجاءوا بميزان حرّاني [1] حسن ، عليه حلية ذهب ، فأخرج من الصندوق دنانير عيناً ، فوزن منها أربعمائة دينار ، وقبضتها ، وانصرفت إلى أبي خازم بالخبر .

فقال : أضفها إلى ما اجتمع للوقف عندك ، وفرّقه في غد ، في سبله ، ولا تؤخّر ذلك ، ففعلت .

فكثر شكر الناس لأبي خازم ، لهذا السبب ، وإقدامه على الخليفة ، بمثل ذلك ، وشكرهم للمعتضد رضي الله عنه ، في إنصافه .

---

١ اشتهرت حران بالقبيط (نوع من الحلويات) وعسل النحل والقطن والموازين (أحسن التقاسيم للمقدسي ص ١٤٥) .

٦

الوزير ابن الفرات يحاسب عاملا

حدّثني أبو الحسين علي بن هشام أبي قيراط ، الكاتب البغدادي ، قال : سمعت أبا الحسن ، عليّ بن محمد بن الفرات [1] ، يحدّث :

قال : كان النهيكي العامل ، قد لازم أبا القاسم عبيد الله بن سليمان في أيّام نكبته ، فلم يكن له — لما ولي الوزارة — همّ ، إلاّ الإحسان إليه .

فقلّده بادوريا [2] ، وكان لا يتقلّدها إلاّ جلّة الناس .

ولقد سمعت أخي أبا العباس [3] يقول : إنّ من صلح لتقلّد بادوريا ، صلح أن يتقلد ديوان الخراج ، ومن صلح لديوان الخراج ، صلح للوزارة .

قال : والسبب في هذا أنّ المعاملات ببادوريا ، كثيرة مختلفة ، وأنّها عرصة المملكة ، وعاملها يعامل أولاد الخلافة ، والوزراء ، والقوّاد ، والكتّاب ، والأشراف ، ووجوه الرعية [4] ، فإذا ضبط اختلاف تلك العادات ، وقام بإرضاء هذه الطبقات ، صلح للأمور الكبار [5] .

قال أبو الحسن : فأقام النهيكيّ ، يتولّى بادوريا نحو سنتين ، مدّة تقلّد عبد الرحمن بن محمد بن يزداد لديوان الخراج ، في أيام عبيد الله ، ثم مدّة أيام أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي الأصبغ [6] . [٧]

---

١ أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات الوزير : ترجمته في حاشية القصة ١/٩ من النشوار .

٢ بادوريا : طسوج في كورة الإستان بالجانب الغربي ببغداد ، راجع حاشية القصة ١/٦٦ من النشوار .

٣ أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات : ترجمته في حاشية القصة ٢/١٤٥ من النشوار .

٤ في الأصل : ووجوه الأشراف والرعية .

٥ أورد ياقوت الحموي كلام ابن الفرات في معجم البلدان ١/٤٦٠ .

٦ أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي الأصبغ : ترجمته في حاشية القصة ٨/٥٥ من النشوار .

إلى أن أطلقت أنا وأخي ، وتقلّد [أخي] ديوان زمام الخراج ، وزمام ديوان الضياع [1] ، وخلفته عليهما .

---

١ الديوان : كلمة كانت في الأصل تطلق على جريدة الحساب ، ثم أطلقت على الحساب ، ثم على الموضع الذي يجري فيه الحساب (المنجد) ، وأول من دون الدواوين في الإسلام ، الخليفة أبو حفص عمر بن الخطاب (الطبري ٢٠٩/٤ ، والفخري ٨٣ ، والأعلام ٢٠٤/٥ والمنجد) ، وكتب فيها الناس على قبائلهم ، وفرض لهم العطاء (الطبري ٢٠٩/٤) ، وكان يحمل دواوين القبائل بين مكة والمدينة ، فيوزع بيده العطاء على الصغير والكبير (الطبري ٢١٠/٤) ، ثم اتسعت رقعة الدولة ، ومصرت الأمصار ، فانتقلت الدواوين من أسماء القبائل ، إلى أسماء الأمصار ، فأصبح للمدينة ديوان (الطبري ١٨٠/٦) وللكوفة ديوان ، وللبصرة ديوان (الطبري ١٧٩/٦) وأحدث معاوية بن أبي سفيان ، ديوان الخاتم ، وأمر أن تثبت فيه نسخة من كل توقيع يصدره كما رتب البريد الذي أصبح من بعد ذلك ديواناً مهما من دواوين الدولة (الفخري ١٠٧ و ١٠٨) وقلد الدواوين الأخرى كتاباً منهم سرجون الرومي ، قلده ديوان الخراج (الطبري ١٨٠/٦) وفي أيام عبد الملك بن مروان (٦٥– ٨٦) نقلت الدواوين من الرومية والفارسية إلى العربية (الأعلام ٣١٢/٤ والفخري ١٢٢) واستعان أولاده بمواليهم ، فنصبوهم كتاباً على الدواوين (الطبري ١٨٠/٦) ، وكانت الدواوين في أيام بني أمية ، مقتصرة على دواوين الأصول ، ولم تكن في أيامهم دواوين أزمة (الطبري ١٦٧/٨) ، وفي أيام الخلافة العباسية اتسعت الدواوين وتشعبت ، ولما استقرت الأمور في أيام المهدي ، قلد الدواوين عمر بن بزيع ، وتفكر ، فوجد أنه لا يمكن أن يضبطها ، لتعددها ، واتساع أعمالها ، فاتخذ دواوين الأزمة ، وولى كل ديوان رجلا (الطبري ١٦٧/٨) فأصبح لكل ديوان من دواوين الأصول ، ديوان زمام يراقبه ويشرف على أعماله (وزراء ٢٩٤) ، ثم اتخذ المهدي ديواناً أسماه ديوان زمام الأزمة (الطبري ١٦٧/٨) ، يظهر من اسمه أنه كان يراقب ويشرف على دواوين الأزمة ، ثم انقسم ديوان بيت المال ، إلى ديوانين ، واحد للعامة (وزراء ٢٠٨) ، وآخر للخاصة (وزراء ١٤١) ، وانقسم ديوان الضياع إلى ديوانين ، واحد للضياع العامة ، وآخر للضياع الخاصة (وزراء ٣٣) وهي الضياع العائدة للخليفة والأفراد من أهل بيته ، وعليه ديوان زمام خاص (وزراء ٢٨٤) ، ثم أضيفت إلى ديوان الضياع الخاصة ، الضياع المستحدثة (وزراء ٣٤٠) ، ورتب لديوان الاعطاء وهو ديوان الجيش (وزراء ١٦٤) ، مجالس للتفرقة ، يقوم فيها بتفريق الأموال ، وكلاء عن صاحب=

فكنّا إذا كاتبنا النهيكي في رفع الحساب ، لم يجبنا ، إدلالاً لمحله من الوزارة ، وتعفّفه[1] ، فإنه كان مشهوراً بالعفّة ، وإذا كاتبناه في شيء من أمور العمل ، أقلّ الحفل بكتبنا .

فلما طالت المدّة علينا ، ألححنا عليه بالمطالبة برفع الحساب ، وشكوناه إلى

= الديوان (وزراء ٢٦) ، وعليه ديوان زمام الجيش (القصة ٨/٣٤ من النشوار)، وللنفقات ديوان (وزراء ١٤٠) وعليه ديوان زمام النفقات (وزراء ٣٨٠) ، وكان أبو العباس ابن الفرات ، أحدث ديواناً سماه : ديوان الدار (وزراء ١٤٨) ، فانتزع الوزير عبيد الله ابن سليمان من ذلك الديوان مجلس المشرق ، وجعله ديواناً منفرداً ، سماه : ديوان المشرق (وزراء ١٤٩) ، وكذلك الوزير القاسم بن عبيد الله ، فقد انتزع من ديوان الدار مجلس المغرب ، وجعله ديواناً منفرداً ، سماه : ديوان المغرب (وزراء ١٤٩) ، وأحدثت دواوين اقتضت الظروف إحداثها ، مثل ديوان البر (وزراء ٣١٠) ، وقد أحدثه الوزير أبو الحسن علي بن عيسى بن الجراح ، عندما أقنع المقتدر ، فوقف على الحرمين والثغور ، المستغلات التي يملكها بمدينة السلام وغلتها ثلاثة عشر ألف دينار ، والضياع الموروثة بالسواد ، الجارية في ديوان الخاصة ، وارتفاعها نيف وثمانون ألف دينار ، وديوان المرافق أي ديوان الرشى ، وكان سبب إحداثه ، أن من سبقه من الوزراء تساهلوا في الجباية ، وأنزلوا من بدلات ضمانات الأمصار ، مبالغ عظيمة ، لقاء مبالغ ارتفاق ، يؤديها إليهم العمال سراً (وزراء ٣٨) ، فلما تقلد أبو الحسن علي بن عيسى الوزارة ، ووجد الارتفاع لا يفي بالنفقات ، أنشأ ديوان الارتفاق ، وأمر العمال أن يبعثوا إليه بالمبالغ التي اتفقوا على إرفاق الوزراء السابقين بها ، ليصرفها في أمور الدولة ، وفي السنة ٣٢٤ لما ضعف أمر الدولة في أيام الراضي ، نصب أبا بكر محمد بن رائق ، أميراً للأمراء ، وقلده إمارة الجيش والخراج والمعاون ، وجميع الدواوين ، وكان ابن رائق بواسط ، فانحدر إليه الكتاب ، والحجاب ، وأصحاب الدواوين ، فبطلت الدواوين من ذلك الحين ، وبطلت الوزارة ، وأصبح أمير الأمراء هو الناظر في جميع الأمور ، وصارت الأموال تحمل إلى خزائنه ، وهو يطلق للخليفة ما يقوم بأوده (ابن الأثير ٨/٣٢٢ و ٣٢٣) ، ومما يجدر ذكره ، أن الرشيد أمر في السنة ١٧٠ بإبطال دواوين الأزمة ، فأبطلت شهرين ، ثم أعيدت ، ووليها أبو الوزير عمر بن المطرف بن محمد العبدي مولاهم (معجم الأدباء ٦/٥٤) .

١ في الأصل نعفيه .

الوزير فوكّل به من داره[1] ، مستحثاً له في رفع الحساب لعدّة سنين .

فتشاغلت أنا بعمل مؤامرة له ، فلم أجد عليه كثير تأوّل ، وحضرنا بين يدي عبيد الله لمناظرته .

وقد كنت ، صدّرت أول بابٍ من المؤامرة ، بأنّه فصّل تفصيلاً ، ثمن الغلّة المبيعة ، جملته على حسب ما يوجبه التفصيل ، أكثر من الجملة التي أوردها بألف دينار .

فقال : أتتبّع ، فما زال يتتبّع ، إلى أن صحّ الباب عليه ، وقال : وما هذا ؟ غلط الكاتب في الجملة .

فبدأت أكلّمه ، فأسكتني أخي ، وأقبل على عبيد الله ، فقال : أيها الوزير ، صَدَقَ ، هذا غلط في الحساب ، فالدنانير في كيس من حصلت ؟

فقال له عبيد الله : صدق أبو العباس ، والله ، لا وليت لي عملاً يا لصّ .

ثم أتبعت هذا الباب ، بباب آخر ، وهو ما رفعه ناقصاً عمّا كان قدّم به كتابه في كيل غلّة عند قسمتها .

فلما لاحت عليه الحجة ، قال : أريد كتابي بعينه .

فبدأت أكلّمه، فأسكتني أخي ، ثم قال : أيها الوزير ، يطعن في ديوانك، ونسخ الكتب الواردة ، والنافذة ، شاهدا عدل .

فقال : صدق ، يا عدوّ الله ، وأمر بسحبه ، فسحب .

وما برحنا ، حتى أخذ خطّه بثلاثة عشر ألف دينار ، وأهلكناه بهذا ، وما عمل بعد هذا كثير عمل .

---

[1] يعني من دار الوزارة .

٧

أبو العباس ابن الفرات

يهدّد عاملاً قد ألطّ بالمال

حدّثني أبو الحسين ، قال : حدّثني أبي ، وأبو منصور عبد الله بن جبير النصرانيّ [١] ، قالا :

حضرنا مجلس ابن الفرات ، وقد عملت مؤامرة لابن حبش العمانيّ ، وكان يتقلّد الزاب ونهر سابس [٢] ، في أيام وزارة عبيد الله بن سليمان .

فأخذ أبو العباس وأبو الحسن يناظرانه عليها ، إلى أن ألزم خمسة وعشرين ألف درهم ، من أبواب صحيحة ، وطولب بأدائها ، وأخذ خطه بتصحيحها [٣].

فصحّح خمسمائة وأربعين ، طول المدة ، وألطّ بالمال [٤] [٨] ، فقيّد فلم ينفع ، وضُرِب سبع مقارع ، فلم يؤدّ .

وكان إذا خرج بإنسان من العمال ، إلى هذا القدر من المكروه ، فعندهم أنّه النهاية .

---

١ أبو منصور عبد الله بن جبير النصراني، كاتب الوزير ابن الفرات : ترجمته في حاشية القصة ٣/٢٥ من النشوار .

٢ الزاب : في العراق عدة أنهر تسمى الزاب ، منها في شماليه : الزاب الأعلى ، والزاب المجنون والزاب الأسفل الذي قتل عنده عبيد الله بن زياد ، وقال فيه الشاعر :

إن الذي عاش ختاراً بذمته ومات عبداً قتيل الله بالزاب

وبين بغداد وواسط ، زابان آخران ، الأعلى يأخذ من الفرات ، وقصبة كورته النعمانية ، والأسفل قصبته نهر سابس ، قرب واسط ، والأخير هو موضوع القصة (معجم البلدان ٢/٩٠٢) .

٣ في الأصل : يصححها ، والتصحيح هنا يعني السداد والأداء .

٤ ألط بالمال : امتنع عن أدائه .

فأخرجه أبو العباس إلى حضرته ، وطالبه بالمال ، فأقام على أنّه لا شيء معه ، وأنّ ضيعته وقف .

فقال له : ويلك ، لا أعرف أجهل منك ، إذا كان هذا صبرك على المكروه ، وإسلامك لنفسك ، وبَذْلك لها ، فلِمَ لم تأخذ أصل الارتفاع ؟ فإنّا ما كنّا نعمل بك أكثر من هذا .

ولكن إن شئت ، فأنا أدع عليك هذا المال ، وأصرفك إلى منزلك ، ولكن بعد أن كشف للوزير صبرك على المكاره ، فلا تتصرّف — والله — في أيّامه أبداً ، ويذهب خبرك .

قال : فقلق من ذلك ، وسأل أن يخفّف عنه شيء من المال ، ليؤدّي الباقي .

فما برحنا حتى تقرّر أمره على بعض المال ، وأدّاه ، وانصرف .

٨

الوزير عبيد الله بن سليمان

يحرم عاملاً من التصرّف

حدّثني أبو الحسين[١] ، قال : سمعت أبا الحسن بن الفرات[٢] ، يقول : ناظرت الجهظ[٣] ، أحد العمال ، على مؤامرة قد عملناها له ، وكنت أنا وأخي ، وجعلنا نأخذ خطّه بباب باب .

فلما كثر ذلك ، قال لي سرّاً : ليس الشأن في الخطّ ، الشأن في الأداء ، ستعلمون أنّكم لا تحصلون على شيء .

فسمعه عبيد الله[٤] ، لأنّا كنّا في مجلسه ، فقال له : أعد عليّ ما قلت ، فاضطرب .

فقال : لا بدّ أن تعيده ، فأعاد ذلك .

فقال : إذن ، لا تلي لي — والله — بعدها عملاً أبداً ، قم عافاك الله إلى منزلك ، خرّق يا غلام ، المؤامرة .

قال : فخرّقت في الحال ، وانصرف الجهظ إلى منزله ، فما صرّفه عبيد الله بعد ذلك .

وشاع خبره ، فتحامى الناس كلّهم استخدامه ، فهلك جوعاً في منزله ، حتّى بلغ أنّه احتاج إلى الصدقة .

---

١ أبو الحسين علي بن هشام بن عبد الله الكاتب ، المعروف بابن أبي قيراط .

٢ أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات ، وزير المقتدر .

٣ علي بن الحسن الملقب بالجهظ ، راجع الوزراء للصابي ٨٨ و ٨٩ و ٢٧٨ .

٤ أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب الحارثي ، وزير المعتمد والمعتضد : ترجمته في حاشية القصة ١/٣٢ من النشوار .

٩

وزير ينفى لأنه طرب لغناء صوت

حدّثنا أبو الحسين [١] ، قال : حدّثنا أبو عبد الله زنجي الكاتب [٢] ، قال : حدّثنا أبو العباس بن الفرات [٣] ، قال :

كتب صاحب الخبر [٤] ، بمدينة السلام [٥] ، إلى إسماعيل بن بلبل [٦] ، في وزارته الأولى [٧] للمعتمد ، بأنّ مغنية من جواري بدعة الكبرى [٨] ، غنّت عند الحسن بن مخلد [٩] ، وهو إذ ذاك معطّل ، بهذا الصوت ، فاستعاده ، وطرب عليه [٩] .

عادات طيء في بني أسد ريّ القنا وخضاب كلّ حسام

---

١ أبو الحسين علي بن هشام بن عبد الله الكاتب ، المعروف بابن أبي قيراط : ترجمته في حاشية القصة ٤/١٠ من النشوار .

٢ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن صالح الملقب زنجي ، كاتب الوزير ابن الفرات : ترجمته في حاشية القصة ٣/٢٥ من النشوار .

٣ أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات : ترجمته في حاشية القصة ٢/١٤٥ من النشوار .

٤ صاحب الخبر : راجع حاشية القصة ٣/١٧٤ من النشوار .

٥ مدينة السلام : راجع حاشية القصة ٤/٧٧ من النشوار .

٦ أبو الصقر إسماعيل بن بلبل ، وزير المعتمد : ترجمته في حاشية القصة ١/٧٦ من النشوار .

٧ وزر إسماعيل بن بلبل للمعتمد الوزارة الأولى في السنة ٢٦٣ (الأعلام ٢/٢٣٧) .

٨ بدعة الكبرى الحمدونية ، جارية عريب المأمونية ٢٥٠ - ٣٠٢ : مغنية ، أديبة ، شاعرة ، كانت جارية عريب المأمونية ، وبذلوا فيها مائة ألف دينار ، وعشرين ألف دينار للوسيط ، فخيرتّها ، فاختارت البقاء معها ، فهزها ذلك ، فأعتقتها ، وخلفت بعد موتها مالا كثيراً ، وضياعاً ، انظر أخبارها في الأعلام ٢/١٤ وجهات الخلفاء ٦٣ والمنتظم ٦/١٢٩ .

٩ أبو محمد الحسن بن مخلد ، وزير المعتمد : ترجمته في حاشية القصة ٢/٩٤ من النشوار .

لهفي على قتلى النباج[1] فإنّهم كانوا الذرى ورواسي الأعلام
كانوا على الأعداء سيف محرّق ولجارهم حرماً من الأحرام
لا تهلكي جزعاً فإنّي واثق برماحنــــا وعواقب الأيام

فأنهى إسماعيل[2] ذلك إلى المعتمد، وقال : هذا يسعى عليك ، ويتربّص بك الدوائر ، فأمر بنفيه إلى مصر ، فكان مضيّه إليها سبب تلفه[3] .

---

١ النباج : توجد ثلاثة مواضع بهذا الاسم ، نباج بني عامر بحذاء فيد ، ونباج بني سعد بالقريتين ، والثالث موضع بنواحي منبج (المفترق صقعاً ٤١٤) .

٢ كان أهل سر من رأى ، متحازبين ، قوم مع شارية ، وقوم مع عريب ، لا يدخل اصحاب هذه مع هؤلاء ، ولا أصحاب هذه في هؤلاء ، وكان أبو الصقر اسماعيل بن بلبل عريبياً (الأغاني ١٦/١٤) .

٣ انظر كيفية تلف الحسن بن مخلد ، في القصة التالية المرقمة ٨/١٠ من النشوار .

١٠

أحمد بن طولون

يقتل الحسن بن مخلد بالسمّ

حدّثنا أبو الحسين [١] ، قال : سمعت أبا القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد [٢] ، قبل الوزارة [٣] ، يتحدّث ، قال : حدّثني أبو عبد الله حمد بن محمد القنّائي [٤] الكاتب .

قال أبو الحسين : وكان [٥] ابن أخت الحسن بن مخلد [٦] ، وكان قد خلفه دفعات ، على ديوان الخراج ، ومرّة على ديوان الضياع ، ثم ولي أعمالاً جليلةً ، من العمالات [٧] ، والدواوين [٨] ، منها ديوان المغرب [٩] ، ومات وهو

---

١ أبو الحسين علي بن هشام بن عبد الله الكاتب ، المعروف بابن أبي قيراط .

٢ أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد : ترجمته في حاشية القصة ١٣٣/١ من النشوار .

٣ وزر أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد للمقتدر سنة ٣١٨ .

٤ أبو عبد الله حمد بن محمد القنائي الكاتب : ينتسب إلى ديرقنى ، قرية كبيرة إلى جانب ديرقنى ، من نواحي النهروان قرب الصافية ، خرج منها عدد من المشاهير ، منهم : أبو الحسن علي ابن عيسى الوزير ، ومحمد بن داود الجراح ، والحسن بن مخلد ، وأبو عبد الله القنائي ، ترجمه أبو الحسين في القصة ، فقد ذكر أنه خلف ابن خالته الحسن بن مخلد دفعات على ديوان الخراج ، وديوان الضياع ، وولي عمالات ودواوين أخرى ، ومات وهو يتقلد ديوان الخراج والضياع العامة بالسواد .

٥ يعني القنائي .

٦ في القصة ٩٢/٢ من النشوار حديث عن ابن خالة الحسن بن مخلد ، وأنه كان يعمل في ديوان الخراج ،وأرجح أن الإشارة إلى القنائي .

٧ العامل : يقابله الآن المحافظ .

٨ صاحب الديوان : يقابله الآن المدير العام .

٩ ديوان المغرب : راجع الوزراء ٩٢ والقصة ١٢/٨ من النشوار .

يتقلّد ديوان الخراج ، والضياع العامة بالسواد ، وما يجري فيه ، وقد رأيته ، وتعلّمت بين يديه ، وسمعته يتحدّث بأشياء ، ولم أسمع هذا منه .

قال سليمان : قال لي حمد :

سألت الخادم الذي تبع خالي الحسن بن مخلد[1] ، إلى ابن طولون[2] ، لما نفي إليه ، عن السبب الذي دعا ابن طولون ، إلى قتله ، فقال :

لما ورد عليه، تناهى في إكرامه، وبرّه وإعظامه، ثم أنس به، حتى نادمه، وصار يشاوره في مهمّ أموره .

فشاوره مرات في خلع طاعة المعتمد ، فعظّم عليه أمر السلطان ، وخوّفه من العصيان ، فقبل رأيه .

ثم طولب ابن طولون ، بمال الوظيفة التي كانت عليه ، فقال لابن مخلد : ما رأيت أعجب من جهل هذا المخذول – يعني الموفّق – يطالبني بالوظيفة ، وهو عاصٍ على الخليفة ، إلى من أحمل ؟

فقال له : لا تفعل ، فإنّ الأمور إليه ، والجيش معه ، وإن منعته المال ، قصدك وحاربك .

فقام في نفس ابن طولون أنّه دسيس للقوم عليه ، وقال : لو كان هذا عدوّاً للقوم ، ما أشار عليّ بهذه المشورة ، وإنما هو دسيس على ملكي ، ليأخذ البلدان منّي لهم ، ويرهبني ، ويستخرج البلدان منّي باللّطف .

فتنكّر له ، ثم أمر بالقبض عليه ، وحبسه ، وكان جباناً ، فلم يحبّ

---

[1] أبو محمد الحسن بن مخلد بن الجراح : ترجمته في حاشية القصة ٢/٩٤ من النشوار .

[2] أبو العباس أحمد بن طولون (٢٢٠ – ٢٧٠) : أمير تركي ، أصبح صاحب الديار المصرية والشامية والثغور ، شجاع ، جواد ، شديد ، فاتك ، سفك كثيراً من الدماء (الأعلام ١/١٣٧)

– مع إيحاشه له – أن يفلت ، في وقت من الأوقات ، فدسّ إليه في شربة ، فقتله بها .

وجدّ الموفّق ، وأنفذ إليه المعتضد في الجيش [١٠] ، وأخرج أحمد بن طولون ، خمارويه ، ابنه[١] ، لمحاربة المعتضد ، فتحاربا ، فانهزم كل واحد منهما من صاحبه ، وهو لا يعلم أن صاحبه قد انهزم .

فضرب الناس بهما المثل ، وقالوا : صبيّ لقي صبيّاً ، وهكذا تكون محاربة الصبيان .

قال : فلما جرت هذه الحال ، تندّم أحمد بن طولون ، على قتل الحسن ابن مخلد ، وقال : صدقني ، فلم أقبل منه ، واتّهمته .

---

١ في الأصل : أخاه .

١١
جرأة وزير على أخذ أموال السلطان

حدّثني أبو الحسين[١] ، قال : حدّثنا أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد[٢] ، قال : قال لي نافذ ، خادم أبي وثقته ، وكان يتولى نفقته :

إنّي ما رأيت أجسر من مولاي[٣] ، على أخذ مال السلطان .

ومن ذلك ، أنّي باكرته يوماً ، وقد لبس سواده ، ليمضي إلى دار المعتمد[٤] ، وهو إذ ذاك يتولى دواوين الأزمّة[٥] والتوقيع[٦] ، وبيت المال[٧] .

فقلت له : قد صككتَ[٨] عليّ البارحة للمعاملين ، بألف وستمائة دينار ، وما عندي من ذلك حبّة واحدة .

فقال لي : يا بغيض ، تخاطبني في هذه الساعة ؟ أين كنت عن خطابي البارحة لأوجّه لها وجهاً ؟ ولكن اتبعني إلى دار السلطان .

فتبعته .

---

١ أبو الحسين علي بن هشام بن عبد الله الكاتب المعروف بابن أبي قيراط .

٢ أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد : ترجمته في حاشية القصة ١/١٣٣ من النشوار .

٣ أبو محمد الحسن بن مخلد الجراح : ترجمته في حاشية القصة ٢/٩٤ من النشوار .

٤ أبو العباس أحمد بن أبي الفضل جعفر المتوكل : ترجمته في حاشية القصة ٢/٨ من النشوار .

٥ دواوين الأزمة : يقابلها الآن ديوان مراقب الحسابات العام .

٦ كان توقيع الخليفة، ينقل إلى ديوان التوقيع، وبعد التحقق من صحة التوقيع، وتخليد نسخته في الديوان ، ينقل إلى ديوان الزمام (وزراء ٢٠٣) ، فإن أقره صاحب الديوان ، نقل إلى حيث يجري تنفيذه ، وإن كان التوقيع أمراً بصرف مال ، نقل إلى ديوان بيت المال ، حيث يتم تسليم التوقيع ، وتسلم المال .

٧ ديوان بيت المال : يقابله الآن مديرية الخزينة .

٨ الصك : كتاب بالإقرار بمال ، وهو هنا أمر للوكيل بأن يؤدي لصاحب الصك المقدار الذي ورد ذكره فيه .

ودخل إلى المعتمد ، مع عبيد الله بن يحيى الوزير[1] ، ودخل معهما أحمد ابن صالح بن شيرزاد[2] ، صاحب ديوان الخراج ، فلما خرج ، قال لي : امض إلى صاحب بيت المال ، فخذ منه ما يسلّمه إليك .

فظننت أنّه قد استسلف على رزقه شيئاً ، فمضيت إلى صاحب بيت المال ، فسلم إليّ ثلاثين ألف دينار .

فاستعظمت ذلك ، وعلمت أنّه ليس من الرزق ، وحملتها إلى الدار ، وعرّفته خبرها .

فقال لي : أنفق منها ما وقّعت به إليك ، واحفظ الباقي ، فليس في كلّ وقت يتّفق لنا مثل هذا .

ومضى على الحديث أيام ، ودعا دعوة ، فيها صاعد بن مخلد[3] ، وإليه – إذ ذاك – عدّة دواوين ، وجماعة من الكتّاب ، وأكلوا ، وناموا ، وانتبهوا .

فإذا كاتب من كتّاب أحمد بن صالح بن شيرزاد ، يستأذن عليّ ، فاستأذنت لدخوله على مولاي ، وكانوا قد بدأوا بالشرب .

فترك مولاي المجلس ، وخرج إلى بيت خلوة ، واستدعى الرجل ، فأدخله إليه .

فسمعته يقول : أخوك أبو بكر ، يقرأ عليك السلام – يعني أحمد بن صالح – ويقول لك : أنت تعرف رسمي مع صاحب بيت المال ، وأنّ

---

١ أبو الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، وزير المتوكل والمعتمد : ترجمته في حاشية القصة ٣/١ من النشوار .

٢ أبو بكر أحمد بن صالح بن شيرزاد القطربلي : كاتب بليغ ، فاضل ، مجيد في النظم والنثر ، استوزره الموفق لأخيه المعتمد ، فمكث في الوزارة شهراً ومات سنة ٢٦٦ (الفخري ٢٥٤) .

٣ صاعد بن مخلد ، كاتب الأمير الموفق : ترجمته في حاشية القصة ١/١ من النشوار .

محاسبته [١١] في سائر الأموال إليّ ، وأنا إذا تمّت ثلاثون يوماً ، وجّهت صاحبي إلى حساب بيت المال، فحمله مع صاحب بيت المال ، لينظّم دستور الختمة[١] بحضرتي ، وأصحّح حكاياتها .

ونحن منذ عشرة أيام في هذا ، حتى انتظمت الحسبة ، ولم يبق إلاّ ثلاثون ألف دينار ، ذكر صاحب بيت المال ، أنّك خرجت إليه ، من حضرة أمير المؤمنين ، فأمرته بحملها إلى خادمك نافذ ، ولست أدري في أية جهة صرفت ؟ ولا في أي باب أثبتها ؟ ولا ما الحجة فيها ؟

قال : فأجابه مولاي بلا توقّف ، وقال : أخي أبو بكر — والله — رقيع ، أسأل أنا الخليفة ، في أي شيء صُرِف ما أمر أن يحمل إلى حضرته ؟ يجب أن يكتب في الختمة : وما حمل إلى حضرة أمير المؤمنين في يوم كذا وكذا ، ثلاثون ألف دينار .

قال : فقام الكاتب خجلاً ، ومرّ ذلك في الحساب على هذا ، فما تنبّه أحد عليه ، وحصل له المال[٢] .

---

١ الختمة : كتاب يرفعه الجهبذ في كل شهر ، بالاستخراج ، والحمل ، والنفقات ، والأصل ، كأنه يختم به الشهر (مفاتيح العلوم ٣٧) .

٢ وردت في كتاب الوزراء ٨٩ .

١٢

الوزير ابن الفرات

يستولي على أموال المصادرات

قال أبو الحسين ، فقال لي سليمان ، بعقب هذه الحكاية :

ما رأيت لهذه الفعلة شبيهاً ، إلاّ ما عمله ابن الفرات ، في وزارته الأولى ، فإنّه نصب يوسف بن فنحاس ، وهارون بن عمران ، الجهبذين ، فلم يدع مالاً لابن المعتز [١] ، ولا للعباس بن الحسن [٢] ، ومن نكب ، وقتل في الفتنة ، وما صحّ من مال المصادرين ، وغيرهم ممّن يجري مجراهم ، إلاّ أجراه على أيديهما ، دون يد صاحبي بيت مال العامة والخاصة .

وأفرد لذلك ابن فرجويه [٣] ، كاتبه ، يحاسبهما ، ولا يرفع لهما حساب إلى ديوان من الدواوين .

فلما كان في السنة الّتي قبض عليه فيها ، كتب كتاباً عن نفسه إلى مؤنس الخادم [٤] صاحب بيت المال ، ذكر فيه : أنّه حوسب يوسف بن فنحاس ، وهارون بن عمران ، على ما حصل عندهما من كيت وكيت — حتّى استغرق

---

١ أبو العباس عبد الله بن المعتز محمد بن المتوكل : ترجمته في حاشية القصة ٥/٣٠ من النشوار ، راجع حاشية القصة ١/٧ من النشوار .

٢ أبو أحمد العباس بن الحسن ، وزير المكتفي والمقتدر : ترجمته في حاشية القصة ٥/٣٠ من النشوار .

٣ ابن فرجويه : أبو بشر عبد الله بن الفرخان ، كاتب الوزير أبي الحسن بن الفرات ، وموضع سره ، وقد استتر عقب القبض على ابن الفرات بعد وزارته الأولى ، وظل يكاتبه وهو في الحبس ، فلما عاد إلى الوزارة قدمه وعول عليه ، وقبض عليه معه لما عزل من وزارته الثانية ، ولكنه أفلت واستتر عندما قبض على ابن الفرات وقتل (الوزراء للصابي ٣٠ — ٣٣٩)

٤ مؤنس الخادم المظفر المعتضدي : ترجمته في حاشية القصة ١/١٣٩ من النشوار .

تلك الوجوه — فكان الباقي قبلهما — بعد الذي حمل إلى حضرة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، وصرف في مهمّات أمر بها هو ، والسادة [1] أيّدهم الله — من الوَرِق [2] ، ألف ألف ، وأربعمائة وسبعين ألف درهم ، وخمسمائة وستة وأربعين درهماً ، وأمر بقبض ذلك منهما ، وإيراده بيت مال الخاصة [3] .

فقبض مؤنس منهما تلك البقيّة ، ومضى الأصل [١٢] كله ، لا يعرف في أي شيء صُرِف ، وكان مبلغه ، فيما ظنّه الكتاب ، وكانوا يتعاودونه ، نحو ألف ألف دينار ، فإنّ ابن الفرات فاز بجميعها ، ولم تقم بها حجة عليه .

قال أبو الحسين : فحدّثني أبي بعد ذلك ، قال :

لما قلّدني عليّ بن عيسى ، في وزارته الأولى ، ديوان الدار ، الجامع للدواوين ، أمرني بإحضار هذين الجهبذين [4] ، ومطالبتهما بختماتهما [5] ، لما كان حصل في أيديهما ، في وزارة ابن الفرات الأولى ، من الجهات التي تقدّم ذكرها .

فاستدعيتهما ، وطالبتهما ، فأحالا على أن ابن الفرات ، أخذ حسابهما ، ولم يدع عندهما نسخة منه .

فأمرني بحبسهما ، وتهديدهما ، ففعلت ذلك .

فأحضراني حساباً مبتوراً ، ذكرا أنهما وجداه ، فرأيته غير منتظم .

---

١ السادة هم : الخليفة المقتدر بالله ، والسيدة والدته ، وخاطف ، ودستنبويه أم ولد المعتضد بالله (الوزراء ١١٩) .
٢ الورق : النقود الفضية .
٣ بيت مال الخاصة : يتكون من مخصصات الخليفة وأهل بيته ، وواردات ضياعهم ، والهدايا ، والمصادرات .
٤ الجهبذ : الصيرفي .
٥ الختمة : راجع حاشية القصة ٨/١١ من النشوار .

فلم أزل أرفق بهما ، إلى أن أقرّا أنّه قد وصل إليهما من فضل الصرف ، فيما بين ما ورد عليهما ، وبين ما أنفقاه ، مائة ألف درهم ، فجعلتها عشرة آلاف دينار ، وقررت أمرهما عليها ، وأخذت بها خطوطهما .

فلم يقنع عليّ بن عيسى بذلك ، وأخذهما من يدي ، وسلّمهما إلى حمد ابن محمد [1] وكان إليه ديوان المغرب ، وأمره أن يتتبّع أمرهما بنفسه ، وكان حسن الكتابة ، ولم يعرّفه أني أخذت خطّهما بشيء .

فتتبّع حمد ذلك ، فلم يجد في الحساب ، إلاّ إحالات على « حمل إلى الخليفة ، والسادة » ، وأشياء صرفت إلى خاص ابن الفرات .

فقال له حمد : هذا كله مزوّق [2] ، والقوم معهم حجج بالابراء ، وما عليهم طريق ، وابن الفرات كان أجلد من أن يدع هؤلاء يفوزون بحبّة من المال .

فردّهما إليّ ، وقال : اجتهد في أن تأخذ منهما مائتي ألف دينار [3] .

فقلت : لا يمكن ذلك .

فقال : اعمل على أنك طالبتهم برفق لنفسك بتمام مائتي ألف درهم .

فقلت له : فإذا فعلت هذا ، فأي شيء أعمل أنا لنفسي ؟

فقال : خذ منها عشرين ألف درهم ، وألزمهما مائة وثمانين .

قال : فخرجت ، وجددت بهما ، إلى أن ألزمتهما ذلك ، وأخذت لنفسي منه ما قال .

---

١ أبو عبد الله حمد بن محمد القنائي الكاتب ، ابن أخت الحسن بن مخلد الوزير : ترجمته في حاشية القصة ٨/١٠ من النشوار .

٢ يعني بالحساب المزوق أنه مزيف .

٣ الصحيح : درهم .

فلما فرغنا من ذلك ، أخذنا بها خطوطهما ، وأخذنا لهما خطّه بالبراءة من ذلك .

فقال لي عليّ بن عيسى : سأريك موضعي أنا من العمل [١٣] ، وأنّ للرئيس في كل أمر موضعاً لا يقوم فيه أحد مقامه .

فاستحضرتهما إلى حضرته ، وأنا في مجلسه ، فقال لهما : تريدان مني أن أزيل عنكما تبعة ، إن لم أزلها بقيت عليكما ، وعلى ورثتكما ، أبد الدهر ؟ لست أفعل هذا إلاّ بشيء يقرب ، لا ضرر عليكما فيه ، وهو : أنّي أحتاج في كل هلال ، إلى مال أدفعه في ستة أيام من ذلك الشهر ، إلى الرجّالة ، ومبلغه ثلاثون ألف دينار ، وربما لم يتّجه في أول يوم من الشهر ، ولا الثاني ، وأريد أن تسلفاني في أول كل شهر ، مائة وخمسين ألف درهم ، ترتجعانها من مال الأهواز في مدة الشهر ، فإنّ جهبذة الأهواز إليكما ، فيكون هذا المال سلفاً لكما أبداً ، واقفاً ، لأضيف إلى هذا المال ، الوظيفة التي على حامد ، التي ترد في أول كل شهر ، وهي عشرون ألف دينار ، فيكون ذلك بإزاء مال القسط الأوّل من النوبة ، فيخف عنّي ثقل ثقيل .

فتأبيا ساعة ، فلم يفارقهما حتّى استجابا لذلك .

فقال لي علي بن عيسى : كيف رأيت ؟

فقلت : ومن يفي بهذا إلاّ الوزير ، أيده الله تعالى .

قال : وكان علي بن عيسى ، إذا حلّ المال ، وليس له وجه ، استسلفه من التجار على سفاتج قد وردت من الأطراف ، فلم تحلّ [١] ، عشرة آلاف دينار ، بربح دانق ونصف فضّة في كل دينار [٢] ، وكان يلزمه في كل شهر ألفان وخمسمائة درهم أرباحاً .

---

١ لم تحل : يعني لم يئن أوان سداد بدلها .

٢ أي أن الفائدة مائة في المائة ، باعتبار ٢٥٠٠ في ٥ في ١٢ .

فلم يزل هذا الرسم يجري على يوسف بن فنحاس ، وهارون بن عمران ، ومن قام مقامهما ، مدة ست عشرة سنة ، وبعد وفاتهما ، لأنهما ما صرفا إلى أن ماتا ، وكانا قد تقلدا في أيام عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، وكان السلطان لا يرى صرفهما، ليبقى جاه الجهبذة مع التجّار[1]، فيقرض التجار بالجهبذ ، إذا وقعت الضرورة ، ومتى صُرِف الجهبذ ، وقلّد غيره ، ولم يعامله التجار ، وقف أمر الخليفة[2] .

---

١ كان التوقيع إلى جهابذة الحضرة ، ومنهم يوسف بن فنحاس وهارون بن عمران : أبقاك الله ، وعلى رأس التوقيع : أبو فلان ، فلان بن فلان ، أبقاه الله (وزراء ١٧٧) .

٢ وردت القصة في كتاب الوزراء للصابي ٩٠ – ٩٣ ، أنظر أخبار هارون عمران ويوسف ابن فنحاس ، في تجارب الأمم ١/٧٩ و ١١٢ ، ١٢٨ وكتاب الوزراء للصابي ٣٨، ٩٠ ، ٩١ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٧٧ ، ٣٣٢ .

١٣
الصناعة نسب

حدّثنا أبو الحسين ، قال : حدّثني أبو بكر محمد بن جنّي الكاتب ، وكان أبوه مغنّياً ، وهو من أعيان الكتّاب ، قال : [حدّثني] ابن ثوابة الكاتب ، قال : حدّثني أبو الفرج [١] عن نجاح بن سلمة ، عن أبيه [٢] ، عن الفضل بن مروان [٣] ، قال :

كنت أتولى مجلس الحساب ، من قبل صاحب ديوان الرشيد ، وكان يجيئنا إلى الديوان ، شيخ من بقايا كتّاب [١٤] بني أمية ، وكان صاحب الديوان يقول لنا : هذا أكتب أهل زمانه ، وكان يلبس درّاعة وقلنسوة كأكسية النصارى ، وخفّاً أحمر ، وكان هذا زيّ المتعطّلين من الكتّاب إذ ذاك ، وكان صاحب الديوان يكرمه جدّاً .

فصار إليّ في يوم من الأيام لحاجة عرضت له ، وأنا متشاغل بعمل مهمّ قد طلبه الرشيد ، وأنا جالس حيال صاحب الديوان أعمله ، فقصرت في حقّ الشيخ .

---

١ أبو الفرج محمد بن جعفر بن حفص الكاتب : تقلد ديوان السواد في وزارة الخاقاني (تجارب الأمم ١/١٢٩) .

٢ يقتضي قراءة الجملة : حدثنا أبو الفرج ، عن أبيه، عن نجاح بن سلمة، ونجاح هذا من كتاب الدولة العباسية ، مات في السنة ٢٤٥ على أثر تعذيبه، فقد كان على ديوان التوقيع ، وتتبع العمال، وكتب رقعة إلى المتوكل بخيانة كاتبين ، ثم تنصل مما كتب، فسلمه المتوكل إلى من ضمنه بألفي ألف دينار ، فعذب حتى مات (الكامل ٧/٨٨) وإلى هذه القصة أشار ابن الفرات عندما أحضر لمحاسبته ، راجع الوزراء للصابي ١١٠ .

٣ الفضل بن مروان : راجع ترجمته في حاشية القصة ١/٦٨ من النشوار .

ولامني صاحب الديوان على تقصيري به ، ووبخني ، فاعتذرت إليه بشغل القلب .

فلما كان بعد أيام جاءني ، فزدت في إكرامه ، وقمت إليه ، وجلست بين يديه .

فأقبل على صاحب الديوان ، فقال : أحسبك عاتبت فتانا على تقصيره أولاً .

ثم أقبل عليّ ، وقال : يا فتى ، كنّا نعدّ الصناعة [1] نسباً ، والنعمة [2] نسباً ، واللغة نسباً ، والنحلة [3] نسباً .

---

١ الصناعة : الحرفة ، أي طريقة الكسب .

٢ النعمة : الصنيعة والمنة .

٣ النحلة : المذهب والديانة .

١٤

كيف اتصل الفضل بن مروان

بالمأمون ووزّر له

حدّثنا أبو الحسين قال : حدّثنا أبو عبد الله الباقطائي [١] ، قال : حدّثني أبو الفضل عون بن هارون بن مخلد بن أبان ، وكان كاتب المأمون ، على ديوان الضياع ، قال : [قال] ميمون : سمعت الفضل بن مروان يقول :

لا ينبغي لأحد أن يحقر أحداً ، ولا يأيس من علوّه، فإني كنت في حداثتي أتوكّل لهرثمة بن أعين [٢] في مطبخه ، أيام الرشيد ، وكان بخيلاً ، وكان له خادم يشرف على مطبخه ، وأجرى عليّ خمسة عشر درهماً في الشهر ، ووظيفة خبز .

فلما كثر توفيري عليه ، صيّرها عشرين درهماً .

وكنت لا آكل من مطبخه شيئاً ، فسأل الخادم عن أكلي، فعرّفه أنّي لا آكل ، فأمره أن يطعمني من المطبخ كلّ يوم،ويوفّر الوظيفة على منزلي .

فدعا يوماً دعوة عظيمة ، فوفرت عليه في الأسعار ألف درهم ، وعرضت عليه بذلك عملاً ، فسرّه ، وحسن موقعه منه ، وكان بخيلاً جداً .

فقال لي يوماً : قد استحققت الزيادة ، فكم تحب أن أزيدك ؟

فقلت : لا أقلّ من عشرة دراهم أخرى .

فقال : هذا كثير ، ولكن أربعة دراهم .

---

١ أبو عبد الله الحسن بن علي الباقطائي ، راجع ترجمته في حاشية القصة ٣/٨ من النشوار .

٢ هرثمة بن أعين: من القواد العباسيين ، ولاه الرشيد أفريقية ، ثم خراسان ، ولما تنازع الأمين والمأمون انحاز لجانب المأمون، ثم نقم عليه أمراً،فحبسه،ومات في الحبس سنة ٢٠٠ (الأعلام ٧٥/٩) .

فأيست من خيره ، واتفق له بعد ذلك ، خروج عن مدينة السلام ، فتعاللت عليه ، ولم أتبعه ، ولزمت الديوان ، وتعلّمت ، فصرت كاتب مجلس في ديوان الرشيد[1] ، وكان ذلك أوّل إقبالي [١٥] ، وتخرّجت ، وزادت حالي مع الأيّام .

فلما ولي المأمون ، وعظّم من أمر المعتصم ، كان المعتصم شديد المحبّة للصيد ، وكنت في فتنة محمد المخلوع ، قد صرفت ما كنت جمعته في ضياع وبساتين بالبـَرَدان[2] وصاهرت بعض تنّائها ، واجتمعت لي حال ، فلما انجلت الفتنة ، كنت من وجوه البردان .

فاجتاز بها المعتصم ، منصرفاً من صيده ، متسرّعاً ، وليس معه من أصحابه كبير أحد .

فاجتاز في الطريق ، وأنا واقف على بابي ، فتوسّمت فيه الجلالة ، وقدّرته أحد وجوه القوّاد .

وكان لي وعد على عامل البلد ، أن يكون ذلك اليوم في دعوتي ، وقد أعددت له طعاماً ، وفيه جداء ، وحلوى ، وفاكهة كثيرة ، وثلج استدعيته من بغداد ، وكان قبل ذلك بساعة ، قد جاءني خبر العامل ، أنّه عرض له مهمّ في السواد ، فخرج لوقته .

فلما رأيت المعتصم ، وتوسّمت فيه الجلالة ، قلت : لِمَ لا أحلف على هذا القائد ، وأضيفه عندي على هذا الطعام المعدّ ؟

قال : فكلّمته ، وسألته النزول عندي .

فأجاب ، ونزل ، وأكل ، وشرب ، وأنفذت في الحال ، فاستدعيت له

---

١ راجع القصة السالفة ٨/١٣ من النشوار .

٢ البردان : قرية من قرى بغداد على سبعة فراسخ منها قرب صريفين ، وهي من نواحي دجيل (معجم البلدان ٥٥٢/١) .

قياناً ، وجلس يشرب ، وقد انبسطت بين يديه ، وخدمته .

فنحن نشرب ، انبثّ الجيش في طلبه ، وعرفوا خبره ، وأحاطوا بالدار ، فعرفت حينئذ ، أنّه أخو الخليفة ، فهبته .

فبسطني ، وسألني عن شرح حالي ، فعرّفته ، فقال : لا بد أن تجيء معي إلى بغداد .

وقلّدني بعض أموره ، ثم تزايدت حالي عنده ، إلى أن جمع لي جميع أمره ، ورياسة كتّابه .

ثم خلطني بخدمة المأمون ، وقلّدني ديوان الخراج مضافاً إلى كتبة أخيه .

ثم رقّيت إلى الوزارة ، من تلك الحال التي كنت عليها مع هرثمة .

قال أبو الحسين : ما رؤي في الدولة العباسية ، من الكتّاب ، من اتّصل تصرّفه منذ نشأ ، إلى أن مات ، وتردّدت ولايته الوزارة ، وديوان الخراج ، وديوان الضياع ، من غير أن يتعطّل ، أحد ، غير الفضل بن مروان .

وصادره المعتصم على أربعين ألف ألف درهم [١٦] ، فأداها بغير مكروه [١] .

---

١ راجع تفصيل هذه المصادرة في القصة التالية ٨/١٥ من النشوار .

١٥

الخليفة المعتصم يصادر وزيره

وسمعت حامد بن العباس[١] ، يحكي : أنّه سمع صاعداً[٢] ، يقول : حدّثني أحمد بن إسرائيل ، قال : حدّثني الفضل بن مروان ، قال :

ما في الأرض أجهل من وزير يطلب الخليفة منه مالاً ، وهو في ولايته ، فيعطيه إيّاه ، فإنّه يطمعه في نعمته ، وإنّما يدفع النكبة مدة ، ثم تحدث ، وقد ذهب المال .

فمن ذلك : أنّ المعتصم ، لما خرج لغزو الروم ، وأنا وزيره ، استخلفني على سر من رأى ، واستخلف لي بحضرته ، محمد بن الفضل الجرجرائي .

فلما عاد ، طمع فيّ ، فقال لي: قد وردتُ ، والمال [نزر] ، والجيش مستحق ، فاحتل لي مائة ألف دينار ، من مالك وجاهك ، ففعلت .

فلما مضى شهر ، طلب مني على هذا السبيل ، خمسين ألف دينار ، ففعلت .

فطلب منّي في الدفعة الثالثة ، بمثل هذا الوجه ، ثلاثين ألف دينار ، فوعدته بها ، ودافعته أياماً ، ثم حملتها إليه .

فبلغني عنه ، أنّه قال لابنه الواثق : هذا النبطي ، ابن النبطية ، أخذ مالي جملة ، وهوذا يتصدّق به عليّ تفاريق .

ثم قبض عليه ، بعد أيّام ، وأخذ منه أربعين ألف ألف درهم .

---

١ حامد بن العباس ، وزير المقتدر : راجع حاشية القصة ١/٥ من النشوار .

٢ صاعد بن مخلد : ترجمته في حاشية القصة ١/١ من النشوار .

١٦

العمارة والتوفير

أولى واجبات الوزير

حدّثني أبو الحسين[١]، قال : حدّثنا أبو بكر محمد بن عبد الملك التواريخي، وكان شيخاً قد عني بجمع التواريخ ، فلقّب بها ، وكان يجلس في الجامع إلى جانب الزجّاج[٢] ، ويعظّمه ، قال : سمعت المبرد[٣] يقول :

كنت أصحب الفضل بن مروان[٤] ، فذكر بحضرته — في أيّام الواثق — عظم بناء أحمد بن الخصيب[٥] بسرّ من رأى ،وأنّه استعمل في سقف دهليز داره سبعين قارية ساج ، والقارية : ساجة عظيمة ، تستعمل صحيحة[٦] ، فقال الفضل : ما كانت لي في حياتي[٧] ، لذّة في بناء ، ولا فَرْشٍ ، ولا غلمان ، ولا جَوارٍ ، ولا مفاخرة بمروءة ، وإنما كانت لذّتي في العمارة

---

١ أبو الحسين علي بن هشام بن عبد الله المعروف بابن أبي قيراط : ترجمته في حاشية القصة ٤/١٠ من النشوار .

٢ أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج : ترجمته في حاشية القصة ١٤٦/١ من النشوار .

٣ أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي : ترجمته في حاشية القصة ١٤٦/١ من النشوار .

٤ الفضل بن مروان ، وزير المعتصم : ترجمته في حاشية القصة ٦٨/١ من النشوار .

٥ أحمد بن الخصيب : من رجال الدولة العباسية ، صادره الواثق ، وأخذ منه ومن كتابه ألف ألف دينار ، واستوزره المنتصر ، ثم تدخل بين القواد الأتراك ، فغضبوا عليه ، واستصفوا أمواله ، ونفوه وولده إلى إقريطش (كريت) سنة ٢٤٨ (الكامل ١٠/٧ – ١١٩) .

٦ القارية : بتخفيف الياء ، تعريب الكلمة اليونانية Karia أي السارية أو الصاري – قاله الدكتور مصطفى جواد .

٧ في الأصل : خدمة .

والتوفير ، ولهذا اتّصلت مدّتي في صحبتهم .

ولتعهدي ، وقد وليت للمأمون ديوان الخراج ، فوجدت الأهواز[1] ، قد اختلّت ببثق سدّ أبطل العمارة ، فأنفقت عليه ، مائة ألف دينار ، وجددت في عمارة النواحي ، وكانت كور الأهواز [١٧] ، إذ ذاك ، قد ارتفعت بأربعة وعشرين ألف ألف درهم للسلطان ، فضمنتها له بثمانية وأربعين ألف ألف درهم ، صالحة للحمل .

---

١ الأهواز : راجع حاشية القصة ١/١١٩ من النشوار .

١٧

السبب في علو حال

عبيد الله بن يحيى بن خاقان مع المتوكّل

حدّثنا أبو الحسين ، قال : حدّثنا أبو الفرج محمد بن جعفر بن حفص الكاتب قال : حدّثنا أبي ، قال : سمعت نجاح بن سلمة ، يقول :

إنّ السبب في علوّ حال عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، مع المتوكل ، أنّ أباه يحيى بن خاقان بن موسى ، تقلّد ديوان الخراج في أيام المتوكل ، فقلّد ابنه أبا محمد عبد الله ، مجلساً من مجالس الديوان ، ولم يرَ عبيد الله ، أهلاً لمثل ذلك .

فغضب على أبيه ، وصار إلى الفضل بن مروان ، وهو يتقلّد ديوان الضياع ، فلزمه ، وخطّ بين يديه .

وكانت أرمينية [١] تجري في ديوان الضياع ، وكان على أهلها مقاطعة فضلها مال جليل ، فامتنع الفضل من إمضائها لهم ، وعُرِض عليه مرفق مائة ألف درهم ، فأبى قبولها ، وطرحوا نفوسهم على أكثر الوجوه بسرّ من رأى ، فلم يجب أحداً إلى ذلك ، فلجأوا إلى عبيد الله بن يحيى ، وسألوه مسألته ، لما ظهر من اختصاصه به ، ونفاقه عليه .

فخاطبه في أمرهم ، فتذمّم [٢] من رده ، لأنّه ما كان [٣] يعمل معه بالرزق ، ولا له نفع ، وكانت حاله قويّة ، وإنّما أراد التصرّف مراغمة لأبيه ، وجعل

---

١ أرمينية : جاء في معجم البلدان (١/٢١٩) أن أرمينية اسم لصقع كبير واسع في جهة الشمال ، وقالوا إنها أرمينيتان ، الكبرى خلاط ونواحيها ، والصغرى تفليس ونواحيها .

٢ في الأصل : تذمر .

٣ في الأصل : كان .

ذلك كالمرفق له ، والصلة ، فأجابه ، وأمضى المقاطعة .

فحمل إليه القوم خمسة آلاف دينار ، فردّها ، وقال : ما كنت لآخذ على معروفي ثمناً .

فلما خرجوا إلى أرمينية ، أحبّوا مهاداته ، ومكافأته ، فاستعملوا له فرش بيت أرمنيّ ببساطٍ عظيم ، ومصلّيات ، وأنخاخ ، ومساور ، ومخادّ ، ودست ، وستور[1] ، وأذهبوا الجميع ، وكتبوا عليه كنيته واسمه ، ولم يكن رؤي قط مثله حسناً وجلالة ، وحملوه إليه .

واتفق أنّه وكّل المتوكل، تلك السنة ، بالطرق ، وأمر أن لا يدخل شيء من الأمتعة ، أو يعرض عليه ، فعرض عليه البيت ، في جملة ما جيء به من أرمينية ، فاستهوله ، وقال : من هذا [١٨] الرجل ؟

فقالوا : هو عبيد الله بن خاقان .

---

١ الفرش الكامل للبيت : يشتمل على فراش متماثل في اللون والنقش ، مختلف في المساحة ، فالصدر أكبر القطع مساحة ، ويفرش في ساحة البيت أو القاعة (غرفة الضيوف) ويسمى الآن في العراق (أورطه) ، والأنخاخ ، مفردها (نخ) ، ونخ الطائر عظم جناحه ، والمتعارف أن يكون مع الصدر نخان ، النخ الأيمن والنخ الأيسر ، والنخ سجادة طويلة، قليلة العرض ، تمد فيما بين الصدر وبين الحائط ، وتسمى الآن في العراق (يان) وتجمع (يانات) ، واستطراداً أورد : أن الخليفة القاهر ، وقد سملت عيناه بعد خلعه ، ومن بعده سملت عينا المتقي إبراهيم ابن المقتدر ،سمله توزون، فكتب القاهر إلى الخليفة المطيع ، يتنبأ له بالسمل ، هذين البيتين :

صرت وإبراهيم نخي عمى لا بد للنخين من صدر
ما دام توزون له إمرة مطاعة فالميل في الجمر

أما المصليات ، فهي قطع صغيرة ، تستعمل للصلاة ، وتوضع تحت الضيوف ، والمخاد جمع مخدة وهي الوسادة ، والمسورات ، سبق شرحها في حاشية القصة ١/١٥ من النشوار ، والدست ، قطعة خاصة توضع في صدر المكان ، والستور تعلق على الحيطان والشبابيك ، وهذا هو الفرش الكامل للبيت .

قال : وأي شيء إليه ، حتّى يستعمل له هذا العمل ؟ لعلّ هذا مرفق لأبيه ؟

فقيل له : إنّ أرمينية تجري في ديوان الضياع ، ولا معاملة بينه وبين أبيه .

فاستشرح الصورة ، ونقّر عليها ، إلى أن حُدِّث الحديث على صحّته .

فاستحسن ذلك من فعل عبيد الله ، وأمر بتسليم فرشه إليه ، وقال : هذا فتى يدل فعله ، على كبر همّته .

فلما صرف محمد بن الفضل الجرجرائي ، عن وزارته[1] ، قال : قد استغنيت عن وزير ، لأنّ أصحاب الدواوين ، يعرضون أعمالهم عليّ ، والتاريخ يجعل باسم وصيف التركي ، فأجرى الأمر على ذلك مدة .

ثم إنه احتاج إلى كاتب يكون بين يديه ، في أبنيته ، والتوقيعات في المهمّ الذي يأمر به من حضرته فيها ، وفي غيرها ، إلى أصحاب الدواوين ، وغيرهم ، فأمر أن يطلب له حَدَثٌ من أولاد الكتّاب ، ينصبه لذلك .

فسمي له جماعة ، منهم : عيسى بن داود بن الجراح ، وأبو الفضل بن مروان ، وجماعة ، وكان فيهم عبد الله وعبيد الله ، ابنا يحيى بن خاقان .

فحين مرّ على سمعه ذكر عبيد الله ، ذكر حديث الفَرْش ، فاختاره ، ولم يزل حاله يرقى معه ، إلى أن استوزره .

---

١ راجع القصة ٨/٣ من النشوار .

١٨

ابن شيرزاد يتحدث

عن عمله في ديوان الضياع الخاصّة

حدّثني أبو الحسين ، قال : حدّثنا أبو جعفر محمد بن يحيى بن زكريا بن شيرزاد الكاتب[١] ، قال :

لمّا تقلّد أبي ديوان الضياع المعروفة بغريب الخال[٢] ، استخلف أخي أبا الحسين ، زكريا بن يحيى على الديوان ، وأجرى له عشرين ديناراً في الشهر ، وأجرى عليّ عشرة دنانير برسم التحرير في هذا الديوان ، فأنفت من ذلك ، ولم أقبل الرزق ، ولا العمل .

ومضيت إلى ديوان الضياع الخاصّة ، وكان يليه ، إذ ذاك ، أبو حامد محمد ابن الحسن ، الملقب (بسودانية) ، فلم ألقه ، ولا توسّلت إليه ، بما كان بين أبي وبينه .

ولزمت الديوان بحضرة أبي يوسف عبد الرحمن بن محمد بن سهل المعروف بالمرمّد ، وإليه كان مجلس الحساب في هذا الديوان ، مدة [١٩] شهر ، وكنت أتعلّم .

فبلغ أبا حامد خبري ، ولم أكن — إذ ذاك — بلغت عشرين سنة ، ولا قاربتها ، فاستحضرني ، فدخلت إليه ، فعاتبني على تركي الدخول إليه ،

---

١ أبو جعفر بن شيرزاد : انظر ترجمته في حاشية القصة ٢/١٧٧ من النشوار .

٢ غريب الخال : خال المقتدر ، وكان عظيم الجاه في أيامه ، وهو أحد القلائل الذين ثبتوا مع المقتدر لما بويع ابن المعتز (الكامل لابن الأثير ٨/١٥ وتجارب الأمم ١/٦) وكان من الناصرين للوزير علي بن عيسى بن الجراح (تجارب الأمم ١/٢٧ و ٤٤) .

والتعرّف إليه ، وأمرني بملازمة حضرته ، وأجرى لي درجين وثبتاً وقرطاساً في كل يوم ، وقال : سوّد فيها ، وتعلّم الخط .

فلما كان بعد أيام ، فُرِّقَتْ أرزاق الكتّاب لشهر واحد ، فوقّع إلى خازنه ، المتولّي للتفرقة ، أن يحمل إليّ ، بقيمة عشرين ديناراً ، ثلثمائة درهم ، وقال : قد أجري لك هذه في كل شهر .

فصرت إلى أبي ، فأريته إيّاها ، وقلت : قد فعل الله بي خيراً ممّا فعلتَ .

فقال : خذ الآن العشرة ، والزم موضعك ، ليصير لك ثلاثين ديناراً في الشهر .

فأخذتها ، وكان هذا أوّل إقبالي [1] .

---

[1] من طريف ما يروى عن أبي جعفر بن شيرزاد : أنه كان لداره ببغداد أربعة عشر باباً ، تفضي إلى أربعة عشر شارعاً ، وسكة ، وزقاقاً نافذاً ، ومنها عدة أبواب لا يعرف جيرانها أنها تفضي إلى داره ، وبلغ من سعة داره ، أنه جمع في بيت من بيوتها ، ثلثمائة غلام من غلمانه ، مسلحين بالسلاح الكامل (الفرج بعد الشدة ٢/١٣٣) ، وكان ابن شيرزاد ظالماً ، حتى إن اللص المشهور ، ابن حمدي ، كان يحتج على من يسلبهم أموالهم ، بتصرفات ابن شيرزاد ، وقد قال لأحدهم : ليس فيما نفعل ، ارتكاب أمر أعظم مما يرتكبه السلطان ، أنت تعلم أن ابن شيرزاد ، ببغداد ، يصادر الناس ، ويفقرهم ، حتى إنه ليأخذ الموسر المكثر ، فلا يخرج من حبسه وهو يهتدي إلى شيء غير الصدقة (الفرج بعد الشدة ٢/١٠٨).

١٩

البحتري وأبو معشر

يؤصلان عند المعتز أصلاً

حدّثني أبو الحسين ، قال : حدّثني أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مَخْلَد [١] ، قال :

لما أنفذ أبي [٢] إلى مصر ، اجتذبت البحتري وأبا معشر ، فكنت آنس بهما ، لوحدتي ، وملازمتي البيت ، وكانا في أكثر الأوقات ، يحدّثاني ، ويعاشراني .

فحدّثاني يوماً : أنّهما أضاقا في وقت من الأوقات ، إضاقة شديدة ، وكانا مصطحبين ، فعرض لهما أن يلقيا المعتز [٣] ، وهو محبوس ، ويتوددان إليه ، ويؤصّلان عنده أصلاً ، فتوصّلا إليه ، حتى لقياه في حبسه .

قال : فقال لي البحتري : فأنشدته أبياتاً ، كنت قلتها في محمد بن يوسف الثغري [٤] ، لما حبس [٥] ، وجعلتها إليه ، وهي :

---

١ أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد : ترجمته في حاشية القصة ١/١٣٣ من النشوار .

٢ أبو محمد الحسن بن مخلد : ترجمته في حاشية القصة ٢/٩٤ من النشوار .

٣ أبو عبد الله محمد المعتز بن المتوكل : انظر ترجمته في حاشية القصة ٤/٦٣ من النشوار .

٤ أبو سعيد محمد بن يوسف بن عبد الرحمن ، الثغري ، الطائي الصامتي : قال ابن الأثير (٦/٤١٢ – ٤٧٤) كان من القواد الشجعان ، وقد اشترك في جميع الحملات التي جردت لحرب بابك منذ السنة ٢١٤ وهو الذي أسر بابك وسلمه إلى الأفشين سنة ٢٢٢ ، وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (٥/٧٤) إن خارجياً من خثعم خرج بالجزيرة في زمن المتوكل فقطع الطريق وتسمى بالخلافة ، فحاربه أبو سعيد وهزمه ، وللبحتري في أبي سعيد مدائح كثيرة مثبتة في ديوانه .

٥ اعتقل الثغري ، وتسلمه كاتب نصراني لسعيد الحاجب ، وأمر بتعذيبه والغلظة عليه في المطالبة والاستخراج (ديوان البحتري ص ٦٥١) .

جعلت فداك الدهر ليس بمنفكّ   من الحادث المشكوّ والحدث المشكي
وقد هذّبتكَ النائبــات وإنّما   صفا الذهب الإبريز قبلك بالسبك
أمـــا في رسول الله يوسف أسوة   لمثلك محبوساً على الظلم والإفــك
أقام جميل الصبر في الحبس برهــة   فآل به الصبر الجميل إلى الملك
على أنّه قد ضيم في حبسك العلى   وأصبح عزّ الدين في قبضة الشرك

فأخذ الرقعة التي فيها الأبيات ، ودفعها إلى خادم كان معه ، وقال : غيّبها واحتفظ بها ، فإن فرّج الله عني ، فأذكرني بها ، لأقضي حقّ هذا الرجل .

قال أبو معشر : وكنت قد أخذت مولده ، وعرفت وقت عقد البيعة للمستعين[1] ، ووقت [٢٠] البيعة بالعهد من المتوكل للمعتز ، ونظرت فيه ، وقد صحّحت النظر ، وحكمت له بالخلافة ، بعد فتنة وحروب ، وحكمت على المستعين بالخلع والقتل ، فسلّمت ذلك إليه ، وانصرفنا .

قال وضربت الأيام ضربها ، وصحّ الحكم بأسره ، فدخلنا جميعاً ، إلى المعتز ، وهو خليفة ، وقد خلع المستعين ، وكان المجلس حافلاً .

قال أبو معشر : فقال لي المعتز : لم أنسك ، وقد صحّ حكمك ، وقد أجريت لك مائة دينار في كل شهر رزقاً ، وثلاثين ديناراً نزلاً ، وجعلتك رئيس المنجمين في دار الخلافة ، وأمرت لك عاجلاً بألف دينار صلة .

قال : فقبضت ذلك عاجلاً كله في يومي .

قال البحتري : وأنشدته أنا في ذلك اليوم ، قصيدتي التي مدحته بها ، وهنّأته ، وهجوت المستعين ، وأوّلها :

---

١ المستعين : أبو العباس أحمد بن محمد بن المعتصم : ترجمته في حاشية القصة ٦/١٨ من النشوار .

يجانبنا في الحبّ من لا نجانبه ويبعد عنّا في الهوى من نقاربه

حتّى انتهيت إلى قولي :

وكيف رأيت الحقّ قرّ قراره وكيف رأيت الظلم آلت عواقبه
ولم يكن المغترّ بالله إذ شرى ليعجز والمعتزّ بالله طالبه
رمى بالقضيب عنوة وهو صاغر وعرّي من برد النّبي مناكبه
وقد سرّني أن قيل وجّه مسرعاً إلى الشرق تحدى سفنه وركائبه
إلى واسطٍ نحو الدجاج ولم تكن لتنشب إلاّ في الدجاج مخالبه

فضحك ، واستعاد هذه الأبيات مراراً ، فأعدتها .

فدعى بالخادم ، وطلب الرقعة التي فيها أبياتي التي أنشدته إيّاها في حبسه ، فأحضره إياها ، بعينها .

فقال : قد أمرت لك لكلّ بيت في الرقعة بألف دينار ، وكانت ستة ، فأعطيت ستة آلاف دينار .

وقال لي : كأنّي بك ، وقد بادرت ، فاشتريت غلاماً ، وجارية ، وفرساً ، وفَرْشاً ، وأتلفت المال ، لا تفعل ، فإنّ لك ، فيما تستأنفه من أيّامك معنا ، ومع وزرائنا وأسبابنا ، إذا علموا موقعك منّا ، غناء عن ذلك ، فاشتر بهذا المال ضيعة ببلدك ، تقوم في أدناها فترى أقصاها ، ويبقى لك أصلها ، وتنتفع بغلّتها ، كما فعل ابن قيس الرقيات ، بالمال الذي وصله به عبد الله بن جعفر .

فقلت : السمع والطاعة ، وخرجت ، فعملت [٢١] بما قاله ، واعتقدت بالمال ضيعة جليلة بمنبج [1] ، ثم تأثّلت حالي معه ، وأعطاني ، وزاد وما قصّر .

---

[1] راجع في القصة التالية رقم ٢٠/٨ حديث هذه الضيعة .

٢٠

ضيعة البحتري

في حيازة حفيد ولده

حدّثني أبو الحسين، قال: حدّثنا أبو الفتح بن جعفر بن محمد بن الفرات[١]، بعد عوده من مصر والشام، في أيّام الراضي، وتقلّد الوزارة[٢]، قال:

اجتزت في رجوعي هذا، إلى مدينة السلام، بمنبج، فرأيت ضياعاً في نهاية العمارة والحسن.

فسألت عنها، فقيل: هي أقطاع البحتري الشاعر وأملاكه.

فقلت: لمن هي اليوم؟

فقيل لي: هي اليوم في يد ابن ابنة ابنه أبي الغوث.

فقلت: هذا نسب طويل، وأمرت الحسن بن ثوابة بقبضها.

فلما كان من الغد، جاءني رجل متكهّل[٣]، في زيّ الجند، وذكر أنّه صاحب الضياع، وقال: يا سيدي، هذه الضياع التي قال جدّي البحتري بسببها:

وما أنا والتقسيط إذ تكتبونه   ويكتب قبلي جلّة القوم أو بعدي

وأنشدني هذه الأبيات كلّها، وقال: ذاك بكاء لأجل تقسيط يسير، فكيف يكون حالي، إذا قبضت هذه الضياع؟

قال: فتذمّمت أن أكون سبب ذهاب معيشته، فأطلقت له عنها.

---

١ أبو الفتح، الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات: الشهير بابن حنزابة: ترجمته في حاشية القصة ١/٢٥ من النشوار.

٢ كان ذلك في السنة ٣٢٤ إذ استدعى الراضي، أبا الفتح بن الفرات ليستوزره، راجع ابن الأثير ٣٢٧/٨.

٣ متكهل ومكتهل معناهما واحد: قاله الدكتور مصطفى جواد.

٢١

عامل يصفع عند المطالبة

حدّثني أبو الحسين ، قال : حدّثنا أبو الفتح ، قبل تقلّده الوزارة الأولى [١] بمدّة طويلة ، قال : حدّثني أبي [٢] ، قال :

صرفت محمد بن سيف العامل ، عن بادوريا [٣] ، وتقلّدتها ، فاستدركت عليه أشياء كثيرة ، وطالبته بها ، فلم يردّ فيها شيئاً .

فأخرجته يوماً إليّ ، وناظرته ، فأقام على أمر واحد ، فاغتظت عليه وأمرت بصفعه ، فلم يتأوّه ، ولم يزل يصيح : واحدة ، فإذا صفع أخرى قال : ثانية .

وعلى هذا ، إلى أن صفع ثلاث عشرة صفعة .

فتعجّبت من عدّه ، وقلت : يا هذا ، ويحك أيّ فائدة لك في العدّ ؟ وأن لا تستعفي .

قال : أنا أعدّد ذلك — أعزّك الله — لأصفعك بعدده ، بعد أيّام ، إذا صرفتك ، وتقلّدت مكانك ، فلا أظلمك بالزيادة ، ولا تفوز بالنقصان .

قال : فأخجلني ، فقلت : قم ، في غير حفظ الله إلى منزلك .

فأطلقته ، وذهب المال .

---

١ وزر أبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات أول مرة للمقتدر سنة ٣٢٠ ، وقتل المقتدر وهو وزيره ، ثم وزر ثاني مرة للراضي سنة ٣٢٤ ، ترجمته في حاشية القصة ١/٢٥ من النشوار .

٢ جعفر بن محمد ، أخو الوزير علي بن محمد ، أبي الحسن بن الفرات : كان يتقلد الأعمال ، وفي كتاب الوزراء للصابي (٣٩٣) شهادة من الوزير علي بن عيسى بأن جعفر هذا كان من العمال الظلمة .

٣ بادوريا : انظر حاشية القصة ١/٦٦ من النشوار .

٢٢

حمال مستور

حدّثني أبو الحسين [١] ، قال : حدّثنا نفطويه [٢] ، قال : حدّثنا ثعلب [٣] ، قال :

كان عندنا في الحربية [٤] ، حمّال مستور [٢٢] ، يوصف بالزهد ، وكان لا يحمل لأصحاب السلطان شيئاً [٥] ، وكان إذا حَمَل على قدر قوته – على ضيق – لم يزدد عليه شيئاً ، وأراح نفسه ، ولا يحمل إلاّ كارة [٦] خفيفة ، مثل لحم وفاكهة ، وما يكون قدره خمسين رطلاً أو نحوه .

قال : فاتّبعته يوماً ، وهو لا يعلم أنّي خلفه ، فرأيته يضع رجلاً ، ويقول : الحمد لله ، ويرفعها ، ويقول : أستغفر الله .

فقلت له : لم تفعل هذا ؟

فقال : أنا بين نعم لله ، وذنوب ، فأنا أحمده – عزّ وجلّ – على نعمه ، وأستغفره من ذنوبي .

---

١ أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن الحارث بن عياش الجوهري البغدادي : ترجمته في حاشية القصة ٢/٢٢ من النشوار .

٢ نفطويه : أبو عبد الله ، إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي ، ترجمته في حاشية القصة ٤/١٣٣ من النشوار .

٣ ثعلب : ترجمته في حاشية القصة ٢/١٥٩ من النشوار .

٤ الحربية : محلة كبيرة مشهورة ببغداد ، عند باب حرب ،قرب مقبرة بشر الحافي،وأحمد بن حنبل ، (معجم البلدان ٢/٢٣٢) .

٥ يعني أن زهده يمنعه من قبول مال من أصحاب السلطان ، لأنه – في نظره – حصل من جباية مخالفة للشرع ، فيكون في حكم المغصوب ، ويتعين رده إلى أصحابه ، وكل تصرف يجري بخلاف ذلك فهو مخالف للشرع .

٦ الكارة : كل ما يمكن أن يكور ويحمل من ثياب أو طعام أو حطب أو نحوها .

فأردت امتحانه ، فقلت : ما تقول في عليّ وأبي بكر ؟

فقال : إذا نشرت الدواوين ، ووضعت الموازين ، أأسئل عن ذنوبي ، أم عن تفضيل أبي بكر وعلي ؟

فقلت : بل عن ذنوبك .

فقال : فلي في نفسي شغل عن معرفة الأفضل منهما [1] .

---

[1] من أحسن ما يروى عن الفقيه الواعظ أبي الفرج بن الجوزي : أنه وقع النزاع ببغداد ، بين أهل السنة والشيعة ، في المفاضلة بين أبي بكر وعلي ، فرضي الكل بما يجيب به الشيخ أبو الفرج ، فأقاموا شخصاً سأله عن ذلك ، وهو على الكرسي في مجلس وعظه ، فقال : أفضلهما من كانت ابنته تحته ، قال ابن خلكان : وهذا من لطائف الأجوبة ، ولو حصل بعد الفكر التام ، وإمعان النظر ، كان في غاية الحسن ، فضلا عن البديهة (وفيات الأعيان ١٤١/٣ و ١٤٢) .

٢٣

حامد بن العباس

وبوّاب الوزير إسماعيل بن بلبل

حدّثني أبو الحسين ، قال : حدّثني أبي ، قال : سمعت حامد بن العباس[1] يقول :

ما في الدنيا أضرّ على الإنسان من مداجاة العدوّ ، وينبغي أن تشهر ما بينك وبين عدوّك ، حتّى لا يقبل قوله فيك .

قال ، وسمعته يقول : ربما انتفع الإنسان في نكبته بالرجل الصغير ، أكثر من منفعته بالكبير .

فمن ذلك : أنّ إسماعيل بن بلبل[2] ، لما حبسني ، جعلني في يدّ بوّاب ، كان يخدمه قديماً ، قال : وكان رجلاً حرّاً ، فأحسنت إليه ، وبررته ، وكنت أعتمد على عناية أبي العباس بن الفرات .

وكان البوّاب قديم الخدمة لإسماعيل ، يدخل إلى مجلس الخاصة ، ويقف بين يديه ، فلا ينكر ذلك خدمه عليه ، لسالف الصحبة .

فصار إليّ في بعض الليالي ، فقال : قد حرد الوزير على ابن الفرات ، وقال له : ما يكسر المال على حامد غيرك ، ولا بد من الجدّ في مطالبته بباقي مصادرته ، وسيدعو بك الوزير في غدٍ إلى حضرته ، ويهدّدك .

فشغل ذلك قلبي ، فقلت له : فهل عندك من رأي ؟

فقال : اكتب رقعة إلى رجل من معامليك ، تعرف شحّه ، وضيق نفسه ،

---

١ حامد بن العباس : وزير المقتدر ، راجع ترجمته في حاشية القصة ١/٥ من النشوار .

٢ إسماعيل بن بلبل : وزير المعتمد ، راجع ترجمته في حاشية القصة ١/٧٦ من النشوار .

والتمس منه لعيالك ألف درهم يقرضك إيّاها ، واسأله أن يجيبك على ظهر رقعتك ، لترجع إليك ، فتخرجها ، فإنّه لشحّه وسقوطه ، يردّك بعذر ، واحتفظ بالرقعة ، فإذا طالبك الوزير ، أخرجتها [٢٣] إليه ، وقلت : قد أفضت حالي إلى هذا ، وأخرجتها على غير مواطأة ، فلعلّ ذلك ينفعك .

ففعلت ما قاله ، وجاءني جوابه بالردّ ، كما حسبنا ، فشددت الرقعة معي .

فلما كان من غدٍ ، أخرجني الوزير ، وطالبني ، فأخرجت الرقعة ، وأقرأته إيّاها ، ورقّقته ، وتكلّمت ، فلانَ واستحيا ، وكان ذلك سبب خفّة أمري ، وزوال محنتي .

فلمّا تقلّدت في أيّام عبيد الله بن سليمان [1] ، سألتُ عن البواب ، واجتذبته إلى خدمتي ، فكنت أجري عليه خمسين ديناراً كل سنة .

وهو باق معي إلى الآن .

---

[1] أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب الوزير : راجع ترجمته في حاشية القصة ٣٢/١ من النشوار .

٢٤

عامل مصروف يختبىء في قدر هريسة

حدّثني أبو الحسين ، قال : حدّثني أبي ، عن جدي عبد الله بن هشام ، قال : حدّثني يحيى بن عبد الله الكسكري [١] ، قال :

كنتُ أكتب لابن البختري الأصغر على مصر ، فصرف بسليمان بن وهب [٢] ، وخرج معه ابنه عبيد الله [٣] — وكان يخلفه عليها — .

فجلس العامل ابن البختري لرفع حسابه ، وتخلّوا لنظم الحساب ، وكنت أغدو وأروح إلى سليمان ، أعرض عليه ما أعمل .

وكان قد وكّل بابن البختري ، قائداً من قوّاد مصر ، معه عدّة من الفرسان ، والرجّالة ، والغلمان ، وكان ابن البختري يقيم لهم الطعام الواسع .

وحضر المهرجان ، فتقدّم بأن تحضر قدر النبيذ ، وتعمل فيها الهريسة ، في الدار التي كان فيها معتقلاً .

وكان قصيراً ضئيلاً ، فجاءوا له بالقدر ، وطبخ فيها الهريسة ، في جملة الطعام ، وأكل الموكلون ، وشربوا ، وسكروا .

وأعمل هو الحيلة ، فجلس في القدر ، وغطّيت عليه ، وأخرجت ، ولم يعرفوا خبره ، حتى طلبوه لمّا أفاقوا ، فلم يجدوه .

قال يحيى بن عبد الله : ولم أكن أنا عرفت الخبر ، فبكّرت إلى سليمان ،

---

١ كسكر : كورة واسعة قصبتها واسط (معجم البلدان ٤/٢٧٤) .

٢ أبو أيوب سليمان بن وهب بن سعيد : وزير المهتدي والمعتمد ، من أهل واسط ، ومن أصل مسيحي ، وهو أحد كتاب الدنيا ورؤسائها ، فضلا ، وأدباً ، وكتابة ، وأحد عقلاء العالم ، وذوي الرأي ،خلع المهتدي وهو وزيره (الفخري ٢٤٧) .

٣ أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب : ترجمته في حاشية القصة ١/٣٢ من النشوار .

على رسمي ، فوجدت عبيد الله جالساً ، متشاغلاً بطلبه ، وقد ضجّ ، وهو يقول : أيّ شيء أقبح من أن يتّصل بالخليفة ، أنّا عجزنا عن حفظ العامل المصروف ، فيقال فينا : كيف يحفظ هؤلاء الأموال ، والأعمال، مع عجزهم عن حفظ محبوس ؟ وجعل يضرب الناس في التقرير عليه .

وأمر بالقبض عليّ ، لمّا رآني ، فقلت له : أعزّك الله ، لو كان عندي علم بالخبر ما جئتك ، قال : فصدّق قولي ، وكان حضوري سبب [٢٤] خلاصي .

قال : ووقع في يده وكيل نصرانيّ لابن البختري ، يتوكّل في مطبخه ، وكان نبطيّاً ، وقيل له : إنّه لا يجوز أن يخفى عليه خبره ، فجعل يضربه .

وكان في المجلس سليمان بن وهب ، وأصحاب البرد والأخبار ، والناس بأجمعهم .

وكنت أحسن النبطيّة ، ولم يكن عبيد الله يحسنها .

فلما حمي الضرب على الوكيل ، كاد أن يقرّ على موضع ابن البختري ، ففهم ذلك سليمان ، ولم يحب أن يأمره بالإنكار ، فيكتب بالخبر ، وأراد أن يسلم المنكوب ، سلوكاً لمذهب الناس قديماً ، في طلب السلامة ، بالإبقاء على أعدائهم .

قال : فقال للمضروب كلاماً بالنبطية ، تفسيره : لا تقرّ ، فإنّ الإقرار مثل القير لا ينقلع .

قال : فتصبّر الرجل على الضرب ، ثم قال سليمان لعبيد الله : إلى كم تضرب هذا البائس ؟ لو كان يعرف شيئاً لقاله ، اقطع عنه الضرب ، لا يتلف ، فتدخل في دمه .

قال : فرفع الضرب عنه ، وأطلق من يومه ، وأفلت المستتر .

٢٥

من مكارم أخلاق المأمون

حدّثني أبو الحسين ، قال : حدّثني أبو بكر محمد بن عبد الملك التاريخيّ [١] ، قال : حدّثنا المبرّد [٢] ، قال : حدّثني الحسن بن سهل [٣] ، لمّا أسنّ ، وجلس في بيته ، قال :

دخلت يوماً إلى المأمون ، وهو جالس ، وبحضرته جماعة من خواصّه ، منهم إسحاق بن إبراهيم بن مصعب [٤] ، وكان في يده كتاب يقرأه ، فلم ينظر إليّ ، فوقفت قائماً .

فقال له إسحاق : يا أمير المؤمنين ، أبو محمد ، الحسن بن سهل .

فقال لي : اقعد ، فقعدت .

فقال : أحضر دواتك ، فأحضرت .

فقال : وقّع بتقليد إسحاق بن إبراهيم ، جميع أعمال المعاون [٥] بالسواد [٦] ، جزاء له على ما نبّه عليه من تكرمتك يا أبا محمد .

فشكرته ، ودعوتُ له ، ووقّعت بذلك .

---

١ ورد في القصة ١٦/٨ من النشوار سبب تسميته بالتاريخي .

٢ أبو العباس محمد بن يزيد الثمالي المعروف بالمبرد : ترجمته في حاشية القصة ١٤٦/١ من النشوار .

٣ أبو محمد الحسن بن سهل السرخسي : ترجمته في حاشية القصة ١٦٢/١ من النشوار .

٤ أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب : ترجمته في حاشية القصة ٦٨/٣ من النشوار .

٥ أعمال المعاون : أعمال الإدارة .

٦ السواد : يراد بالسواد رستاق العراق ، راجع حاشية القصة ٦٧/٤ من النشوار .

٢٦

الشاعر الكوفي أبو الحسن البصير

أنشدني أبو الحسن محمد بن غسان بن عبد الجبار بن أحمد الداري ، الصيدلانيّ ، البصري [1] ، قال : أنشدني أبو الحسن عبد الله بن سليمان الكوفي ، الضرير ، المعروف بالبصير ، لنفسه :

واحربا ما الذي لقيت أنا   أحمل في كلّ بلدة شجنا
أدخلها وادعــاً فتجلب لي   رقة قلبي من أهلها سَكَنا[٢٥]

---

١ أبو الحسن محمد بن غسان بن عبد الجبار بن أحمد الداري ، الصيدلاني ، البصري ، نعته صاحب النشوار في هذه القصة بالصيدلاني ، ونعته في القصة ٨/١٠٢ من النشوار بأنه أبو الحسن محمد بن غسان الطبيب ، ونعته في القصة ٣/١٤٠ من النشوار ، بأنه أبو الحسن بن غسان المتطبب البصري ،وذكره في القصتين ٨/٢٧ و ٨/١٠١ بأن أورد اسمه من دون نعت ، والداري: على ما ورد في اللباب ١/٤٠٥ إما نسبة إلى قرية اسمها : دارواشكيذبان ، وإما نسبة للعطر الذي يجلب من دارين، وإما نسبة للدراية، راجع ترجمة أبي الحسن بن غسان في حاشية القصة ٣/ ١٤٠ من النشوار ، وفي تاريخ الحكماء للقفطي ٤٠٢ ، وفي حكاية أبي القاسم البغدادي ص ٨٣ .

٢٧
الخارجي وصلاة الجمعة

حدّثني أبو الحسن محمّد بن غسّان بن عبد الجبار ، قال :

رأيت بعُمان شيخاً من الخوارج ، قد دخل في يوم جمعة ، من ناحية بلد الشراة ، إلى السوق بعُمان ، وكانت طريق الناس إلى الجامع ، والناس يتعادون إلى حضور الجمعة ، خوفاً من فوتها ، والخارجيّ ماشٍ الهُوينا [1] في حاجته ، لا يراعي أمر الجمعة ، فإذا بشيخ قد جاء من ناحية الجامع ، فالتقيا .

فقال الشيخ للخارجي ، وهو لا يعرفه ، وقدّر أنّه يريد الجامع : إلى أين تمضي يا شيخ ؟ وقد صلّى الناس وفاتتك الصلاة ؟

فقال الخارجي : يا أبله ، إنّما فاتت من أدركها .

يريد أنّ التجميع معهم ، لا يسقط الفرض الذي هو الظهر ، وهو إذا جَمَّع معهم ترك الظهر ، فتفوته الصلاة الواجبة ، وهي الظهر ، ويصلّي ، ما لا يجزي عنه في مذهبه من تكفيرهم .

قال : ولم يفهم الشيخ ما سمعه .

وقلت أنا للخارجيّ : أظنّك — أعزّك الله — شارياً ؟

قال : فقال : نعم ، والحمد لله .

قال : وهم يستحبّون أن يقال لهم شراة، ويأبون أن يقال لهم : خوارج، ويذهبون إلى قوله تعالى ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ [2].

---

١ الهوينا ، بضم الهاء : التؤدة .

٢ ٢٠٧ م البقرة ٢ .

٢٨

أحد القائلين بالتناسخ

يدعي أنّ الهرّة أمّه

حدّثني أبو الحسن عليّ بن نظيف [١] البغدادي ، المعروف بابن السراج ، المتكلم ، المعروف بالبهشمي [٢] ، قال :

كان يجتمع معنا في المجالس ببغداد ، شيخ للإماميّة يعرف بأبي بكر بن الفلاّس ، وكان طيّباً ، فحدّثنا يوماً : أنّه دخل على بعض من كان يعرفه بالتشيّع ، ثم صار يقول بمذهب أهل التناسخ [٣] ، قال : فوجدته ، وبين يديه سنّور سوداء ، وهو يمسحها ، ويحكّ بين عينيها ، ورأسها ، وعينها تدمع ، كما جرت العادة في السنانير بذلك ، وهو يبكي بكاء شديداً .

فقلت له : لِم تبكي ؟

---

١ سبق لصاحب النشوار ، أن أورد اسم علي بن نظيف ، في القصة المرقمة ٣/٦٠ ، فغيرته إلى : لطيف ، كما ورد في معجم البلدان ٤/٦٨ ، ولما ورد الاسم ،في هذه القصة، مطابقاً لما ورد في القصة ٣/٦٠ ، ترجح لي أن ما أثبته صاحب النشوار في الجزء الثالث، بأنه علي بن نظيف ، هو الصحيح .

٢ البهشمي : نسبة إلى طائفة من المعتزلة يقال لهم البهشمية، ينتمون إلى أبي هاشم بن أبي علي الجبائي زعيم المعتزلة (الأنساب للسمعاني ص ٩٧) .

٣ التناسخ : تعلق الروح بالبدن ، بعد مفارقتها بدناً آخر ، من غير تخلل زمان بين المفارقة والتعلق (التعريفات للجرجاني ٤٧) ، والقائلون بالتناسخ ، على فرقتين : الأولى تقول : إن الأرواح تنتقل بعد مفارقتها الأجساد إلى أجساد من نوعها، والثانية تقول: إن الأرواح تنتقل إلى أجساد أخر ، وإن لم تكن من نوع الأجساد التي فارقت ، وإن الفاسق السيء العمل، تنتقل روحه إلى أجساد البهائم الخبيثة (الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ١/٩٠ و٩١) .

فقال : ويحك ، ما ترى هذه السنور تبكي كلما مسحتها ؟ هذه أمّي لا شك ، وإنّما تبكي من رؤيتها لي حسرة .

قال : وأخذ يخاطبها خطاب من عنده أنّها تفهم عنه، وجعلت السنّور تصيح قليلاً قليلاً .

قال : فقلت له ، وأنا معتقد الطنز به [1] : فهي تفهم ما تخاطبها به ؟

فقال : نعم .

فقلت له : أفتفهم أنت عنها صياحها ؟

فقال : لا .

فقلت له : [٢٦] فأنت إذن الممسوخ ، وهي الإنسان [2] .

---

١ الطنز : السخرية .

٢ القائلون بالتناسخ ، يقولون : إن انتقال الروح من شخص إلى شخص ، وما يلقى من الراحة والتعب ، والدعة والنصب ، مرتب على ما أسلفه من قبل، وهو في بدن آخر، جزاء على ذلك ، وان الإنسان أبداً في أحد أمرين ، إما في فعل ، وإما في جزاء ، وما هو فيه، إما مكافأة على عمل قدمه ، وإما عمل ينتظر المكافأة عليه (الملل والنحل للشهرستاني ٩١/٢) .

٢٩

كتاب تعزية

كتب محمد بن عيسى ، أحد كتّاب زماننا ، بتعزية إلى صديق له ، قرأته بخطّه ، فاستحسنت منه صدره ، ونسخته :

من سرّه امتداد عمره ، ساءته فجائع دهره ، بفقد حميم ، أو طارق هموم ، عادة للزمان معروفة، وسنّة للحدثان [١] مألوفة ، وأحقّ من سلّم للأقضية والأقدار ، من وهب الله تعالى له جميل الاصطبار ، فإن أصابته مصيبة ، تلقّاها مسلماً ، أو [نابته] نائبة ، وجدته محتسباً [٢] .

---

١ الحدث : الأمر الواقع ، وأحداث الدهر : مصائبه ، وحدثان الدهر : نوائبه .

٢ الاحتساب : من الحسب ، أي العد ، ويقال لمن ينوي بعمله وجه الله : احتسبه ، لأن له أن يعتد عمله في حسناته ، ويقال لمن فقد ولداً كبيراً : احتسبه ، أي احتسب الأجر بصبره على مصيبته ، أي أنه اعتد مصيبته في جملة بلايا الله التي يثاب على الصبر عليها ، راجع لسان العرب ، مادة : حسب .

٣٠

شاعر يقتضي ثواب مديح

كتب إليّ عمرو بن محمد بن الأشعث ، شاب ورد من عمان ، مجتازاً بواسط — ذكر أنّه كان من الجند فيها ، فزالت نعمته ، وهرب حين ملك الديلم عُمان[١] — أبياتاً في آخر رقعة له ، اقتضاني فيها ، ثواب مديح ، كان أسلفنيه ، وهي :

مات الرجاء بغيظه فَلَكَ البقا	ولربّما أفضى النعيم إلى الشقا
فإن احترقت فمن تلهّب حادث	لأقلّ منه تلهّباً أن يحرقا
إن كان عود الجود جفّ فإنّه	لم يسق ماء نداك حتّى أورقا
وأريد منك إذا حرمت مطالبي	تسعى معي فلعلني أن أرزقا

---

١ كان ذلك في السنة ٣٥٥، انظر تفصيل ذلك في أخبار السنة ٣٥٥ في تجارب الأمم ٢/٢١٨ والكامل لابن الأثير ٨/٥٦٧ و ٥٦٨ .

٣١

الانتقال في ليلة واحدة

من الحرّ إلى البرد

حدّثني أبو علي المنتاب ، قال : حدّثني أبي ، قال :

كنّا مع حامد بن العباس في ولايته ، يوماً ، جلوساً في الخَيْش[١] ، بواسط ، في النصف الأخير من تشرين الثاني ، لشدّة الحر ، فجاء البرد في ليلة ، فأصبحنا من غد ، وقد لبسنا الخزوز[٢] والمحشوّ[٣] ، وعجبنا من التفاوت بين الحالين في شدّة الحر ، وفي شدّة البرد ، في ليلة واحدة .

---

١ الخيش : راجع حاشية القصة ١/١٦٢ وحاشية القصة ٧/١٣٥ من النشوار .

٢ الخزوز ، مفردها خز : ما نسج من صوف وحرير .

٣ المحشو : ثياب تحشى بطبقة من القطن تعد للشتاء ، وكان استعمالها شائعاً في العراق حتّى الاحتلال البريطاني ، ويسمونها (لبادة) وهي فصيحة .

٣٢

في العافية طعم كل شيء

حدّثني أبو عليّ محمد بن محمد بن إسماعيل بن شانده[1] الواسطي، قال : سمعت بعض شيوخنا، يحكي عن إبراهيم الحربي[2]، أنّه قال :

في العافية طعم كل شيء، وفي الرزق نصر كل شيء .

---

١ وردت هذه الكلمة في الأصل المخطوط (ص ٢٧) بلا نقط ، وكانت قد وردت في مخطوطة الجزء الثالث من النشوار (ص ١٠٤) منقوطة : شاندة ، فأثبتها كذلك ، على أن المؤلف كنى الراوي هنا بأبي علي ، وكناه هناك بأبي الحسين (القصة ٣/٨٨ من النشوار جـ ٣ ص ١٣٠) .

٢ أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن بشير بن عبد الله بن ديسم الحربي (١٩٨ – ٢٨٥) : إمام في العلم ، رأس في الزهد ، عارف بالفقه ، بصير بالأحكام ، حافظ للحديث ، مميز لعلله ، قيم بالأدب ، جماع للغة ، صنف كتباً كثيرة ، وأصله من مرو ، وأمه تغلبية ، وأخواله أكثرهم نصارى ، نسبته إلى محلة الحربية ببغداد ، بلغ من زهده أن المعتضد بعث إليه عشرة آلاف درهم ، فردها ، فسأله أن يفرقها في جيرانه ، فقال للرسول : عافاك الله ، هذا مال لم نشغل أنفسنا بجمعه ، فلا نشغلها بتفرقته ، قل لأمير المؤمنين : إن تركتنا وإلا تحولنا عن جوارك ، راجع ترجمته في معجم الأدباء ١/٣٧ – ٤٦ ، وفي تاريخ بغداد للخطيب ٦/٢٧ – ٤٠ .

٣٣

القاضي أبو خازم والخليفة المعتضد

حدّثني أبو الحسين عليّ بن هشام[١]، قال : سمعت القاضي أبا جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخيّ، الأنباري[٢]، يحدّث أبي[٣]، وقد جئت إليه معه نهنّيه بعيد أضحى، فحدّث أحاديث، فقال : حدّثني أبو خازم القاضي[٤]، قال :

كان في حجري أيتام، ذكور وإناث، خلّفهم بعض العمال[٥]، فرددت أمانتهم، إلى بعض الشهود، فصار إليّ [٢٧] الأمين يوماً، وعرّفني أنّ عامل المستغلاّت[٦]، ببغداد، الذي يتولّى مستغلاّت السلطان، وعامل بادوريا[٧]، قد أدخلا أيديهما، في أملاك الأيتام، وذكرا أنّ الوزير عبيد الله ابن سليمان[٨]، أمرهما بذلك، عن أمير المؤمنين المعتضد[٩].

---

١ أبو الحسين علي بن هشام بن عبد الله الكاتب المعروف بابن أبي قيراط : ترجمته في حاشية القصة ٤/١٠ من النشوار.

٢ أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي القاضي : ترجمته في حاشية القصة ١/١٦ من النشوار.

٣ أبو القاسم هشام بن عبد الله الكاتب : ترجمته في حاشية القصة ٤/٢٥ من النشوار.

٤ أبو خازم عبد الحميد بن عبد العزيز، قاضي المعتضد : ترجمته في حاشية القصة ١/٣٨ من النشوار.

٥ العامل : هو الوالي، أو الحاكم، وهو ما يسمى اليوم بالموظف الإداري.

٦ في عهد الخليفة المعتضد كان للمستغلات بالحضرة عامل، وللجوالي عامل، ولسوق الغنم عامل، ولدار البطيخ والقطن عامل (الوزراء ١٧٦).

٧ بادوريا : راجع حاشية القصة ١/٦٦ من النشوار.

٨ أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب، وزير المعتضد : ترجمته في حاشية القصة ١/٣٢ من النشوار.

٩ أبو العباس أحمد المعتضد بن أبي أحمد الموفق طلحة بن المتوكل : ترجمته في حاشية القصة ١/٧٣ من النشوار.

فصرت إلى المعتضد في يوم موكب ، فلما انقضى الموكب ، دنوت منه وشرحت له الصورة .

فقال لي : يا عبد الحميد ، هذا عامل خانني في مالي ، واقتطعه ، ولي عليه مال جليل ، من نواحي كان يتولاّها من ضيعتي خاصّة ، وما لي عليه بضعف هذه الأملاك التي خلفها .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما تدّعيه عليه يحتاج إلى بيّنة ، وقد صحّ عندي أنّ هذه الأملاك أملاكه يوم مات ، ولا طريق إلى انتزاعها من يد وارثه إلاّ ببيّنة بالمال ، هذا حكم الله في البالغين ، فكيف في الأطفال ؟

قال : فسكت ساعة مطرقاً ، ثم دعا بدواة ، ووقّع بخطّه إلى عبيد الله ابن سليمان ، بالإفراج عن الضياع [1] .

---

[1] راجع أخبار أبي خازم القاضي في القصص ١/٣٨ و ١/٢٣٩ و ٣/٣ و ٣/٣١ و ٤/٦٥ و ٦/١٠٩ من النشوار .

٣٤

دهاء عبدون أخي صاعد بن مخلد

حدّثني أبو الحسين ، قال : سمعت أبا الحسن عليّ بن محمد بن الفرات [١] ، وكان يخلف أبا نوح عيسى بن إبراهيم [٢] ، على ديوان الضياع ، حدّث أنّه :

كانت في يد صاعد بن مخلد [٣] ، ضمانات كثيرة ، وكانت إليه معاملة مع أبي نوح ، وكان صاعد — إذ ذاك — من وجوه الناس ، ولم يكن بلغ المبالغ الكبار .

فحضر عنده صاعد ، أوّل خلافة المعتزّ ، ونحن حضور ، فطالبه أبو نوح بأموال وجبت عليه ، وجرت بينهما مناظرات ، أدّت إلى أن تنطّع [٤] في الجواب .

فاغتاظ أبو نوح ، فأعضّه [٥] ، فردّ عليه صاعد ، مثل ما قاله له .

فاستعظم الناس ذلك ، فاستخفّوا به [٦] ، وقالوا : يا مجنون ، يا جاهل ، قتلت نفسك ، قم ، قم .

---

١ الوزير أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات : ترجمته في حاشية القصة ١/٩ من النشوار .

٢ أبو نوح عيسى بن إبراهيم : من كبار الكتاب في الدولة العباسية ، قتله صالح بن وصيف سنة ٢٥٥ في عهد المهتدي بأن ضربه خمسمائة سوط حتى مات ، ولما بلغ المهتدي ذلك قال : أما عقوبة إلا السيف والسوط ، أما يكفي الحبس ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، يكرر ذلك مراراً (الكامل ٧/٢٠١) .

٣ صاعد بن مخلد : وزير الموفق ، ترجمته في حاشية القصة ١/١ من النشوار .

٤ التنطع في اللغة : التعمق والتبسط ، وهنا يعني التطاول على المخاطب ، ويعبر عامة بغداد عن المتنطع بأنه يحجي زايد . لغة في يحكي .

٥ أعضه : قال له : يا عاض بظر أمه .

٦ استخفوا به : استهانوا به والمعنى هنا : خاشنوه .

وخلّصوه من أن يفتك به أبو نوح في الحال ، وقالوا : هذا مجنون ، ولم يدر ما خرج من فيه .

وانصرف صاعد إلى منزله متحيّراً ، لا يدري ما يعمل فيما قد نزل به .

فحدّث أخاه عبدوناً[1] بما جرى ، فقال له : إن لم تطعني ، فأنت غداً مقبوض عليك ، مطالب من المصادرة بما لا يفي به حالك ، ولا حال من عرفك من أهلك ، ومقتول بلا شكّ ، تشفّياً منك .

قال : وما الرأي ؟

قال : كم عندك [٢٨] من المال الصامت العتيد[2] ؟ وأصدقني عن جميعه .

قال : خمسون ألف دينار .

قال : تسمح نفسك أن تتعرّى منها ، وترمي بها كأنّها لم تكن ، وتنقذ نفسك وتحرس بدنك ، وما بقي من حالك ، وضياعك ، وعقارك ، فتصير من أجلاّء الناس ؟ أو لا تسمح بذلك ، فتؤخذ الدنانير منك تحت المقارع ، وتذهب الضيعة والنعمة كلها ، وتذهب النفس ؟

قال : ففكّر طويلاً ، ثم قال : قد تعرّيت عنها في عزّ نفس[3] .

قال : أعطني منها الساعة ثلاثين ألف درهم .

قال : خذ .

فأخذها ، وجاء إلى حاجب موسى بن بغا[4] ، وقت عتمة ، وقال له :

---

١ عبدون بن مخلد : أخو الوزير صاعد ، وكان صاعد قد أسلم ، وظل عبدون على نصرانيته ، قبض عليه مع أخيه صاعد ، وأسبابهما ، وصودروا ، ونهبت منازلهم (الكامل ٧/ ٤١٧ و ٤١٩) .

٢ المال الصامت : هو النقود ، والعتيد : الحاضر المهيأ .

٣ في عز نفس : يعني من كل قلبي .

٤ موسى بن بغا : أحد القادة الأتراك الكبار ، انظر ترجمته في حاشية القصة ٥٣/٤ من النشوار .

هذه عشرة آلاف درهم ، وأوصلني إلى فلان الخادم .

قال : وكان هذا الخادم ، يتعشّقه موسى جداً ، ويطيعه في كل أمره ، وموسى إذ ذاك هو الخليفة ، وكتبته كالوزارة ، والأمور في يديه ، والخليفة في حجره[1] .

قال : فأخذ الحاجب المال ، وأوصله إلى الخادم ، فأحضره العشرين الألف درهم الباقية ، وقال : هذه هدية لك ، وتوصلني الساعة إلى الأمير ، وتعاونني في حاجة أريد أن أسأله إياها ، ومشورة أريد أن أشير عليه بها .

فأوصله الخادم .

فلما مثل بين يديه ، سعى إليه بكتّابه ، وقال : قد نهبوك ، واقتطعوا مالك ، وأخربوا ضياعك ، وأخي يجعل كتبتك أجلّ من الوزارة ، ويتغلّب لك على الأمور ، ويوفّر عليك كذا ، ويفعل كذا ، ويحمل إليك الليلة ، من قبل أن ينتصف الليل ، خمسين ألف دينار عيناً ، هدية منه لك ، لا يريد عليها مكافأة ، ولا يرتجعها من مالك ، وتستكتبه ، وتخلع عليه غداً سحراً .

قال : فقال له موسى : أفكّر .

فقال : ليس هذا موضع فكر ، وألحّ عليه .

قال : وقال له الخادم : في الدنيا أحد جاءه هذا المال العظيم دفعة واحدة ، فردّه ؟ وكاتب بكاتب ، والمال ربح .

قال : فأجابه ، وصافحه .

فقال له : فتنفذ الساعة بمن يحضرك أخي ، وتشافهه بذلك .

وأنفذ من أحضره ، وبات عبدون في الدار ، وقلّد موسى كتبته لصاعد ،

---

١ كان الخليفة المعتز بن المتوكل ، وكان موسى بن بغا المسيطر على أمور الدولة ، وهو ابن خالة المتوكل ، والد المعتز ، راجع حاشية القصة ٤/٥٣ من النشوار .

في الحال ، وأمره بالبكور إليه ليخلع عليه ، وتقدّم إلى النقباء[1] بأن يباكروا الرجل ليركبوا معه .

قال : وبكّر صاعد، وليس عند أحد له خبر ، فخلع عليه موسى بن [٢٩] بغا لكتبته ، وركب الجيش على بكرة أبيهم ، وانقلبت سرّ من رأى ، بظهور الخبر .

فبكّر بعض المتصرفين ، إلى الحسن بن مخلد[2] ، وكان صديقاً لأبي نوح ، فقال له : قد خُلِع على صاعد .

فقال : لأيّ شيء ؟

فقال : تقلّد كتبة موسى بن بغا .

فاستعظم ذلك ، وقال : ثيابي .

فأحضرت ، فلبس ، وركب إلى أبي نوح ، فقال له : عرفتَ خبر صاعد ؟

فقال : نعم ، الكلب ، وقد بَلَغَكَ ما عاملني به ؟ والله لأفعلنّ به ولأصنعنّ .

قال : أنت نائم ؟ ليس هذا أردتُ ، قد ولي الرجل كتبة الأمير موسى ابن بغا ، وخلع عليه الساعة ، وركب الجيش معه بأسرهم ، إلى داره .

فقال له أبو نوح : هذا ما لم نظنّه ، بات خائفاً ، وأصبحنا خائفين منه ، فما الذي عندك ؟

فقال : أنا أصلح بينكما الساعة .

قال : فركب الحسن بن مخلد ، إلى صاعد ، وهنّأه ، وأشار عليه أن يصالح أبا نوح، وقال له : وأنت بلا زوجة، وأنا أجعلك صهره ، وتعتضد

---

١ النقيب : العريف .

٢ أبو محمد الحسن بن مخلد : ترجمته في حاشية القصة ٢/٩٤ من النشوار .

به ، فإنّك وإن كنت قد نصرت عليه ، فهو من يعلم موضعه ، ومحلّه ، ويتجمّل بمصاهرته ، ومودّته ، وأنت حبيب على الرجل .

قال : ولم يدعه ، حتّى أجاب إلى الصلح والصهر .

فقال له : فتركب معي إليه ، فإنه هو أبو الابنة ، والزوج يقصد المرأة ، ولولا ذاك لجاءك .

قال : فحمله من يومه إلى أبي نوح ، واصطلحا ، ووقع العقد في الحال بينهما .

وزوّج أبو نوح ، في مجلسه ذلك ، ابنته الأخرى ، بالعبّاس بن الحسن بن مخلد، فولدت له أبا عيسى المعروف بابن بنت أبي نوح[1] ، صاحب بيت مال الاعطاء ، ثم تقلّد ديوان زمام الجيش لعمّه سليمان بن الحسن ، وكان أصغر سناً من أبيه .

فكانت كتبة صاعد لموسى ، ومصاهرته لأبي نوح ، أوّل رتبه العظيمة التي بلغها ، ثم تقلّبت به الحال ، حتّى ولي الوزارة .

---

١ أبو عيسى ابن بنت أبي نوح : راجع القصة ١٢١/١ من النشوار .

٣٥

حدّة طبع أبي العباس بن الفرات

حدّثني أبو الحسين ، قال : حدّثنا أبو القاسم سليمان بن الحسن [١] ، قال : كنت أخطّ بين يدي أبي العباس بن الفرات [٢] ، في أوّل وزارة عبيد الله ابن سليمان ، وأتحقّق به ، لأن أبي اصطنع أباه [٣] ، وكنت أشرب معه .

فكنّا ليلة على شراب ، وقد جرت الأحاديث ، فحدّثنا بأخبار عدة من الكتّاب والوزراء ، كانت فيهم حدّة .

وقال : كان أحمد بن الخصيب [٤] ، يركل المتظلّمين .

وكان أبو عبّاد ثابت بن يحيى [٥] ، يضربهم بالمقرعة ، إذا كان راكباً .

---

١ أبو القاسم سليمان بن الحسن : ترجمته في حاشية القصة ١/١٣٣ من النشوار .

٢ أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات : ترجمته في حاشية القصة ١/١٤٥ من النشوار .

٣ راجع تجارب الأمم ١/١٥ .

٤ جاء في الفخري ٢٣٩ : أن أحمد بن الخصيب ، كانت فيه مروءة ، وحدة ، وطيش ، فعرض له رجل ألحّ عليه، فاحتدّ ، وأخرج رجله من الركاب ، وركله بها في صدره ، فقال الشاعر :

قل للخليفة يا ابن عم محمد ... أشكل وزيرك إنــه ركال
قد نال من أعراضنا بلسانه ... ولرجله عند الصدور مجال

إقرأ في الملح والنوادر للحصري ١٦٨ – ١٧٠ الكلام الطويل الذي عمله أبو العيناء على ألسنة القوّاد ، والكتاب ، والرؤساء ، وغيرهم ، في أحمد بن الخصيب ، لما نكب .

٥ أبو عباد ثابت بن يحيى بن يسار : وزير المأمون ، كان كاتباً ، حاسباً ، وكان أهوج ، شديد الحدّة ، سريع الغضب ، انظر أخباره في الفخري ٢٢٦ ، وكان إذا اغتاظ من بعض من يكون بين يديه ، رماه بدواته ، أو شتمه فأفحش ، فقال دعبل :

أولى الأمور بضيعة وفساد ... أمر يــدبره أبو عباد
يسطو على كتابه بدواتــه ... فمضمخ بدم ونضح مداد
وكأنه من دير هزقل مفلت ... حرد يجر سلاسل الأقياد

وكان أحمد بن أبي خالد[1] ، يشتمهم .

وعدّ جماعة [٣٠] ، قال : وكان في أبي العباس ، حدّة ، وسفه لسان، فسمعنا ذلك منه ، ولم نقدم على موافقته .

فلما كان من غدٍ ، ركب وأنا معه ، في السحر ، فلقيه في الطريق ، أهل سمطيا[2] ، يتظلّمون من عاملهم ، في شيء ذكروه ، فصاح عليهم ، وشتمهم .

فتقدّم إليه أحدهم ، فألحّ عليه في الكلام ، فرفسه برجله في الركاب ، وقنّعه بالمقرعة ، وبصق عليه .

فذكرت الحديث الذي حدّثنا به من ليلته ، فضحكت .

فسمع قهقهتي ، فالتفت مبتسماً ، وقال : من أيّ شيء ضحكت يا عيّار؟

فقلت : زدتنا نتفة[3] يا سيّدي في ذلك الحديث الذي جرى البارحة .

فقال : أو قد حفظته ؟

قلت : نعم .

قال : فقال لي سليمان بن الحسن : سمعت دفعات لا أحصيها ، أبا العباس ابن الفرات ، وقد احتدّ طبعه على قوم غضب عليهم ، وكان يقول للواحد منهم : يا ابن مائة ألف كرّ خردل مضروبة في مائة ألف مثلها زواني ، تشاغل بحساب هذا فهو أنفع لك[4] .

---

١ أحمد بن أبي خالد الأحول ، وزير المأمون : ترجمته في حاشية القصة ٢/١١٠ من النشوار .

٢ لعلها : سميا : قرية تجاور بانقيا من نواحي الكوفة (معجم البلدان ١/٤٨٤ و ٢/١٤٧) .

٣ النتفة : ما تنتفه بإصبعك من نبت ونحوه ، ويقال : أعطاه نتفة من الطعام وغيره، أي شيئاً قليلا منه ، والكلمة لم تزل مستعملة في العراق بهذا المعنى .

٤ راجع ما يماثل هذه الشتيمة ، في القصة ٦/٥١ من النشوار ج ٦ ص ٨٤ سطر ١٢ .

٣٦

سفه لسان حامد بن العباس

قال أبو الحسين : وما رأينا ولا سمعنا ، برئيس أسفه لساناً ، من حامد ابن العباس [١] ، فإنه كان لا يردّ لسانه عن أحد البتة ، وكان إذا غضب شتم .

فمن ذلك : أنّ أبي حدّثني ، أنّه كان بحضرته في مجلس حافل ، فجاءت أمّ موسى القهرمانة [٢] ، فقالت له : إنّ أمير المؤمنين [٣] أمرني أن أقول لك ، في مجلس حفلك ، أنّ ابن الفرات [٤] ، كان يحمل إليّ خريطة [٥] في كلّ يوم فيها ألف دينار ، وإلى السيدة عشرة آلاف دينار في الشهر ، وإلى الأمراء والقهارمة ، خمسة آلاف دينار في الشهر ، وأنّك قد أخللت [٦] منذ أربعين يوماً .

فقال لها في جواب ذلك : الساعة قد جئت حادّة محتدّة ، تطالبيني بهذا ؟ اضرطي والتقطي ، واحذري لا تغلطي .

قال : فقامت خجلة [٧] ، وكان ذلك أحد أسباب سقوطه عندهم ، وغلبة عليّ بن عيسى [٨] على الأمور .

---

١ أبو محمد حامد بن العباس ، وزير المقتدر : ترجمته في حاشية القصة ١/٥ من النشوار .
٢ أم موسى الهاشمية ، قهرمانة المقتدر : ترجمتها في حاشية القصة ١/١٢٨ من النشوار .
٣ تريد بأمير المؤمنين ، الخليفة المقتدر : ترجمته في حاشية القصة ١/٩ من النشوار .
٤ أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات ، وزير المقتدر : ترجمته في حاشية القصة ١/٩ من النشوار .
٥ الخريطة : وعاء من الجلد يشد على ما فيه .
٦ تريد أنه انقطع عن حمل المبالغ المقررة .
٧ المفوات النادرة ٢٧٩ .
٨ أبو الحسن علي بن عيسى ، وزير المقتدر : ترجمته في حاشية القصة ١/١٤ من النشوار .

ومن ذلك : أنّه استحضر ابن عبد السلام العَدْل[1] ، يطالبه بوديعة ، سُعِيَ بأنّها عنده لابن الفرات ، وأنّ يحيى بن عبد الله الدقيقي ، أبا زكريا[2] ، قرابة أم كلثوم ، قهرمانة ابن الفرات ، أودعه ذلك [٣١] .

فجرى الخطاب بينهما في ذلك ، وعليّ بن عيسى حاضر ، والخلق من القضاة والأشراف والأولياء ، وكنت فيهم ، وأنا حدَث مع أبي .

فقال له : هذا الدقيقي ابن البظراء[3] ، قرابة أم كلثوم العفلاء[4] ، تعرفه ؟

فقال العدل : الوزير أعزّه الله ، أعرف به مني[5] .

ومن ذلك : أنّه قال لابن الحواريّ[6] ، في دار الخليفة ، وأمّ موسى حاضرة ، ليلة قدم من واسط ليتقلّد الوزارة ، في حديث جرى بينهما : قد نكت أمّه مرتين[7] .

فقالت أمّ موسى : ويلي ، أيّ شيء هذا ؟

فاستحيا ، وقال لابن الحواري : نحن في السواد ، إذا غلبنا خصومنا ، قلنا ، قد نكنا أمّهاتهم[8] .

ومنها : أنّه استحضر الوليد بن أحمد ، ابن أخت الراسبي ، ليصادره

---

١ العدل ، في اللغة : الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط ، وفي اصطلاح الفقهاء : من اجتنب الكبائر ، ولم يصر على الصغائر ، وغلب صوابه ، واجتنب الأفعال الخسيسة كالأكل في الطريق ، والبول فيه (التعريفات) .

٢ أبو زكريا يحيى بن عبد الله الدقيقي : قهرمان الوزير ابن الفرات (الوزراء ٦٠ و ١٩٥) .

٣ البظراء : ذات البظر البارز ، والبظر هنة بين اسكتّي المرأة ، والبظراء : لفظة شتم .

٤ العفلاء : المصابة بالعفل ، وهو استطالة من اللحم تظهر في عورة المرأة .

٥ المفوات النادرة ٢٨٠ .

٦ أبو القاسم علي بن محمد الحواري : ترجمته في حاشية القصة ٦٣/١ من النشوار .

٧ المفوات النادرة ٢٨٠ .

٨ ما يزال هذا التعبير شائعاً بين العامة في بغداد والسواد .

بمصادرة قد وُقف عليها، عشية عيدٍ أتى عليه في وزارته ، ولم يشغله حضور الناس عنده للتهنئة بالعيد .

فأتي بالرجل بجبة صوف، فلما رآه علي بن عيسى ، وكان حاضراً، قال : إن رأى الوزير أن يخليني وإياه لأخاطبه ، وأقوده إلى امتثال أمره .

فقال : افعل .

واستدعاه إليه ، وجعل يسارّه ، وكان عليّ بن عيسى ، قريب المجلس من حامد ، يسمع عليه ما يخاطبه به .

فسمع الوليد يحلف قليلاً ، قليلاً ، ما بقيت لي حيلة .

فقال لعليّ بن عيسى : يا أبا الحسن ، تلومني[1] الساعة ، أن أنيك أمّ هذا ؟

فقال علي بن عيسى : اللهم غفراً ، أي والله ، أيّ لوم .

قال : وكان ابن عبدوس الجهشياري ، الذي ألّف كتاب الوزراء ، قائماً على رأس عليّ بن عيسى ، لأنّه كان يحجب أبا الحسن، وكان أبوه من قبله مضموماً إليه رئاسة الرجال ، برسم عليّ بن عيسى الوزير ، وكان يحجبه أيضاً .

قال : فتنحّى ابن عبدوس من مكانه ، وقال : لعن الله زماناً صرت أنت فيه وزيراً .

ومنها : أنّني سمعته ، وقد اجتاز على باب دار كنّا ننزلها بشارع الكوفة ، إذ ذاك ، وأنا قائم على الباب ، وقد اتّفق أن كلّمه في الموضع ، قوم من أهالي بادوريا ، في خراج النخل الشهريز، وأكثروا ، وأنّهم يبيعون المائة رطل منه – وهي حمل نخلة – بدرهمين ، وخراجها ثلاثة دراهم، وأنّهم يمنعون من قلعه ، فإما أذن لهم في ذلك ، وإمّا خفّف عنهم من الخراج .

---

١ في الأصل : يلذّ لي ، والتصحيح من المفوات النادرة ٢٨٠ .

قال : فصاح عليهم ، وقال : ليس لي في هذا نظر ، قد صار النظر في هذا وشبهه ، إلى عليّ بن عيسى ، فامضوا إليه .

قال : فانصرف القوم ؛ وسار خمس خطى أو نحوها، ثم وقف، وقال : ردّوهم ، فردّهم [٣٢] الرجّالة .

فقال لهم : كأنّي بكم ، تمضون إلى عليّ بن عيسى ، وتقولون : قد أحالنا الوزير عليك ، وأجابنا، وأمّي إن كنت أجبتكم إلى هذا زانية ، وأمكم إن قلتم هذا زانية ، وأمّ علي بن عيسى إن أجابكم إلى هذا زانية [١] .

ثم سار متوجهاً إلى بستانه المعروف بالناعورة [٢] ليتنزه .

ومن ذلك : أنه كان يجتمع مع عليّ بن عيسى ، في دار الخليفة ، لما ضمن حامد في وزارته السواد ، وصار عليّ بن عيسى مستوفياً عليه ، ومطالباً له ، فيتناظران في أمر المال ، فيحتفيه [٣] عليّ بن عيسى ، بالحجّة ، فيعدل هو به إلى السب والسفه ، فيقول له عليّ بن عيسى : سلاماً ، سلاماً .

يريد بذلك ، قول الله تعالى : ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون، قالوا سلاماً ﴾ [٤].

فلما كثر ذلك على حامد ، قال له يوماً عقيب سفه جرى عليه منه : كم تذكر سلامه الذي ينيك أختك أسماء [٥] ؟

فقام عليّ بن عيسى ، وقال : ما بعد هذا شيء، وتجنّب مخاطبته بعد ذلك.

وقال لعليّ بن عيسى مرة بحضرة المقتدر : أنا والله ، نكت هذا مرتين ، وهو أمرد .

---

١ الهفوات النادرة ٢٨١ .

٢ في السنة ٣٠٩ أهدى الوزير حامد بن العباس إلى المقتدر البستان المعروف بالناعورة ، بناه له ، وأنفق عليه مائة ألف دينار ، وعلق على المجالس التي فيه الستائر ، وفرشه باللبود الخراسانية ، ثم أهداه إليه (المنتظم ١٥٩/٦) .

٣ احتفى المرعى : لم يترك فيه شيئاً .

٤ ٦٣ ك الفرقان ٢٥ .

٥ الهفوات النادرة ٢٨٢ .

٣٧

من عجائب صنع الله

حدّثني أبو الحسين، قال : رأيت ببغداد ، في سنة ثلاث عشرة وثلثمائة ، وأبي ، وأنا ، مستتران في الكرخ [١] ، طوّافاً ، يصيح ويقول : انظروا إلى قدرة الله ، في رأس بقرة ، برأسين وأربعة أعين ، فرأيت ذلك كما وصف .

ورأيت معه فرّوجاً له ثلاثة أرجل ، يمشي بهن ، ولا يعرج .

---

١ أبو الحسين علي بن هشام بن عبد الله المعروف بابن أبي قيراط ، وأبوه : هشام بن عبد الله المعروف بأبي قيراط ، كانا من كتاب ابن الفرات وزير المقتدر ، وكانا أثيرين عنده ، متحققين به ، فلما قبض على ابن الفرات ، كما أوردنا في ترجمتهما ، في السنة ٣١٢ ، وقتل هو وولده صبراً ، استتر أبو الحسين وأبوه ، راجع ترجمة أبي الحسين علي بن هشام في حاشية القصة ٤/١٠ من النشوار ، وترجمة والده أبي القاسم هشام بن عبد الله في حاشية القصة ٤/٢٥ من النشوار .

٣٨

الرياسة دين لا يقضى

وحدّثني أبو الحسين ، قال : سمعت أبي يقول :

لما ولي أبو الحسن بن الفرات ، الوزارة الأولى[١] ، لم يبدأ بتقليد أحد ، قبل أبي العباس أحمد بن محمد بن بسطام[٢] ، وكان مقيماً في مصر ، على عطلة ، فكاتبه بأجلّ مكاتبة ، وقلّده أعمال مصر ، وزاده في الدعاء[٣] .

وقال : هذا رجل ، قد جرت له عليّ رياسة ، والرياسة دين لا يقضى[٤] .

---

١ وزر أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات أول مرة للمقتدر سنة ٢٩٦ (تجارب الأمم ١/٨) .

٢ أبو العباس أحمد بن محمد بن بسطام : ترجمته في حاشية القصة ٦/١٢٧ من النشوار .

٣ نسخة الكتاب مثبتة في كتاب الوزراء للصابي (ص ١٠٠) .

٤ مثل هذا القول ، صدر عن أبي العباس بن الفرات أخي أبي الحسن الوزير ، وهو مثبت في كتاب الوزراء (ص ٢٧٥) .

٣٩

ابن الفرات يتعصب لآل نوبخت

قال أبو الحسين : وسمعت أنا — في الوزارة الثالثة — أبا الحسن بن الفرات، يقول : — وقد دفع إليه صاحب الخبر ، خبراً ، فقرأه ، وخرّقه — ثم قال : يتمعّضني الناس[1] ، بتعطيلي مشايخ الكتّاب ، وتفريقي الأعمال على آل بسطام ، وآل نوبخت، والله ، لولا أنّه لا يحسن تعطيل نفرٍ من العمال ، وقد قلّدتهم ، لما استعملت في الدنيا ، إلاّ آل [٣٣] نوبخت ، دون غيرهم .

قال أبو الحسين : وإنّما كان يتعصّب لآل بسطام لرياسة أبي العباس عليه[2] وللمذهب ، ويتعصّب لآل نوبخت ، للمذهب[3] .

---

١ معضه : غضب منه .

٢ يريد به أبا العباس أحمد بن محمد بن بسطام .

٣ يريد : أن ابن الفرات شيعي ، وآل نوبخت شيعة .

٤٠

المعتضد والعمال المنكوبون

حدّثني أبو الحسين ، قال : سمعت جماعة من مشايخ الكتّاب ، يقولون:

كان المعتضد[١] ، إذا نكب رجلاً من جلّة العمال ورؤسائهم ، وكّل به من يحفظه من قِبَله ، ولم يمكّن عبيد الله[٢] من نفسه .

وربما أمر بصيانته ، وشدّد الوصية في أمره ، من غير توكيل به من جهته ، ولا أطماع في المال .

وكان إذا وكّل به ، يظهر أنّ التوكيل للمطالبة ، وزيادتّها ، والتشدّد فيها ، لا لحفظ نفسه ، فيطمع العامل .

قال : وكان يقول : هؤلاء من أكابر العمال الذين قد قامت هيبتهم في نفوس الرعية ، وعرفوا أقطار البلاد ، هم أركان الدولة ، وأنداد[٣] الوزارة ، والمرشّحون لها ، فإن لم تحفظ نفوسهم ، وضع ذلك من الأمر ، وأثّر فيه .

---

١ أبو العباس أحمد المعتضد : ترجمته في حاشية القصة ١/٧٣ من النشوار .

٢ أبو القاسم عبيد الله بن سليمان ، وزير المعتضد : ترجمته في حاشية القصة ١/٣٢ من النشوار .

٣ في الأصل : وأضداد .

٤١

لون من ألوان التعذيب

حدّثني أبو الحسين ، عليّ بن هشام ، قال : حدّثني أبو منصور عبد الله ابن جبير النصراني[1] ، كاتب ابن الفرات ، قال :

لما نكبت ، بنكبة أبي الحسن بن الفرات ، بعد الوزارة الأولى ، سلّمت إلى أبي الحسن عليّ بن أحمد بن يحيى بن أبي البغل[2] ، فحبسني عنده ، وكان يطالبني بالمال ، فأدفع عن نفسي .

إلى أن أحضرني يوماً ، فخاطبني في المال ، فلم أذعن بشيء ، فدعا بمزيّن ، وأمره أن ينتف بالمنقاش ربع شعر رأسي .

فلما نتف منه طاقات يسيرة ، كدت أتلف ، وقام هو ، وقال : إذا نتفتم ربع رأسه ، فعرّفوني .

فلما قام ، رشوت الموكلين ، فحلقوا باقي الربع من رأسي ، ولم ينتف ، وأعلموه أنّه قد نتف ، فأمر أن يقيّر الموضع النظيف من رأسي ، بقير حار .

---

١ أبو منصور عبد الله بن جبير النصراني، كاتب الوزير ابن الفرات : ترجمته في حاشية القصة ٣/٢٥ من النشوار .

٢ أبو الحسن علي بن أحمد بن يحيى المعروف بابن أبي البغل: من أصحاب علي بن عيسى، لذلك كان الوزير ابن الفرات منحرفاً عنه، ولما قبض على ابن الفرات أناط الخاقاني الوزير الذي خلف ابن الفرات، بأبي الحسن هذا أمر محاسبة ابن الفرات ، وكتابه ، ومناظرتهم ، وسعى أبو الحسن لأخيه أبي الحسين ، المترجم في حاشية القصة ٢/٧٨ من النشوار ، في الوزارة ، وفطن الخاقاني للأمر فاعتقل الأخوين معاً ، ولكن علاقتهما بقهرمانة الخليفة اضطرته إلى إعادة أبي الحسين عاملا على أصبهان ، وتقليد أبي الحسن أعمال الصلح والمبارك (الوزراء ١٨٥ – ٢٩٥) .

فجاءوا بالقير ، فوضعوه على رأسي ، ولم يكن مفرط الحرارة ، لأنّه لو كان مفرطاً ، لأتلفني لا محالة .

فحين أحسست بحمي القير ، قامت قيامتي ، وكدت أن أتلف ، فأذعنت بالأداء ، وأقررت بسبعين ألف دينار ، ودائع لي [٣٤] ، وكتبت ألتزم تسليمها إليهم ، فأخذت في اليوم الثالث .

فلما كتبت خطّي بتسليمها ، أمر بالزيت فطلي به رأسي ، وقلع به القير من رأسي ، فقزع[١] شعري إلى الآن .

---

١ القزع : أخذ بعض شعر الرأس وترك بعضه .

٤٢
من شعر نفطويه

حدّثني أبو الحسين قال :

انصرفت من عند أبي عبد الله ، نفطويه[١] ، وقد كتبت عنه أشياء ، فجئت إلى أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجّاج ، فقال لي : ما هذا الدفتر؟ فأريته إياه ، وكان على ظهره مقطوعتان ، قد أنشدنيهما نفطويه لنفسه .

فلما قرأهما الزجّاج استحسنهما جداً ، وكتبهما بخطّه على ظهر كتاب (غريب الحديث) ، وكان بحضرته .

والمقطوعتان :

تَواصُلُنا على الأيّام باقٍ ولكن هجرنـا مطر الربيع
يروعك صوته لكن تراه على روعاته داني النزوع
كذا العشّاق هجرهم دلال ومرجع وصلهم حسن الرجوع
معاذ الله أن نلفى غضابـاً سوى دلّ المطاع على المطيع

والأخرى :

وقالوا شانه الجدريّ فانظر إلى وجهٍ به أثر الكلوم
فقلت ملاحة نثرت عليـه وما حسن السماء بلا نجوم[٢]

---

١ أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي ، الشهير بنفطويه : ترجمته في حاشية القصة ٤/١٣٣ من النشوار .

٢ وردت القصة في معجم الأدباء ١/٣١٤ .

٤٣

رعونة عبيد الله بن سليمان

جرّت النكبة عليه وعلى أبيه

حدّثني أبو الحسين ، قال : حدّثنا جماعة من شيوخ الكتّاب ، منهم عليّ بن عيسى [١] ، والباقطائي [٢] ، وغيرهما ، قالوا : حدّثنا عبيد الله بن سليمان ، قال :

لما أضاق المعتمد بسرّ من رأى ، وأمره ــ إذ ذاك ــ نافذٌ ، ومعه قطعة من الجيش ، وكان سليمان بن وهب وزيره ، والموفّق بواسط [٣] ، وعبيد الله ابن سليمان كاتبه ، طلب المعتمد من سليمان ، مالاً يحتاله ، لداره ، وحرمه ، وخاص نفقته ، لا يعلم به الجند ، فدافعه بذلك ، فقبض عليه ، وقال له : قد تقلّدت منذ أيّام المعتز ، إلى الآن ، أعمالاً متوالية ، منها الوزارة للمهتدي ، ومرّة الجبل ، وغير ذلك ، وما نكبت ، ولا صودرت ، وأريد منك خمسمائة ألف دينار .

قال : وورد عليّ الخبر ، فلشدة محبّتي لخلاص أبي ، ما جنيت عليه جناية عظيمة ، بأن صرت إلى الموفّق ، فقلت له : لم يقدم المعتمد على أبي إلاّ لبغضه لك ، وليس يحقد علينا إلاّ تمشية أمرك ، واجتذاب الجيش [٣٥] إليك .

فوعدني بتخليص أبي ، على مهل .

فقلت : إن أخّرت الأمر ، أسرع إلى مكروهه ، وإزالة نعمته .

---

١ أبو الحسن علي بن عيسى بن الجراح الوزير : ترجمته في حاشية القصة ١٤/١ من النشوار .

٢ أبو عبد الله الحسن بن علي الباقطائي : ترجمته في حاشية القصة ٣/٨ من النشوار .

٣ كان الأمير الموفق بواسط يحارب صاحب الزنج .

فقال : ما تريد ؟

فقلت : تخرج بمن معك ، فتنتزعه من يده قسراً .

فقال : هذا يحتاج إلى مال ورجال ، وهو خليفة على كل حال ، ولا أحسب الرجال يطاوعوني على حربه .

فقلت له : عليّ المال والرجال .

فقال : دعني ، حتى أفكّر .

قال : ودافعني ، واعتقد فيّ أقبح اعتقاد ، ورآني بصورة من يملك طاعة الرجال ، في قتال خليفته ، ويمكنه من المال ، مِن عنده ، ومِن حيلته ، ما يرضي به الجيش .

فلما عاودته ، قال : يجب أن نقدّم المراسلة بيننا وبينه ، فإن أنجعت ، وإلاّ كانت الحرب .

فاخترنا للرسال[1] ، صاعد بن مخلد[2] ، وهو إذ ذاك ، من جلّة أصحاب الدواوين .

فاستدعاه الموفّق إلى حضرته من سرّ من رأى ، فصار إليه ، وحمّله رسالة إلى المعتمد .

فمضى ، وأدّاها ، وأصلح الأمر مع المعتمد لنفسه ، وأشار على المعتمد بإطلاق أبي عاجلاً ، وضمن له إفساد رأي الموفّق فيه ، وفيّ ، حتى يقبض علينا .

فأقام أبي عند الموفّق ، والوزارة إليه ، فدبّر أمر الموفّق ، ثم عاد صاعد فشرع مع الموفق في الأمر ، وأنفذ المعتمد ثقاته سرّاً إلى الموفق ، بما لقّنه صاعد ، ولم يزل ينسج الأمر ، حتى تمت النكبة علينا .

---

١ في الأصل : للرسل ، والتصحيح من الدكتور مصطفى جواد .

٢ صاعد بن مخلد : ترجمته في حاشية القصة ١/١ من النشوار .

٤٤

ما في الأرض أشد جناية

على الوزراء والرؤساء من أصاغر أسبابهم

حدّثني أبو الحسين، قال : حدّثنا أبو عيسى ،أخو أبي صخرة[١] ، واسمه أحمد بن محمد بن خالد ، قال : سمعت إسماعيل بن بلبل[٢] يقول :

ما في الأرض أشد جناية على الوزراء ، والرؤساء ، من أصاغر أسبابهم ، ولقد قال لي راشد ، صاحب جيش الموفّق : كنت قد بليت بالنظر في أمر أنزال الرجّالة ، ومن يجري مجراهم ، وكنّا نحتاج في كل يوم لذلك إلى ستّة آلاف دينار ، فما زالت تنقص بالإضاقة ، إلى أن اقتصر على ما لا بدّ منه ، وكان ثلاثة آلاف دينار .

واعتمد الموفّق[٣] عليّ في ذلك ، لشدة اهتمامه به ، لأقوم به — إذا لم يطلق المال — بمالي وجاهي ، وحيلتي ، فأفقرني ذاك .

وكان عبيد الله بن سليمان[٤] ، وأبوه[٥] ، وهما مقيمان [٣٦] بالحضرة ، يقصداني، ويريّثان المال عليّ[٦] ، فأحفظني ذلك عليهما ، واقتصرا لي ، على

---

١ في الأصل : أخو أبي عيسى ، والتصحيح من النشوار ١/١٤ والوزراء ٢٦٨ وهو أبو عيسى أحمد بن محمد بن خالد المعروف بأخي أبي صخرة : ترجمته في حاشية القصة ١/١٤ من النشوار .

٢ أبو الصقر إسماعيل بن بلبل الشيباني الوزير : ترجمته في حاشية القصة ١/٧٦ من النشوار .

٣ أبو أحمد طلحة الموفق بن أبي الفضل جعفر المتوكل : ترجمته في حاشية القصة ١/٧٣ من النشوار .

٤ أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب الوزير : ترجمته في حاشية القصة ١/٣٢ من النشوار .

٥ أبو أيوب سليمان بن وهب بن سعيد : ترجمته في حاشية القصة ٨/٢٤ من النشوار .

٦ الريث : التأني ، وقوله يريثان المال علي ، يعني : يؤخران دفعه إلي ؛ ويعطيانيه أجزاء .

ألفي دينار في كل يوم ، عاجلة ، وألف بحوالات لا تروج ، فكنت أحتاج أن أرهن سيوفي ، وسروجي ، وأدخل كل مدخل ، حتى أقيم الأنزال[1] .

ووقّعا لي في بعض الأيام ، إلى جهبذهما ليث ، بمالٍ من مال الأنزال ، جعلاه من مال ضياعهما ، فتوارى ليث ، فبثثت الرسل في طلبه ، فوجده بعض رجّالتي ، فأوصل إليه التوقيع .

فقال : ما عندي للوزير ، ولا لابنه مال .

فقال له : فاحتل ، ولو من مالك ، فهذا مهمّ للأمير أبي أحمد .

فقال : وأيش لأبي أحمق عندي ؟

فجاءني الرجل بالخبر ، فحملني الغيظ عليهما ، أن شكوت إلى الموفّق هذه الحال ، وقلت : قد قال كلاماً لا يجوز إعادة مثله — قبحاً — عليك .

فطالبني بإحضار الرسول ، فأحضرته ، فأمره أن يحكي الكلام ، فخاف الرسول ، فأرهبه ، فأعاده عليه بعينه ، من غير كناية .

فقال : صَدَقَ ليث ، لو لم أكن أبو أحمق لما تركت عليه ، وعلى أصحابه الأموال ، حتى ننظر[2] .

فكان ذلك سبب تعجيل النكبة لهما .

فقال لي الموفق : أريد أن تلزم أصحابك ، طلب ليث ، وتظهر أنّه بسبب هذا التوقيع ، وتبثّ الرجالة ، حتى إذا حصل ، قبضنا على أصحابه .

فأنفذت عدة ، ولم أزل أجتهد حتى حصل .

وجاء سليمان وعبيد الله ، من غدٍ ، للخدمة على الرسم ، فشوغلا في الدار ، إلى أن حصل ليث ، فلما حصل ، قبض عليهما ، وأنفذ إلى صاعد ،

---

[1] الأنزال : جمع نزل ، اسمها الآن ببغداد : الأرزاق .

[2] كلمة تهديد لم تزل مستعملة في العراق ، يقول العامي : هسه نشوف ، وفصيحها (الساعة ننظر) .

من أحضره ، فتقلّد الأمر ، وسلّم إليه ليث .

قال راشد : صرت إلى صاعد مهنئاً له بالوزارة ، فقال : قم بنا ، لأريك العجب .

فقمنا ، وخلونا ، ودعا بليث ، ورفق به ، فلم ينفع الرفق ، فقال : عليّ بجيش غلامه ، فجيء به ، فضربه مقارع يسيرة .

فقال : أنا أدلّك على بئر المال .

فقال لليث : هذه البئر مالك ، أو مال أصحابك ؟ .

فقال : بل مالي ، أنا رجل تاجر .

فأخرجوا من البئر ثمانين ألف دينار ، واستخرج بعدها من ليث، جملة أخرى كثيرة .

فكانت تلك أحد ما قوّى طمع الموفّق في آل وهب، واستئصالهم[1] [٣٧] .

---

١ وزر صاعد بن مخلد ، للموفق ، سنة ٢٦٥ ، وقبض عليه وحبسه سنة ٢٧٢ ، ومات في الحبس سنة ٢٧٦ (مروج الذهب ٢/٤٧٩ و٤٨٠ والأعلام ٣/٢٧٢) .

٤٥

الأمير الموفق يأمر وزيره الجديد

بتعذيب الوزير المصروف

حدّثني أبو الحسين، قال : كنّا في مجلس حامد بن العباس ، وهو وزير، وكان يتحدّث في مجلس العمل كثيراً ، فسمعته يحكي، قال : قال لي صاعد ابن مخلد :

لما قلّدني الموفّق وزارته ، شرطت عليه، أن لا أدخل في مكاره سليمان ابن وهب ، وعبيد الله ابنه ، ولا أطالبهما ، ولا أنظر إليهما في مال ، ولا وديعة .

وقلت للموفّق : سليمان اصطنعني ، ورفع حالي ، وصرّفني ، وما دخل قط لي في مكروه ، ولا دخلت لهما في مثله .

ولم أجب إلى التقليد ، حتى صافحني أن لا يلزمني ذلك .

فلما تقلّدت، وخلع عليّ ، خاطبني في أمرهم بعد أيّام ، وذكر ضيق المال إلاّ من جهتهم ، فقلت: الشرطُ أمْلَك ، وأنت قادر أن تنصب لهذا كاتباً ، وتدبّره بنفسك ، وبمن ترى من حاشيتك .

فعاودني دفعات ، وأنا ممتنع ، حتى مضى شهر من تقلّدي .

فلما رآني على هذه الحال ، راسل سليمان ، وقال له : إنّ صاعداً غرّني من نفسه،وضمن لي القيام بالأمور،وقد بلح[1]، وليس يذهب ولا يجيء،وهو عدوّك وعدوّ ابنك، وهو سعى بكما ، فاضمنه منّي، واذكر لي ما عليه من الأموال ، وما في جيبه ، ومعايبه ، والحجج ، والتطرّق عليه وعلى أملاكه .

---

١ بلح : عجز عن الأداء .

وكان سليمان محنكاً ، مجرّباً ، فأعاد الجواب على الرسالة ، بأنّي إن كنت موثوقاً بي ، فلا تحتاج إلى ضماني ، لأنّي أنصح وأستقصي على كل من يجب عليه حق للأمير ، إن أعادني إلى خدمته .

ودافع عن كتابة الرقعة ، وعلم أنّها حيلة عليه ، لامتناعي عن مكروهه ، حتى يجعل الرقعة حجّة عليه عندي .

فأنفذ الموفّق ، إلى عبيد الله ، مثل هذه الرسالة ، واستكتمه ذلك عن أبيه ، فكتب عبيد الله ، رقعة طويلة ، يسعى عليّ فيها ، أقبح سعاية ، ويضمنني بمال جليل ، ويثلبني ، وينكّل بي .

فلما وصَلَتْ إلى الموفّق ، احتفظ بها ، وغدوت عليه ، فخاطبني في تسلّمهم ، ومطالبتهم ، فاستعفيت ، وأقمت على الامتناع .

فقال : اقرأ هذه الرقعة ، فلما قرأتها ، ولم يكن عندي — إذ ذاك — علم كيف جرت الصورة ، وإنّما [٣٨] انكشفت لي بعد ذلك المجلس ، قامت قيامتي ، وخفت على نفسي ، من معاجلة الموفّق ، متى لم أعاجلهم ، ولم أشك أنّ ذلك القول صحيح من عبيد الله ، وأنّ الموفق قد أنعم عليّ بإطلاعي عليه .

فاستجبت إلى تسلّمهم ، وناظرتهم ، وألزمتهم الأموال العظيمة ، واستمرّت النكبة عليهم [١] .

---

١ حبس أبو أيوب سليمان بن وهب ، وابنه أبو القاسم عبيد الله بن سليمان ، في السنة ٢٦٤ ، ومات سليمان في الحبس سنة ٢٧٢ ، ووزر عبيد الله للمعتضد سنة ٢٧٨ ، وتوفي سنة ٢٨٨ (المنتظم ٦/٤٥ و٨٦ والأعلام ٤/٣٤٩) .

٤٦

سبيل الإنسان في المحن

أن يطأطئ لها

حدّثني أبو الحسين ، قال : سمعت أبا الحسن عليّ بن عيسى ، يقول : سمعت عبيد الله بن سليمان ، يقول :

لما دخل صاعد بن مخلد ، عليّ وعلى أبي ، ليناظرنا ، ونحن في حبس الموفّق ، قمنا ، وتلقيناه .

فخاطب أبي بجميل ، وأكرمه ، وتجهّمني [1] بقبيح ، وجعل لا يخاطبني إلاّ باسمي ، ويقول : يا عبيد الله .

فلما أكثر عليّ ، آلمني ذلك ، فقلت له : أنا عبيد الله بن سليمان بن وهب بن سعيد ، نتصرّف في خدمة السلطان ، منذ خمسين ومائة سنة ، ونتقلّب في جلائل الأعمال ، أنت صاعد بن مَخْلَد ، مَخْلد من أبوه ؟ .

فكان هذا من أكبر ما أحفظه [2] عليّ ، حتّى تناهى في مكارهي .

وكان أبي يلومني على ذلك ، ويقول : سبيل الإنسان في المحن أن يتطأطأ لها ، ويذلّ لوقوعها ، ولا يغالبها .

ولم تكن نفسي ، أنا ، تطاوعني على ذلك ، وكان من أضرّ الأمور عليّ ، وكان الحزم مع أبي دوني .

---

١ تجهمه : واجهه بعبوس .

٢ الحفيظة : الغضب ، وأحفظ : أغضب .

٤٧

حفلة تعذيب بمحضر الوزير

قال أبو الحسين : حدّثني أبو الحسن محمد بن محمد بن حمدون الواسطي [١] ، صاحب حامد بن العباس ، وخليفته ، قال : قال لي حامد :

كان صاعد بن مخلد ، أوّل من قلّدني العمالة ، رياسة ، فقال لي في بعض الأيام : احضر دار الأمير الموفّق ، فحضرتها معه .

فجلس في مجلسه منها ، واستدعى على خلوة ، سليمان بن وهب ، وابنه عبيد الله ، وهما منكوبان .

فرأيت سليمان ، وقد خرج بطيلسانٍ ، وخفٍّ، ومبطّنةٍ ، وابنه حافٍ مكشوف الرأس ، على أذلّ صورة .

فأكرم الأب ، وأسمع الابن المكروه ، إلى أن دعا له بالمقارع ، فأخذ سليمان يستعطفه كلّ الاستعطاف ، وهو لا ينثني ، ويقول له : إذا صنتك يا أبا أيّوب عن مثل [٣٩] هذه الحال ، فلا أقلّ من أن تدعني أنتقم من هذا الجاهل ، الفاعل ، الصانع .

قال : وأقبلت المقارع تأخذ عبيد الله ، وسليمان يستعطفه .

فلما زاد الأمر ، قال له سليمان : يا كافر ، يا فاجر ، أما تستحي ؟ إنّا اصطنعناك ، وأقعدناك هذا المقعد ، تضربه بين يديّ ، سبّة عليك .

---

١ أبو الحسن محمد بن محمد بن حمدون بن سليمان الواسطي : خلف إبراهيم بن عيسى على أعمال الزاب الأعلى ، وكان رئيسه أبو العباس بن الفرات (وزراء ١٤٩) وأدت به علاقته بحامد ابن العباس إلى أن صادره المحسن في وزارة أبيه وأخذ منه مائة وخمسين ألف دينار (وزراء ٢٤٧) .

قال : فاستحيا ، وأمر بقطع الضرب ، فما ضرب بعدها عبيد الله بحضرته ، وواضع الموفّق بعد ذلك ، على أن يكون الضرب بحضرته ، بأيدي غلمانه ، في داره .

فحرّض الموفّق عليهما ، حتى نَهِكَهُما[1] عقوبة وضرباً[2] .

---

١ نهكه : بالغ في عقوبته .

٢ كان الكتاب والعمال المعزولون ، يحبسون ، ويضربون ، ولم يكن يبالغ في عقوبتهم ، خشية أن يأتي ذلك على حياتهم ، راجع القصة ٨/٤٠ من النشوار .

٤٨

وحفلة تعذيب بمحضر الأمير

فحدّثني أبو علي بن مقلة ، في نكبته بعد الوزارة الثالثة[١] ، وهو في دار أبي بكر بن قرابة[٢] ، لمال يؤدّيه ، ضمنه عنه ابن قرابة[٣] ، وشكا ما عامله

---

١ كان ذلك في السنة ٣٢٤ .

٢ أبو بكر بن قرابة : كان من الأثرياء، وكان يقرض الدولة بربح مقداره درهم في كل دينار (تجارب الأمم ١/٢٢٠) ، واتصل بالمقتدر بواسطة مفلح الخادم الأسود ، فأوهم الخليفة أنه هو الذي يمشي أمر الوزارة، وأن الوزراء لا يتم لهم أمر بدونه (تجارب الأمم ١/٢١٣ وابن الأثير ٨/٢٢٦) وأخذ يتقرب للمقتدر بالسعاية بالوزراء والقواد وغيرهم ، وإغرائه بمصادرتهم ، وعرض على المقتدر أنه يعرف مرافق الوزراء ، أي رشاهم ، فاستعمله المقتدر عليها ، ليحصلها للخليفة ، فسعى في تحصيل ذلك من العمال والضمناء والتناء ، فأخلق بذلك الوزارة ، وفضح الديوان (تجارب الأمم ١/٢١٣ وابن الأثير ٨/٢٢٦) ، ولما توفي القاضي أبو عمر غمز على ورثته ، (تجارب الأمم ١/٢٢٩) ، ثم غمز على القائد هارون ابن غريب الخال ، (تجارب الأمم ١/٢٣٠ و ٢٣١) وكان وجيهاً عند الوزير أبي الحسن ابن الفرات ، أثيراً عنده (تجارب الأمم ١/٦٦ و ٦٧ و ٦٨ والوزراء ٤٦) ، وعند الوزير الحسين بن القاسم (تجارب الأمم ١/٢٢٠) ، وعند الوزير ابن مقلة (تجارب الأمم ١/٢٤٧ – ٢٥٠ و ٢٦٢ ، وابن الأثير ٨/٢٥٢) ثم تقلبت به الأحوال بين معتقل في يد معز الدولة البويهي (تجارب الأمم ٢/٢٦) وأسير في يد توزون (تجارب الأمم ٢/٧٨ والأوراق للصولي ٢٦٣) . واستمر على التخليط حتى لم تبق له بقية ، فاضطر أن يخدم ناصر الدولة الحمداني برزق مائة دينار في الشهر ، ومات بالموصل فقيراً (تجارب الأمم ١/٢٣١ و٢٣٢) .

٣ قبض الراضي على الوزير ابي علي بن مقلة في السنة ٣٢٤ وسلمه إلى خلفه الوزير عبد الرحمن ابن عيسى فضربه بالمقارع وأخذ خطه بألف ألف دينار ، ثم سلمه إلى أبي العباس الخصيبي ، فجرى عليه من المكاره والضرب والدهق، أمر عظيم ، وحضر أبو بكر بن قرابة فتوسط أمره ، وضمن ما عليه ، وتسلمه (تجارب الأمم ١/٣٣٧) .

به الحصيبي[1] من المكروه ، ثم قال : سمعت أبا الحسن بن الفرات[2] ، يقول : سمعت أبا القاسم عبيد الله بن سليمان[3] ، يقول :

أخرجت وأخرج أبي في نكبتنا ، في بعض الأيام ، بواسط ، إلى حضرة الموفّق ، وقد نصبت له سبنية[4] ، فجلس وراءها ، ونحن نعلم بذلك .

ودعا براغب ، فأمره بضربنا ، فضرب أبي نيفاً وعشرين مقرعة ، ثم دعي بي ، فنوظرت ، ثم أمر بضربي .

فإلى أن يستدعى لي من يضربني ، قال أبي لراغب : الذي نحن فيه يستطاب معه الموت ، وما أقول ما أقوله دفعاً عن نفسي ، ولا عن ولدي ، وإنّما أقوله شفقة على الأمير ، فأعلمه : أنّ ملكاً من ملوك بني إسرائيل ، ذبح سخلة ، بحضرة أمّها فخبط من ساعته .

قال : فوالله ، ما مضى راغب ليؤدّي الكلام ، حتى جاءت الرسل من عند الموفّق ، بأن يرفع الضرب عنّا ، وقد كان بحيث يسمع الكلام من وراء السبنيّة .

فما عاد بعدها علينا مكروه .

---

١ انظر سبب العداوة بين الوزير ابن مقلة والوزير الحصيبي ، في تجارب الأمم ٣٢٣/١ .

٢ أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات ، وزير المقتدر : ترجمته في حاشية القصة ٩/١ من النشوار.

٣ أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب : ترجمته في حاشية القصة ٣٢/١ من النشوار .

٤ السبنية : نوع من القماش الغليظ ، يلفظها البغداديون الآن : شبلية ، محرفة ، ويقولون : جابوه شايليه بشبليه ، راجع حاشية القصة ٥٨/٤ من النشوار .

٤٩
أبو زكريا السوسي يرى مناماً

حدّثني أبو الحسين ، قال : حدّثني أبو زكريا يحيى بن سعيد السوسي [١] ، المعروف بخلف، ومحله ، في اليسار ، والجلالة ، والمكنة من السلطان ، والاشتهار بالدين ، والثقة ، والصدق ، والأمانة ، وصحة الرأي ، مشهور ، وكان نصرانياً في حداثته ، فأسلم ، وحسن إسلامه ، قال :

رأيت في منامي – يعني بعد إسلامه – علياً عليه السلام ، وكأنّه جالس ومعه جماعة [٤٠] من أصحابه ، وبالقرب منه ، أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، ومعهما جماعة .

قال : فسألته ، قلت : يا أمير المؤمنين ، ما عندك في أبي بكر وعمر ؟

فأثنى خيراً كثيراً .

قلت : فلم لم تجلس معهما ؟

فقال : حياءً منهما لما يعمل بهما الرافضة .

---

١ أبو زكريا يحيى بن سعيد السوسي : المنسوب إلى سوس مدينة في الأهواز ، كان من أعيان العراق ، ذا وجاهة عند الوزراء وكبار رجال الدولة ، وقبض عليه بجكم لما دخل الأهواز وطالبه بمال ، ثم أصبح مستشاراً له ، وكان رسوله في المهمات ، ثم علت منزلته عند الخليفة المتقي،وكان رسوله إلى توزون،وفي السنة ٣٣٤ قبض عليه الوزير ابن مقلة وأراد مصادرته ولكن الأمير معز الدولة البويهي أطلقه وحال دون مصادرته ، انظر أخباره في تجارب الأمم ٢٠٨/١ ، ٢٥١ ، ٢٧٣ ، ٣٤٨ ، ٣٧٨ ، ٣٩٧ و ٩/٢ ، ٣٠ ، ٤٣ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٩٦ وابن الأثير ٣٤١/٨ ، ٣٤٨ ، ٣٦١ ، ٤٠٦ .

٥٠

حفيد يزيد بن هارون

يرى جده في المنام

حدّثني أبو الحسين ، قال : حدّثني أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة الواسطي المعروف بنفطويه ، في مسجد الرصافة ، إملاء في سنة ثمان وثلثمائة ، قال : حدّثنا ابن بنت يزيد بن هارون[١] ، ولم يسمّه[٢] ، وكذا أملى علينا ، قال :

رأيت جدي يزيد في النوم ، فقلت : ما فعل الله بك ؟ ومنكر ونكير ما قالا لك ؟

قال : قالا لي : من ربّك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيّك ؟

فقلت : ألي يقال هذا ؟ وأنا أعلمه الناس منذ ثمانين سنة ؟

فقالا لي : نم نومة العروس ، فلا بؤسى عليك .

وعاتبني ربي ، على كتابي عن عثمان بن جرير[٣]، فقلت : يا رب ، عبدك ، وما أعلم إلاّ خيراً .

قال : إنّه كان يبغض عليّاً عليه السلام[٤] .

---

١ أبو خالد ، يزيد بن هارون بن زاذان بن ثابت السلمي : ترجمته في حاشية القصة ٤٢/٧ من النشوار

٢ في تاريخ بغداد للخطيب ٣٤٦/١٤ أن كنية الحفيد أبو نافع .

٣ في تاريخ بغداد للخطيب ٣٤٧/١٤ أنه جرير بن عثمان .

٤ سئل الإمام أحمد بن حنبل، عن قول الناس : عليّ قاسم الجنة والنار ، قال : هذا صحيح ، لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال لعلي بن أبي طالب : لا يحبك إلا مؤمن ، ولايبغضك إلا منافق ، فالمؤمن في الجنة ، والمنافق في النار (البصائر والذخائر م ٢ ق ٢ ص ٣٢٨) .

٥١

ابن الفرات وأحد طلاب الوزارة

حدّثني أبو الحسين ، قال : حدّثني أبو الحسن بن الفرات ، قال :

دخل عليّ المقتدر يوماً ، وأنا في حبسه ، في وزارة حامد ، فقال لي : يا أبا الحسن ، أتعرف الحسن بن محمد الكرخي الكاتب [1] ؟

فقلت : نعم .

قال : أي شيء هو من الناس ؟

قلت : عامل ، له محلّ ، ويفهم في الحساب شيئاً ، وهو من صنائعي ، ووجوه عمّالي ، وقد كان قبلُ ، تقلّد عمالات لعبيد الله بن سليمان ، وهو أخو القاسم بن محمد الكرخي [2] ، وهو من أهل بيت .

قال : فقال لي : إنّه قد كتب إليّ يخطب الوزارة ، ويتضمّن بحامد ، وبعليّ بن عيسى .

قال : فقلت له : ولا كلّ هذا يا أمير المؤمنين ، إنّ هذا ، إنّما طمع في الأمر لما رأى حامداً قد تقلّد الوزارة ، ولعمري إنّها قد اتضعت بتقلّده،

---

١ أبو أحمد الحسن بن علي بن محمد الكرخي ، من كرخ البصرة (راجع القصة ٤/١٢٤ من النشوار) : كان من وجوه العمال في الدولة العباسية ، تقلد عمالات في أيام الوزير عبيد الله ابن سليمان وزير المعتضد ، وتقلد المسرقان من أعمال الأهواز في أيام الوزير العباس بن الحسن وزير المكتفي والمقتدر (الوزراء ١٨٨) وتقلد مصر في أيام الوزير علي بن عيسى ابن الجراح (الوزراء ٣٣٥) ، وتقلد الموصل وأعمالها في أيام الوزير أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات (الوزراء ٩٤) ، وبشأن تجمل أبي أحمد الكرخي وكمال مروءته راجع القصة ٨/٥٢ من النشوار ، وقد أفرد صاحب النشوار لآل الكرخي بحثاً اشتملت عليه القصة ٤/١٢٤ من النشوار .

٢ أبو محمد القاسم بن علي بن محمد الكرخي : ترجمته في حاشية القصة ٢/٧٠ من النشوار .

وطمع فيها كل أحد ، ولعمري أنّه فوق حامد ، أولاً في العفافة ، وحفظ اللسان ، والحساب والخط ، ولكن ليس لأنّه فوق حامد ، يجب أن يقلّد الوزارة ، ولا لأنّ الغلط جرى في أمر حامد ، يجب أن يقلّد هذا ، على أنّه غلط في ظنّه أنّه يصلح لصرف حامد ، لأنّ حامداً رجل قديم الرياسة في العمال ، وله مروءة عظيمة ، وضياع كثيرة ، وغلمان كثيرو العدد ، وله هيبة [٤١] ، وسطوة ، وسنّ ، ونشأ بعيداً عن الحضرة، فلم تستشفّ أخلاقه ، وأفعاله ، فانستر أمره عن أهلها ، وله كرم يغطي كثيراً من معايبه ، وترك الأمر في يده ، ويد عليّ بن عيسى ، وهو لا يلحق بعض كتّابه ، فضلاً عنه [أولى] ، وإنّي لأقول الحق فيهما ، على عداوتهما لي .

قال : فأضرب المقتدر عن تقليده .

قال هشام : ثم تمّ التدبير لأبي الحسن ، في الوزارة ، وصرف حامد ، فحين جاءه الحسن بن محمد الكرخي ، أبو أحمد ، ذكر تلك الحال التي حدّثه بها المقتدر ، فهاب الحسن بن محمد ، على الأمر ، ورآه بعين رجل بعيد الهمّة ، وعرف تقلّب رأي المقتدر ، فرأى أن يحسن إلى الحسن بن محمد ، ويبعده عن الأعمال ، فقلّده الموصل ، وأخرجه إليها صارفاً لابن حماد [١] .

فانتفع الكرخي بذلك الشروع [٢] .

---

١ أبو أحمد بن حماد الموصلي، كان يلي الموصل في السنة ٣٠٦ (معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ٥٨) .

٢ وردت القصة في كتاب الوزراء للصابي ٨١ .

٥٢

الحسن بن محمد الكرخي

وكمال مروءته

قال أبو الحسين[١] : فكنّا في بعض الليالي بحضرة ابن الفرات[٢] ، وهو يعمل ، وأنا مع أبي[٣] ، والمجلس حافل ، حتّى قرأ كتاباً من صاحب بريد الموصل[٤] ، يذكر فيه ، أنّ أبا أحمد[٥] ، قد تبسّط في الأعمال ، وأظهر من المروءة أمراً عظيماً ، وركب باللبود الطاهرية ، وبعدة حجّاب وغلمان ، حتّى أنّه يسير معهم في موكب ، وأنّه ورد معه من الزواريق والجمال التي تحمل أثقاله ، شيء كثير ، وأنّ هذا ما لا يحتمله رزقه ، وإنّما هو من الأصل .

فرمى بالكتاب إلى أبي القاسم زنجي[٦] ، الباقي إلى الآن — وكان إذ ذاك، حَدَثاً يخطّ بحضرته — وقال له : وقّع عليه ، ليكتب إليه ، ويعرّف ، أنّه نفع الرجل من حيث تعمّد ضرّه ، لأنه إذا كان في مثل هذا الصقع ، عامل وجيه ، جليل ، كثير التجمّل ، والهيبة ، والمروءة ، صَلُح أن يبادر به

١ أبو الحسين علي بن هشام بن عبد الله الكاتب ، المعروف بابن أبي قيراط : ترجمته في حاشية القصة ٤/١٠ من النشوار .

٢ أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات ، وزير المقتدر : ترجمته في حاشية القصة ١/٩ من النشوار .

٣ أبو القاسم هشام بن عبد الله الكاتب ، المعروف بأبي قيراط : ترجمته في حاشية القصة ٤/٢٥ من النشوار .

٤ صاحب البريد : راجع حاشية القصة ٣/١٧٤ من النشوار .

٥ أبو أحمد الحسن بن علي بن محمد الكرخي : ترجمته في حاشية القصة ٨/٥١ من النشوار .

٦ أبو القاسم إسماعيل بن أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن صالح الملقب زنجي : ترجمته في حاشية القصة ٢/١١٣ من النشوار .

السلطان ، إلى مصر ، وأجناد الشام ، متى أنكر على عمّالها أمراً ، لأنّ هذه النواحي ، لا تصلح إلا لمن كان حسن التجمّل ، والمروءة ، كثير النعمة [1] .

---

١ وردت القصة في كتاب الوزراء ٩٤ .

٥٣

راتب عامل فارس

ثلاثة آلاف دينار في الشهر

ثم أقبل[1] على من في مجلسه ، فقال : حدّثنا أبو القاسم عبيد الله بن سليمان :

أنّ المعتضد ، رفع إليه خبر ، رفعه النوشجانيّ[2]، صاحب بريده ، يذكر فيه : أنّ الأخبار ذاعت ببغداد، بأنّ حامد بن العباس ، لما دخل فارس، متقلّداً لعمالتها ، دخل ومعه عدد [٤٢] كثير عظيم، من الغلمان والحاشية .

قال : فتحيّرت ، لما دفع الكتاب إليّ ، وخفت أن يكون قد أنكر ذلك ، ويقع له ، أنّ هذا اصطلام للمال ، ودخلني فزع منه ، فلم أدر بأيّ شيء أجيب .

فقال لي : يا أبا القاسم ، وقد كان كنّاه أول ما استوزره ، وكان يتكنّى على الناس إلاّ على بدر ، وصاحب خراسان ، وكان هو وبدر يتكاتبان بالكاف ، والدعاء بينهما سواء .

قال المعتضد : يا أبا القاسم ، قرأت الكتاب ؟

فقلت : نعم .

فقال : قد سرّني ما ذاع من مروءة حامد ، وهيبته بذلك في نفوس الرعيّة، فكم رزقه ؟

فقلت : ألفان وخمسمائة دينار في الشهر .

فقال : اجعلها ثلاثة آلاف ، ليستعين بها على مروءته[3] .

---

١ يريد الوزير أبا الحسن علي بن محمد بن الفرات ، راجع القصة ٥٢/٨ من النشوار .

٢ النوشجاني : نسبة إلى نوشجان ، بلدة من بلاد فارس (اللباب ٢٤٣/٢) .

٣ وردت القصة في كتاب الوزراء للصابي ٩٥ .

٥٤

المعتضد يعفي عاملا من المطالبة

لما ظهر من مروءته

قال : ثم قال أبو الحسن بن الفرات ، عقيب هذا :

وقد فعل المعتضد ، قريباً من هذا ، مع أبي العباس أحمد بن بسطام [١] ، فإنّ المعتضد ، طالبه ، بعجز ضمانه واسط ، وحبسه في دار ابن طاهر ، وألزم سبعين ألف دينار يؤدّيها ، فكان يصحّحها [٢] على جميل ، وهو موكّل به من قبل المعتضد في دار ابن طاهر ، وأصحاب عبيد الله يطالبونه ، ويقتضون المال .

فكتب النوشجاني ، صاحب الخبر ، فيه : أنّه كان يفرّق في أيام ولايته ، في كل شهر ، عشرين كراً ، حنطة ودقيقاً ، على حاشيته ، وعلى المستورين والفقراء ، وأنّه فرّق في هذا الشهر الأكرار على رسمه ، ولم يقطعها ، وهو مع ذلك يماطل بأداء ما عليه .

فلما دخل عبيد الله على المعتضد ، أراه الرقعة ، فسكت عبيد الله ، فقال له المعتضد : قد سرّني هذا ، لأنّ ابن بسطام رجل مشهور بعظم المروءة ، وكثرة المعروف، وقد جمّلنا بما قد فعله ، حين لم يظهر أنّ ما قد ألزمناه، أحوجه إلى الزوال عن عادته في المعروف ، فكم بقي عليه ؟

قال : بضعة عشر ألف دينار .

فقال : أسقطها عنه ، وردّه إلى عمله ، وعرّفه إحمادي ما قد فعله .

فامتثل عبيد الله ذلك .

---

١ أبو العباس أحمد بن محمد بن بسطام : ترجمته في حاشية القصة ٦/١٢٧ من النشوار .

٢ يصححها : يقوم بسدادها .

٥٥

علوّ نفس الحسن بن مخلد

حدّثني أبو الحسين ، قال : سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن بدر ابن [أبي] الأصبغ [١] ، يحدّث أبي ، قال : كنت أتصرّف مع سليمان بن وهب [٢] ، لقرابة كانت بيننا من جهة النساء ، وكانت حالي بصحبته في نهاية السعة ، حتى إنّه كان يُطحَن الزعفران في داري ، كما يطحن الناسُ الدقيقَ [٤٣] ، لكثرة ما كان يجيئنا من الجبل [٣] ، ونستعمله ، ونهديه .

فولي سليمان ديوان الخراج ، فكنت أحد عماله فيه ، فوقعت بيني وبين ابنه عبيد الله [٤] ، نفرة ، فلزمت منزلي أياماً .

فما شعرت إلاّ برقعة الحسن بن مخلد [٥] ، يستدعيني وهو يتولّى ديوان الضياع ، وكانت بينهما مماظّة [٦] ، فمضيت إليه ، فقال لي : أنت معطّل ولا تصير إليّ ؟ وقد انفصل ما بينك وبين أبي أيوب ؟

فقلت : يا سيدي، كيف ينفصل ما بيننا ، مع القرابة ؟ ولكن بيننا عتب .

فقال : دع ذا ، أنت معطّل ، وما تبرح حتى أقلّدك عملاً .

---

١ أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي الأصبغ : من أقرباء أبي أيوب سليمان بن وهب ، وكان يتصرف معه ، وفي أيام ولده عبيد الله بن سليمان ولي ديوان الخراج (وزراء ٨٧) وفي السنة ٣١١ كان عاملا على البصرة (وزراء ٥٠ ، ١٥٢) .

٢ أبو أيوب سليمان بن وهب بن سعيد ، وزير المهتدي والمعتمد : ترجمته في حاشية القصة ٨/٢٤ من النشوار .

٣ الجبل : راجع حاشية القصة ٢/٥٦ من النشوار .

٤ أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب : ترجمته في حاشية القصة ١/٣٢ من النشوار .

٥ أبو محمد الحسن بن مخلد بن الجراح ، الوزير : ترجمته في حاشية القصة ٢/٩٤ من النشوار .

٦ ماظه : خاصمه وشاتمه ، والمقصود هنا المنافسة .

قال : وأراد اجتذابي لناحيته ، وكان الناس — إذ ذاك — يتغايرون على الكفاة .

فقلّدني أعمال السيب الأسفل [١] ، وقسّين [٢]، وجنبلا [٣] ، وكانت تجري في ديوانه ، فقبلتها .

وخرجت إليها ، وكان الأرز قد قارب الإدراك ، فقدّرته ، وعدت إلى سرّ من رأى ، لأشرح له حال التقدير ، وأستأمره في العمل .

فلما بصر بي قال: قد قدمت على فاقة منّي إليك، قد تأذيت بالفلاّحين، وأريد لهم عشرة آلاف دينار سلفاً لما يقيمونه في جبل باسورين [٤] من الثلج .

فقلت له : الأرز خافور [٥] ، وما بلغ إلى أن يحرز .

فقال : لا بدّ من أن تستفرغ جهدك ، وحيلتك ، في هذا ، حتى تخفّف عنّي .

وكان ، أول خدمة ، فاحتجت أن أضطرب ، لأصنّع نفسي عنده ، فخرجت مفكراً فيما أعمله .

فلإقبالي، لقيني رجل من وجوه التجار في الطريق ، وكانت بيننا مودّة ، وكان موسراً ، وكان جميع متجره غلاّت السلطان ، فبدأني بالعتاب على تركي مبايعته شيئاً بالسلف من غلاّت عملي .

فاجتذبته إلى منزلي، وقلت: البيت لك، فاحتفل، ولو رأيتك ما عدلت عنك .

---

١ السيب ، الأعلى والأسفل : كورة من سواد الكوفة من طسوج سورا عند قصر ابن هبيرة (معجم البلدان ٣/٢٠٨) .

٢ قسين : كورة من نواحي الكوفة (معجم البلدان ٤/١٠٠) .

٣ جنبلاء : كورة وبليد بين واسط والكوفة (معجم البلدان ٢/١٢٧) .

٤ باسورين : ناحية من أعمال الموصل في شرقي دجلتها (معجم البلدان ١/٢٦٧) .

٥ يسمى الأرز خافوراً إذا لم يبلغ إلى درجة الإحراز .

قال : فأقام عندي يومه ، ولم أزل حتى بعته بحساب الكرّ الأرز المعدّل ، بسبعة دنانير ، وكنت قد قدّرت الحاصل فيه للسلطان ، ثلاثة آلاف كرّ معدّل ، واستثنيت عليه في كل كرّ ديناراً ، وأخذت خطّه بضمانة تعجيل عشرة آلاف دينار ، لمن يؤمر بأدائها إليه .

ورحت إلى دار الحسن بن مخلد ، فوجدته نائماً ، والناس [٤٤] مطرّحون في داره ، ثم دخلت إليه ، وشرحت له الصورة ، فسرّ بها ، وأمر بإحضار صاحب مجلس النفقات في الديوان ، وسلّم الرقعة إليه ، وقال : أحِلِ الفلاّحين على هذا التاجر .

فلمّا خلا مجلسه ، تقدّمت إليه ، وعرّفته خبر الاستثناء ، وأريته الخطّ ، وقلت : إلى من أسلّم المال ، إذا قُبِضَ ؟

فلم يجبني ، فألححت عليه .

فقال لي : يا هذا ، إنّك صحبت قوماً ، لا مروءة لهم ، فتعوّدت منهم ، أن تعطو [1] نفوسهم إلى مضايقة خدمهم في هذا القدر ، وما هو أتفه منه ، وإذا أخذت أنا هذا المرفق ، فأنت لِمَ تخدمني ، وتتبعني ؟ خذ هذا ، وأصلح به حالك ، ليبين عليك أثر خدمتك لي .

فقبلت يده ، ورجله ، وعدت إلى عملي ، واستخرجت المال ، ودبّرت العمل .

وحضر بعد مديدة ، النوروز ، وقد كنت مذ خرجت من حضرته ، سألت ثقات إخواني من التجار في الأسواق ، أن يجمعوا لي كل علق ، حسن ، غريب ، طريف ، مثمن ، من فرش ديباج [2] مثقل ، وأبي قلمون مذهب [3] ،

---

١ عطا إلى الشيء : تناوله ، وعطا إلى يده رفعها .

٢ الديباج : راجع حاشية القصة ٤/١٠٤ من النشوار .

٣ أبو قلمون : ثوب يتراءى إذا قوبل به عين الشمس بألوان شتى ، يعمل ببلاد يونان (معجم البلدان ٤/١٦٦) .

ووشي[1] ، ودبيقي[2] مرتفع ، وقصب[3] .

قال : فجمع لي من ذلك ، ما كان شراه خمسة آلاف دينار ، وهو يساوي أكثر منها بكثير .

ثم كتبت إليه رقعة في معنى الهدية ، وتضرّعت في قبولها ، وتشبّثت بذلك ، وكتبت ثبت الهدية ، في أسفل الرقعة .

فكتب إليّ فيها : لك أكرمك الله ، بنات ، وهنّ إلى هذا أحوج منّي ، وقد قبلت ما يصلح قبوله أنساً بك ، وإسقاطاً للحشمة معك ، ورددت إليك الباقي ، ليكون لهنّ .

وكان الذي قبله ، ثوب قصب ، ومنديل دبيقي ، وشستجة[4] قصب .

---

١ الوشي : النقش ، والثياب الموشية هي الثياب المنمنمة المنقوشة .

٢ الثياب الدبيقية : المنسوبة إلى دبيق بلد بمصر .

٣ القصب : راجع حاشية القصة ١٦٢/١ من النشوار .

٤ الشستجة : المنديل ، أو القطعة من القماش ، تستعمل للمسح ، ويسميها البغداديون اليوم : الكفية ، يلفظ الكاف جيماً فارسية ، قاله ميخائيل عواد في رسوم دار الخلافة ٧٥ .

٥٦

الوزير علي بن عيسى يرفع التكملة

ويضع الخراج على الشجر

حدّثني أبو الحسين[١] ، قال : سمعت أبا عبد الله الباقطائي[٢] ، يقول : وحكى لي أبي[٣] ذلك ، قالا :

إنّ السجزيّة[٤] لما غلبوا على فارس[٥] ، أُجْلِيَ قوم من أهل الخراج عنها ، لسوء المعاملة ، ففضّوا خراجهم على الموجودين ، وسمّوا ذلك : التكملة ، حتى يكمل به مال قانون فارس — كان — متقدماً .

ولم تزل الحال في ذلك ، تزيد تارة ، وتنقص أخرى ، إلى أن افتتح أبو

---

١ أبو الحسين علي بن هشام بن عبد الله الكاتب ، المعروف بابن أبي قيراط : ترجمته في حاشية القصة ٤/١٠ من النشوار .

٢ أبو عبد الله الحسن بن علي الباقطائي : ترجمته في حاشية القصة ٨/٣ من النشوار .

٣ أبو القاسم هشام بن عبد الله الكاتب البغدادي المعروف بأبي قيراط : ترجمته في حاشية القصة ٤/٢٥ من النشوار .

٤ السجزية : نسبة إلى سجستان ، وهي ناحية كبيرة ، اسم مدينتها زرنج ، تبعد عن هراة عشرة أيام (معجم البلدان ٣/٤١) ، يريد بالسجزية ، الصفارية ، اتباع يعقوب بن الليث الصفار ، وهو خراساني ، وإنما نسب إلى سجستان ، لأنه اتخذها قاعدة ملكه منذ أن غلب عليها في السنة ٢٤٧ ثم تملك بعدها هراة ، وبوشنج ، ثم كرمان ، وشيراز ، ثم غلب على فارس ، وجبى خراجها ، ثم استولى على نيسابور ، حاضرة خراسان ، فتملك خراسان وفارس ، ثم طمع في بغداد ، فاستولى على الأهواز وواسط ، وقصد بغداد ، فصده الجيش العباسي ، ومات بجنديسابور سنة ٢٦٥ (الأعلام ٩/٢٦٥) . راجع في الكامل لابن الأثير ٧/ ٣٢٥ و ٣٢٦ ما قاله يعقوب لرسول المعتمد ، لما بعث إليه يستميله ، ويترضاه ، ويوليه فارس .

٥ فارس : راجع حاشية القصة ٤/٨٩ من النشوار .

الحسن بن الفرات[1]، في وزارته الأولى[2]، فارس ، على يد وصيف[3] [٤٥]، ومحمد بن جعفر العبرتائي[4]،ومن ضمّه إليهما من القوّاد[5] في سنة ثماني وتسعين ومائتين .

فأمر ابن الفرات ، بإجراء الأمر في التكملة ، على ما كان جارياً عليه .

وجرى الأمر على ذلك ، في أيام محمد بن عبيد الله الخاقاني[6] ، وفعله عليّ بن عيسى[7] ، في صدر وزارته الأولى[8] .

فلما مضت منها مديدة ، صار إلى مدينة السلام ، عبد الرحمن بن جعفر

---

١ أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات ، وزير المقتدر : ترجمته في حاشية القصة ١/٩ من النشوار.

٢ وزارة ابن الفرات الأولى ٢٩٦ – ٢٩٩ ، وتم فتح فارس في السنة ٢٩٨ .

٣ وصيف كامه : قائد ديلمي ، سبي صبياً ، وبيع في قزوين ، فاشتراه شيخ قمي ، رباه مع أولاده ، ثم خرج إلى خراسان ، وأصبح جندياً ، ثم قاد الجيوش ، واشترك في إعادة فارس إلى حظيرة الدولة العباسية في السنة ٢٩٨ في جيش أميره محمد بن جعفر العبرتائي ، وبعد فتح فارس وليها فتيح خادم الأفشين ، وفي السنة ٢٩٩ توفي العبرتائي وفتيح ، والظاهر أن وصيف ولي فارس خلفاً لفتيح ، لزيادة التفصيل راجع تجارب الأمم ١/١٩ و ٢٠ والقصة ٨/١١٠ و ٨/١١١ من النشوار .

٤ العبرتائي : نسبة إلى عبرتا ، وهي قرية كبيرة من نواحي النهروان من أعمال بغداد ، بين بغداد وواسط (معجم البلدان ٣ / ٦٠٤) ، ومحمد بن جعفر العبرتائي ، من خواص الوزير ابن الفرات وعماله (وزراء ٣٤٤) وهو الذي أعاد فارس إلى حظيرة الدولة العباسية في السنة ٢٩٨ وكان قد استولى عليها يعقوب بن الليث الصفار في السنة ٢٥٥ ، فأنفذ الوزير ابن الفرات ، محمد بن جعفر العبرتائي على رأس جيش ، فتم فتح فارس على يده ، راجع تجارب الأمم ١/١٩ و ٢٠ والوزراء ٣٤٤ و ٣٤٥ .

٥ من جملة القواد : وصيف كامه ، وسيما الخزري ، وفاتك المعتضدي ، ويمن الطولوني (تجارب الأمم ١/١٩) .

٦ الوزير محمد بن عبيد الله الخاقاني : ترجمته في حاشية القصة ١/١٤ من النشوار .

٧ أبو الحسن علي بن عيسى بن الجراح الوزير : ترجمته في حاشية القصة ١/١٤ من النشوار .

٨ وزارة ابي الحسن علي بن عيسى الأولى ٣٠١ – ٣٠٤ .

الشيرازي[1]، وطعن على محمد بن أحمد بن أبي البغل[2]، وكان – إذ ذاك – يتقلّد فارس ، وذكر أنّه إن ضمن العمل مكانه ، وفّر جملة من المال ، فضمّنه عليّ بن عيسى ، وانصرف ابن أبي البغل عما كان يتقلّده أمانة ، وقلّده أصبهان[3] .

ثم أخّر عبد الرحمن بن جعفر المال ، واحتجّ بأن أهل فارس يتظلّمون من التكملة ، ولا يلتزمونها .

وكان أبو المنذر النعمان بن عبد الله[4] ، يتقلّد ديوان كور الأهواز[5] ، مجموعة ، فكتب إليه عليّ بن عيسى ، أن يستخلف على أعماله ، وينفذ إلى

---

١ أبو الفضل عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي : والد أبي أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي (ترجمته في حاشية القصة ١٧/١ من النشوار) ، وجد أبي الفضل أحمد بن الفضل الشيرازي (ترجمته في حاشية القصة ٤٥/٤ من النشوار) ، وكان أبو الفضل عبد الرحمن بن جعفر ، كاتباً عند سبكرى ، لما تغلب على فارس ، فجاء إلى بغداد في السنة ٢٩٧ وتوسط أمر صاحبه سبكرى على شيء يحمله عن فارس ، وأكرم عبد الرحمن في بغداد إكراماً تاماً ، وخلع عليه ، فاتهمه سبكرى بالميل للعباسيين، واعتقله ، فكاتب الوزير ابن الفرات من حبسه ، فأرسل ابن الفرات جيشاً فتح فارس ، وأعادها إلى حظيرة الدولة ، والظاهر أن أبا الفضل بعد إطلاقه أصبح ذا حظوة لدى الدولة العباسية ، وأخذ يقوم بضمان الولايات ، كما يظهر من هذه القصة أنه ضمن فارس ، لزيادة التفصيل راجع تجارب الأمم ١٦/١ و ١٨ .

٢ أبو الحسين محمد بن أحمد بن يحيى المعروف بابن أبي البغل : ترجمته في حاشية القصة ٧٨/٢ من النشوار ، انظر أخباره في كتاب الوزراء للصابي ص ٥١ ، ٨٤ ، ١٢٤ ، ٢٩١ – ٢٩٩ ، ٣٠٤ ، ٣٦٧ ، ٣٨٢ .

٣ أصبهان : راجع حاشية القصة ١٧٤/١ من النشوار .

٤ أبو المنذر النعمان بن عبد الله : راجع ترجمته في حاشية القصة ٦١/١ من النشوار، أخباره في القصة رقم ٦١/١ و ٦٢/١ من النشوار ، وفي كتاب الوزراء ٤٨ ، ٤٩ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ .

٥ كور الأهواز : راجع حاشية القصة ١٢٤/١ من النشوار .

فارس ، فيطالب عبد الرحمن بما حلّ عليه من المال ، وينظر في هذه التكملة ، ويشرح أمرها .

وكتب إلى أحمد بن محمد بن رستم[1] بأن يصير من أصبهان إلى فارس ليضمنها .

وكتب إلى النعمان ، بحلّ ضمان عبد الرحمن ، وعقد البلد على ابن رستم .

فاستخرج النعمان التكملة ، ووجد قطعة منها على عبد الرحمن ، قد قدّر أن يكسرها ، فعسفه ، وباع قطعة من أملاكه ، حتّى استوفى ذلك .

وكتب إليه عليّ بن عيسى يسأله عن التكملة ، وأن يشرح له أمرها ، وأنّه قد صار يُسْتَضْعَف قوم فيلزمون منها أكثر ممّا يجب عليهم ، ويرهب قوم ، فيسامحون بها ، أو بأكثرها .

فكتب إليه النعمان وابن رستم : إنّ من طرائف ما يجري بفارس ، أنّ الناس يطالبون بالتكملة ، وهي ظلم صراح ، سنّه الخوارج ، ويترك عليهم ما قد أوجبه الفقهاء ، وهو خراج الشّجَر ، لأنّ فارس افتتحت عنوة ، وليس على الشجر بها خراج ، وأرباب الشجر يذكرون ، أنّ المهديّ[2] أسقط عنهم خراج الشجر ، وليس لهم حجّة بذلك ، إلاّ طول مدة الرسم ، والأصل وجوب الخراج على الشجر .

فتسامع أهل البلد بالخبر ، فتبادر أجلاّؤهم إلى حضرة عليّ بن عيسي من فارس ، فدخلوا مجلسه للمظالم [٤٦] ، وفي أكمامهم حنطة محرقة .

فلما تظلّموا، قالوا له : نُمْنَعُ من إطلاق غَلاّتنا ، وتُعْتَقَلُ علينا

---

١ أحمد بن محمد بن رستم : كان من أخصاء الوزير أبي الحسن علي بن عيسى بن الجراح (وزراء ٢٣١) ، وفي السنة ٣٠٣ عقد علي بن عيسى عليه ضمان فارس (وزراء ٣٦٧) ، وإليه كانت رسالة الوزير علي بن عيسى بإسقاط التكملة عن زروع فارس (وزراء ٣٧١) .

٢ أبو عبد الله محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور : ترجمته في حاشية القصة ٤/١٤٥ من النشوار.

في الكناديج [1]، إلى أن تَعْفَنَ [2] وتصير هكذا — ورموا بالحنطة المحرقة من أكمامهم — حتى نبيع شعورنا ، ونؤدي التكملة الباطلة ، حتى تطلق غلاّتنا وقد احترقت هكذا .

ورمى قوم من أكمامهم بتين يابس ، وخوخ مقدّد ، ولوز ، وفستق ، وبندق ، وغبيراء [3] ، ونبق ، وبلّوط ، وقالوا : هذا كلّه بغير خراج ، لقوم آخرين ، والبلد عنوة ، فأمّا تساوينا في الإحسان أو الاستيفاء .

فخاطب عليّ بن عيسى ، في ذلك ، الخليفة ، واستأذنه في جمع الفقهاء، والقضاة ، ومشايخ الكتّاب ، ووجوه العمّال ، وجلّة القوّاد ، ومناظرة القوم بحضرته، وتقرير الأمر على ما يوجب الحقّ — عند الجماعة — والعدل، فأذن له في ذلك .

فجمع الناس في دار المخرِّم [4] ، التي كانت برسم الوزارة ، وصيّرها

---

١ الكناديج : جمع كندوج : فارسية (كندوك) شبه مخزن توضع فيه الحنطة ونحوها (الألفاظ الفارسية ١٣٨) .

٢ عفن وتعفن : فسد من ندوة أصابته .

٣ الغبيراء : فارسية (غباريه) وتسمى عنب الدب وهو شجر ثمره كالعناب (الألفاظ الفارسية ١١٥) . أقول : ويسمون ثمرة الغبيراء ببغداد : نبق العجم .

٤ دار الوزارة بالمخرم (العلوازية) ، بالجانب الشرقي من بغداد ، بين باب الطاق (الصرافية) والزاهر (القلعة) ، وكانت لسليمان بن وهب ، فأخذها الوزير ابن الفرات ، في زمن وزارته للمقتدر ، وعمرها ، وأنفق عليها ثلثمائة ألف دينار ، واتخذها داراً للوزارة ، وبقيت كذلك من بعده، ثم صارت في أيام البويهيين دار المملكة،واقتطع القائد سبكتكين ، حاجب معز الدولة ، جزءاً منها ، واقتطع لشكروز القائد الديلمي جزءاً آخر منها ، ثم إن عضد الدولة هدم ما فيها من أبنية ، وعمر فيها داراً وأنشأ بستاناً أجرى إليه الماء من نهر الخالص ، وكان مجموع ما أنفق على الدار والبستان عشرة آلاف ألف درهم (الوزراء ٦٣، ١٩٩ ، ٣٣٥ و ٣٦٨ والقصة ١٢٩/٤ من النشوار) ، وكانت مساحة دار الوزارة مائة ألف وثلاثة وسبعون ألف وثلثمائة وستة وأربعون ذراعاً (الوزراء ٢٩) .

عليّ بن عيسى ديواناً ، وطالت المناظرات ، واحتجّ من حضر من أرباب الشجر ، بفعل المهدي ، وقالوا : قد استهلكت أموالنا ، في أثمان هذه الأملاك التي لا خراج عليها ، وإن ألزمت الخراج ، بطلت القيم ، وافتقرنا .

فأفتى الفقهاء بوجوب الخراج ، وبطلان التكملة .

وقال الكتّاب : إن كان المهدي ، شرط شرطاً ، لمصلحة في الحال ، أو عناء اعتناه أهل البلاد ، في جدب أو غيره ، ثم زالت المصلحة ، زال الشرط .

فقال عليّ بن عيسى للقوم : أليس عندكم أنّ ما فعله المهدي واجب ؟

قالوا : بلى .

قال : لِمَ ؟ ، أليس لأنّه إمام رأى رأياً ليس فيه مضرة ؟

قالوا : بلى .

قال : فإنّ أمير المؤمنين ، وهو الإمام الآن ، قد رأى أنّ الأحوط للمسلمين ، والأحفظ للكافّة ، إلزام الخراج الشجر ، وإزالة التكملة .

فقام إليه الزجّاج[1] ، ووكيع القاضي[2] ، فوصفاه[3] ، وقرّضاه[4] .

وقال الزجّاج : لقد حكمت بحكم ، لو كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حاضراً ، ما تجاوزه .

وقال وكيع : لقد فعل الوزير في هذا ، كفعل أبي بكر الصديق ، رضوان الله عليه ، في مطالبة أهل الردّة بالزكاة .

---

١ الزجاج ، أبو إسحاق،إبراهيم بن السري : ترجمته في حاشية القصة ١/١٤٦ منالنشوار .

٢ وكيع القاضي : أبو بكر محمد بن خلف بن حيان الضبي : ترجمته في حاشية القصة ٢/٥٠ من النشوار .

٣ وصفاه هنا بمعنى أثنيا عليه .

٤ قرض : بالضاد تعني المدح ، كما تعني الذم ، وإنما يستفاد المقصود من سير الحديث ، أما قرظ بالظاء : فتعني المدح .

وأنهى عليّ بن عيسى ، والقضاة ، ما جرى ، إلى المقتدر ، في يوم الموكب ، واستأذنه في كتب كتاب بإسقاط التكملة عاجلاً ، إلى أن يتقرّر أمر الشجر .

فأمر بكتب ذلك [٤٧] في الحال بحضرته ، وأحضر قائداً من قوّاد الحضرة ، كان يخلف بدراً الكبير ، المعروف بالحمامي [١] ، عامل المعاون ، بفارس وكرمان ، ليسلّم إليه الكتاب ، ويطالب النعمان ، وابن رستم ، بامتثاله .

وأمر الخليفة بإحضار دواة يكتب بها عليّ بن عيسى ، وكان رسم الوزراء ، إذا أمروا بكتب كتاب بحضرة الخليفة ، أن تحضر لهم دواة لطيفة ، بسلسلة ، فيمسكها الوزير بيده اليسرى ، ويكتب منها باليمنى .

فأحضرت تلك الدواة ، لعليّ بن عيسى ، وبدأ يكتب منها الكتاب بغير نسخة .

فلما رآه المقتدر ، وقد شقّ عليه ذلك ، أمر بإحضار دواته ، وأن يقف بعض الخدم ، فيمسكها إلى أن يكتب .

فكان أوّل وزير أكرم بهذا ، ثم صار ذلك رسماً جارياً للوزراء ، بحضرته .

فكتب عليّ بن عيسى ، في ذلك كتاباً إلى النعمان ، وخرجت نسخته ، إلى الديوان ، وأثبت فيه .

قال أبو الحسين : فحفظناه ونحن أحداث ، ونسخته [٢] :

بسم الله الرحمن الرحيم .

من عبد الله جعفر ، الإمام المقتدر بالله ، أمير المؤمنين ، إلى النعمان ابن عبد الله .

---

١ بدر الكبير الحمامي : ترجمته في حاشية القصة ٢/١٥٦ من النشوار .

٢ نص الكتاب مدون في كتاب الوزراء ٣٦٩ .

سلام عليك ، فإنّ أمير المؤمنين ، يحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو ، ويسأله أن يصلّي على محمد عبده ورسوله ، صلى الله عليه وسلّم تسليماً كثيراً .

أمّا بعد ، فإن أفضل الأعمال قدراً ، وأجملها ذكراً ، وأكملها أجراً ، ما كان للتقى جامعاً ، وللهدى تابعاً ، وللورى نافعاً ، وللبلوى رافعاً .

وقد جعل الله — عزّ وجلّ — أمير المؤمنين ، فيما استرعاه من أمور المسلمين ، مؤثراً لما يرضيه ، صابراً على ما يزلفه عنده ويحظيه ، وما توفيق أمير المؤمنين إلاّ بالله ، عليه يتوكّل ، وبه يستعين .

وقد عرفت حال السجزيّة والخرمية ، الذين تغلبوا على كُوَر فارس وكرمان ، وأحدثوا الجور والعدوان ، وأظهروا العتوّ والطغيان ، وانتهكوا المحارم ، وارتكبوا المظالم ، حتى أنفذ أمير المؤمنين جيوشه إليهم ، وتورّد[1] بها عليهم ، فأزالهم وبدّدهم ، وشتّتهم وأبادهم ، بعد حروب تواصلت ، ووقائع تتابعت ، أحلّ الله بهم فيها سطوته [٤٨] ، وعجّل لهم نقمته ، وجعلهم عبرة للمعتبرين ، وعظة للمستمعين ، ﴿وكذلك أخْذُ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ، إنّ أخذه أليم شديد﴾[2] .

ولما محق الله أمر هؤلاء الكفار ، وفرّق عدد أوباشهم الفجّار ، وجد أمير المؤمنين ، أفظع ما اخترعوه ، وأشنع ما ابتدعوه ، في مدّتهم التي طال أمدها ، وعظم ضررها ، تكملة اجتبوها بكور فارس ، في سنيّ غوايتهم ، لمّا طالبوا أهلها بالخراج على أوفر عبرتهم[3] ، من غير اقتصار به على

---

١ توردت الجيوش البلدة : دخلتها قطعة قطعة ، وقليلا قليلا .

٢ ١٠٢ ك هود ١١ .

٣ العبرة : تستخرج بأن يعتبر ارتفاع السنة التي هي أقل ريعاً ، والسنة التي هي أكثر ريعاً ويجمعان ويؤخذ نصفهما ، فتلك هي العبرة ، بعد أن تعتبر الأسعار وسائر العوارض ، وقوله في الكتاب : أوفر عبرتهم ، يعني أنه لم يحتسب لهم المعدل ، وإنما طولبوا وفقاً لحساب السنة التي هي أكثر ريعاً (مفاتيح العلوم ٤٠) .

الموجودين ، حتّى فضّوا عليهم خراج ما خرب من ضياع المفقودين .

فأنكر أمير المؤمنين ، ما استقرّ من هذا الرسم الذميم ، وأكبر ما استمرّ به من الظلم العظيم ، ورأى صيانة دولته ، عن قبيح معرّته ، وحراسة رعيّته ، من عظيم مضرّته ، مع كثرته ، ووفور جملته .

فرفع عن الرعية هذه التكملة رفعاً مشهوراً ، وقد جعل الله تعالى من سنّها مدحوراً، ونادى في المساجد الجامعة بإزالتها ، وإبطال جبايتها ، ليرتفع ذلك في الجمهور ، ويتمكّن السكون إليه في الصدور ، وتحمد الله الكافّة على ما أتاحه لها من تعطّف أمير المؤمنين ورعايته ، وجميل حياطته لهم وعنايته .

واكتب ما يكون منك في ذلك ، فإنّ أمير المؤمنين يتوكّفه[1] ، ويراعيه[2] ويتشوّفه[3] ، إن شاء الله .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وكتب علي بن عيسى يوم النصف من رجب سنة ثلاث وثلثمائة .

---

١ توكف الخبر : انتظر ظهوره ، وتوكف الأثر : تتبعه .

٢ راعى الأمر : راقبه وانتظر إلى ماذا يصير .

٣ تشوف إلى الشيء : تطلع إليه .

٥٧

الوزير علي بن عيسى

يأمر بالرفق في الجباية

وقد كان عليّ بن عيسى ، قبل ذلك بسنة ، نظر لأهل التكملة من جملتها في شيراز ، بعشرة آلاف درهم [١] ، قبل أن يخرج في السنة المقبلة ، خراج الشجر ، ثم تقرر أمر الشجر على أن يؤخذ منه الخراج ، ويقارب أهله فيه ، على طسوق [٢] توضع لهم مخفّفة ، وكان النعمان رفيقاً يقاربهم ، حتّى عاد بإزاء ما أسقط من مال الضمان في التكملة ، أكثره على التدريج .

فكتب علي بن عيسى ، في أمر الشجر ، كتاباً كنّا نتحفّظه في الحداثة من الدار ، نسخته إلى ابن رستم ، لأنّ النعمان عاد إلى بغداد ، واستخلف بفارس أبا مسلم ، محمد بن بحر [٣] ، وضمّن البلد من ابن رستم ، وجعل أبا مسلم ، مستوفياً عليه للمال :

بسم الله الرحمن الرحيم [٤] .

إلى أحمد بن محمد بن رستم [٤٩] ، من عبد الله جعفر الإمام المقتدر بالله ، أمير المؤمنين .

سلام عليك ، فإنّ أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو ،

---

١ عند هلال : بألف ألف درهم ، وربما كان الصحيح عشرة آلاف ألف درهم .

٢ الطسوق ، مفردها طسق : الوظيفة التي توضع على أصناف الزروع لكل جريب ، والكلمة فارسية : تشك ، وتعني الأجرة (مفاتيح العلوم للخوارزمي ٤٠) .

٣ في الأصل : محمد بن محمد ، والصحيح ما أثبتناه ، راجع ترجمة أبي مسلم محمد بن بحر الأصبهاني في حاشية القصة ٤/٥٠ من النشوار .

٤ نص الكتاب مدون في كتاب الوزراء ٣٧١ .

ويسأله أن يصلّي على محمد عبده ورسوله ، صلى الله عليه وسلّم تسليماً كثيراً .

أمّا بعد ، فإنّ الله تعالى بعظيم آلائه ، وقديم نعمائه ، وجميل بلائه ، وجزيل عطائه ، جعل أموال الفيء للدين قواماً ، وللحقّ نظاماً ، وللعزّ تماماً ، فأوجب للأئمة حمايتها ، وحرّم عليهم إضاعتها ، إذ كان ما يجتبى منها ، عائداً بصلاح العباد ، وحراسة البلاد ، وحماية البريّة ، وحياطة الحوزة والرعية ، ولذلك ، يعمل أمير المؤمنين ، فكره ورويّته ، ويستفرغ وسعه وطاقته ، في حراستها وحياطتها ، وقبض كل يد عن تحيّفها وتنقّصها ، والله وليّ معونته ، على جميل نيّته ، وحسن طويّته ، بمنّه ورحمته .

ولما فتح الله عزّ وجلّ ، كُوَرَ فارس على المسلمين ، وأزال عنها أيدي المتغلّبين ، وجد أمير المؤمنين أهلها ، قد احتالوا في إسقاط خراج الشجر بأسره ، مع كثرته وجلالة قدره ، فأمر بإشخاص وجوههم إلى حضرته ، واتّصلت المناظرة لهم بمشهد من قضاته وخاصّته، إلى أن اعترفوا به مذعنين ، والتزموه طائعين ،وضمنوا أداء ما أوجبه الله تعالى فيه من حقوقه،على ما تقرّر معهم من وضائعه وطسوقه ، فطالِبْ بخراج الشجر ، في سائر الكُوَر ، على استقبال سنة ثلاث وثلثمائة ، فاستخرجه، واستوفِ جميعه واستنظِفْه ، واكتب بما يرتفع من مساحته ، ويتحصّل من مبلغ جبايته ، متحرّياً للحقّ ، متوخّياً للرفق ، إن شاء الله .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وكتب عليّ بن عيسى ، يوم الاثنين لعشر ليال خلون من شعبان سنة ثلاث وثلثمائة .

٥٨

إذا تم أمر بدا نقصه

حدّثني أبو الحسين ، قال : حدّثني أبو الحسين عبد الواحد بن محمد الحصيبي ، وهو ابن بنت إبراهيم بن المدبّر ، قال : حدّثني أبو الفضل صاعد ابن هارون بن مخلد بن أبان ، قال : حدّثني عدّة من جلّة الكتّاب ، عن كاتب كان يخطّ بين يدي الموريانيّ[1] ، وهو وزير المنصور ، قال :

كنت يوماً بحضرته على خلوة ، فدخل عليه حاجبه ، وقال : بالباب رجل يذكر أنّه يريد أن يلقي إليك شيئاً مهمّاً .

قال : اسمع منه ما يقوله ، وأدّه إليّ .

قال : قد سُمْتُه ذلك فأبى ، وبذلت أن أخرج إليه كاتباً فامتنع من ذلك ، وقال إمّا أن أصل إليه ، أو أنصرف [٥٠] .

قال : فما زيّه ؟

قال : زي التنّاء .

قال : هاته .

فأدخله ، فلما وصل ، استأذنه في السرار ، فأذن له ، فدنا إليه ، فأطال سراره ، ثم دعا بخازنه ، فقال : خذ ما يدفعه إليك .

ثم قال لي : قم ، فاكتب بكلّ ما يريده ، على إملائه ، وإن التمس توقيعي في شيء منه ، فأنفذه إليّ مع غلامك .

---

١ أبو أيوب سليمان بن مخلد المورياني الخوزي : كان من مماليك المنصور ، وأخذه منه أخوه السفاح فأعتقه وقدمه ، وبعد وفاة السفاح استوزره المنصور ، ثم قتله سنة ١٥٤ ، وموريان قرية من قرى الأهواز (الأعلام ٣/١٩٨) .

قال : فقمت ، فكتبت له بما أملاه ، وعدت ، فعرّفته إزاحتي علّته[1] فيما طلبه ، فجعل يبكي بكاء شديداً .

فسألت غلمانه : هل وَرَدَ بعدي شيء يكرهه .

فقالوا : لا .

فقلت : يا سيدي ، ما هذا البكاء ؟ وكنت آنساً به .

فقال : إنّ هذا الرجل لقيني منذ أكثر من سنة ، وذكر أنّه من بني البختكاني[2] وذكر كبر نعمته — وأنا بهم عارف — ، ووصف أنّ العمال يتحيّفونه ، ويستضعفونه ، وسألني أن أوقع اسمي على ضيعته ، وأظهر أنّي قد استأجرتها منه، وأكاتب العمّال ، ووكلائي بذلك ، وأن تقرّ يده فيها ، إذ كنت قد وثقت به على ذلك ، وبذل لي النصف من ارتفاعه ، بعد المؤونة ، حلالاً .

فوافقته على ذلك ، وكتبت له بما أراد ، ومضى .

ولم تبتغ نفسي الاستقصاء عليه ، ولا الاستظهار ، ولا مضايقته ، وقلت لعلّه أراد الانتفاع بجاهي ، فلا أحرمه إيّاه ، فإن وفى ، وإلاّ كان ذلك من زكاة الجاه .

ثم أنسيت أمره ، فما ذكرته حتّى رأيته الساعة ، فأعلمني أنّه يتردد منذ مدة إلى الباب ، فلا يصل ، وأعلمني أنّه قد حصل لي من ذلك ، مائتا ألف درهم ، وأوقفني على حساب رَفَعَه ، واستأذنني في تسليم المال .

---

١ أزاح علته : اصطلاح عباسي ، يعني أنه أكمل جميع ما يحتاج إليه .

٢ بنو البختكاني : قوم ذوو نعمة وجاه ، وقد ورد ذكرهم في كتاب أدب الغرباء لأبي الفرج الأصبهاني ص ٧٨ ونسبتهم إلى البختكان وهي أكبر البحيرات الملحة في أقليم فارس بإيران (دائرة المعارف الإسلامية ٣/٤٢٧) .

وسألني تجديد الكتب ، بمثل ما كنت كتبت به إليهم في السنة الماضية ، في أمر هذه الضياع .

فتقدّمت إلى خازني ، بقبض المال ، وتقدّمت إليك ، فكتبت عنّي بذلك ، فأنا أبكي لهذه الحال .

فقلت له : يا سيدي ، فأيّ شيء في هذا ممّا يبكيك ؟

فقال : ويحك ، ويذهب هذا عليك ، مع طول ملازمتي وخدمتي ؟ قد كنت عندي ، أنّك تحنّكت بخدمتي ، أمر يكون هذا من إقباله ، فكيف يكون إدباره ؟

قال : فما بَعُدَ أن قبض عليه المنصور ، ونكبه ، واستصفى ماله ، وأموال أهله ، وقتله[1] .

قال أبو الحسين عبد الواحد بن محمد : فحدّثت بهذا الحديث ، أبا الحسن عليّ بن محمد بن الفرات ، وأبا الحسن عليّ بن [٥١] عيسى ، كلّ واحد على الانفراد ، في وقت مفرد ، فكل واحد منهما أفرط في استحسانه ، حتى سأل أن أمليه عليه ، فكتبه عنّي بخطّه .

---

١ لما ولي المنصور الخلافة ، أقر خالد بن برمك ، جد البرامكة ، على وزارته ، (الفخري ١٥٨ والأعلام ٣/١٩٨) ثم استوزر أبا أيوب سليمان بن مخلد المورياني (الفخري ١٧٥) ، وغضب عليه في السنة ١٥٤ فاعتقله ، وعذبه ، وصادره ، وقتله ، وأخاه ، وبني أخيه ، راجع الطبري ٨/٤٤ والكامل لابن الأثير ٥/٦١٢ والفخري ١٧٦ .

٥٩

الجزاء من جنس العمل

حدّثني أبو الحسين[١] ، قال :

حدّثني أبو الحسن أحمد بن محمد الكاتب ، المعروف بابن أبي عمر ، كاتب المحسّن بن الفرات[٢] ، وكان ممّن تقلّد بعد آل الفرات ، عدّة أعمال جليلة ، ودواوين عظيمة ، حتّى تقلّد الأزمّة[٣] ، صارفاً للخصيبي ، في أيام ابن رائق[٤] ، وقُتِل بديار مضر ، قتله عمّار القرمطي .

وقد كان أبو الحسن ، متقلّداً لديار مضر[٥] من قبل ابن رائق ، فأغار عليها عمّار ، ليتملّكها عاصياً ، فطالبه بالمال لأصحابه .

فقال : ما معي شيء ، ولو قتلتني ، وصلبتني .

فقال : عليّ أن أفعل بك ذلك .

فقتله ، وصلبه ، في يوم عيد الفطر من سنة تسع وعشرين .

فلم يزل ابن رائق ، يحتال على عمّار ، حتّى حضر مجلسه ، وتركه أيّاماً مع جيشه ، ثم قبض عليه ، وبحضرته وجوه الأتراك المستأمنة إلى ابن رائق

---

١ أبو الحسين علي بن هشام بن عبد الله الكاتب المعروف بابن أبي قيراط : ترجمته في حاشية القصة ٤/١٠ من النشوار .

٢ أبو أحمد المحسن بن الوزير أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات : ترجمته في حاشية القصة ٣/١٢٢ من النشوار .

٣ ديوان الأزمة : راجع حاشية القصة ٨/٦ من النشوار .

٤ أمير الأمراء ، أبو بكر محمد بن رائق : ترجمته في حاشية القصة ٢/٢٢ من النشوار .

٥ ديار مضر : المنطقة التي تشمل السهل الواقع شرقي الفرات نحو حران والرقة وشمشاط وسروج وتل موزن (معجم البلدان ٢/٦٣٧) .

بالشام ، من أصحاب بجكم[1] ، فأمرهم بدقّه بالأعمدة .

فلما كاد أن يموت ، قال : أذيقوه حدّ السيف ، فأخذ رأسه ، وصلبه في المكان الذي صلب فيه عامله ابن أبي عمر[2] .

---

١ القائد التركي بجكم الماكاني : ترجمته في حاشية القصة ١٠٦/١ من النشوار .

٢ ولما كان الشيء بالشيء يذكر ، فقد روى صاحب الهفوات النادرة ٢١٧ قصة تشبه المتقدمة فقال : قبض عضد الدولة على أبي الوفاء طاهر بن محمد ، أحد أصحابه ، واعتقله بقلعة الماهكي ،فلما توفي عضد الدولة ، كتب أبو عبد الله بن سعدان ، إلى أبي الهيجاء عقبة بن عنان الحاجب ، وأظنه كان بالبندنيجين ، على يد شجاع التنائي ، بقتله ، فقتله ، وأنفذ إليه برأسه في مخلاة ، فلما أحضره بين يديه وشاهده ، تقدم بدفنه ، فدفن تحت مسناة داره على دجلة بالجانب الشرقي في مشرعة باب الطاق (الصرافية) ، فسمعت جماعة يذكرون : أنه لما قتل أبو عبد الله بن سعدان ، رمي برأسه وجثته إلى دجلة ، فلم يزل الماء يحدر الرأس إلى مسناة دار أبي الوفاء طاهر بن محمد ، وكانت في مشرعة المخرم (العلوازية) ، فأخذه أحد الملاحين ودفنه تحت المسناة ، فسبحان الله ما أطرف هذا الاتفاق .

٦٠

الخليفة المهدي ووزيره أبو عبيد الله

قال أبو الحسين[١] : فحدّثني أبو الحسن بن أبي عمر[٢] هذا ، قال : حدّثنا أبو عبد الله حمد بن محمد القنائي[٣] ، ابن أخت الحسن بن مخلد[٤] ، قال : حدّثني أبو محمد خالي ، قال : سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن العباس الصولي[٥] ، يقول : حدّثت عن المأمون ، عن الرشيد ، أنّه سمع المهدي يقول: بعد زوال أمر أبي عبيد الله[٦] عن الوزارة ، واقتصاره على ديوان الرسائل ، وعلى الجلوس في منزله ، وتفويض الأمر إلى يعقوب بن داود[٧] :

ما رأيت أحزم ، ولا أفهم ، ولا أكفأ ، ولا أعفّ ، من أبي عبيد الله ،

---

١ أبو الحسين علي بن هشام بن عبد الله الكاتب المعروف بابن أبي قيراط : ترجمته في حاشية القصة ٤/١٠ من النشوار .

٢ أبو الحسن أحمد بن محمد الكاتب المعروف بابن أبي عمر ، كاتب المحسن بن الوزير أبي الحسن بن الفرات ، أورد التنوخي أخباره في القصة ٨/٥٩ من النشوار ، وذكر أنه كان كاتباً للمحسن بن الفرات ، وبعد زوال أمر آل الفرات ، تقلد عدة دواوين ، وأعمالا ، حتى تقلد ديوان الأزمة ، ثم تقلد ديار مضر ، وقتله عمار القرمطي في السنة ٣٢٩ .

٣ أبو عبد الله حمد بن محمد الكاتب : ترجمته في حاشية القصة ٨/١٠ من النشوار .

٤ أبو محمد الحسن بن مخلد بن الجراح : ترجمته في حاشية القصة ٢/٩٤ من النشوار .

٥ أبو إسحاق إبراهيم بن العباس الصولي: كاتب العراق في عصره ؛ نشأ ببغداد وقربه الخلفاء، فكتب للمعتصم والواثق والمتوكل ، ومات وهو يتقلد ديوان الضياع والنفقات بسامراء (الأعلام ١ / ٣٨) .

٦ أبو عبيد الله معاوية بن يسار ، وزير المهدي : ترجمته في حاشية القصة ٤/١٤٥ من النشوار .

٧ أبو عبد الله يعقوب بن داود بن عمر السلمي : كان يكتب لإبراهيم بن عبد الله بن الحسن المثنى قتيل باخمرى ، واعتقله المنصور، وأطلقه المهدي واستوزره وآخاه ، ثم سخط عليه ، فصادر أمواله واعتقله ، ثم أطلقه الرشيد،فأقام بمكة ومات سنة ١٨٧ (الأعلام ٩/٢٥٨) .

ولقد كنت أحبّه ، مع إجرائي إيّاه مجرى الوالد ، وكنت أجتهد به أن يدعوني إلى داره ، فيمتنع ، ويزعم أنّه لا تتّسع همّته ، ولا نعمته ، لذلك .

إلى أن اعتلّ علّة عظيمة ، فتمادت الأيام به ، ولم أعُدْهُ ، إلى أن كتب إليّ باستقلاله ،وأنّه قد عمل على الركوب إليّ ، بعد يوم أو يومين ، فسابقته ، وركبت إليه في خفّ من غلماني وخاصّتي .

فلما دخلت إليه ، قلت له : قد كنت أجتهد بك أن تدعوني [٥٢] ، فتأبى ، والآن ، قد جئتك جامعاً للعيادة ، والتهنئة بالعافية ، والدعوة .

فقال : والله ، يا أمير المؤمنين ، ما لي طعام ، ولا غلمان ، ولا زيّ يصلح لدعوتك .

فقلت : قد فرغت لك من ذلك ، وتقدّمت إلى غلماني ، بحمل الآلات ، والطعام ، والأشربة ، وجميع ما يحتاج إليه ، وإنّما أردت تشريفك ، والأنس بك .

قال : وجاء الغلمان بآلات ، وفَرْشٍ لي ، وجلست ، وهو معي ، فأكلنا ، وجعل يتحفني من منزله ، بالفاخر من الفَرْش ، والآنية ، والآلات هدية لي ، كما يفعل الناس ، فأخذت كلّما يحمله من أحسن شيء ، وأجمله ، وأرشقه ، فازداد ابتهاجاً به .

ثم دعوت بالشراب ، فلما شربت ثلاثة فقط ، عملت على الانصراف .

فلما أحسّ بذلك ، قال لي : أريد أن أبكي ، وأنا أتطيّر أن أبكي بعد انصراف أمير المؤمنين ، وأنا أستأذنه في البكاء بحضرته .

قال : وتحدّرت دموعه عقيب الكلام ، فبكى بكاء شديداً .

فقلت له : يا هذا ، أنا أعلم أنّ فيك شحاً ، تسميه حسن التدبير ، وما يحسن منك أن تبكي ، فإن كان ندماً على ما أهديته ، فهو مردود بلا شكّ .

قال : فحلف بأيمانٍ عظيمةٍ ، وانزعج انزعاجاً شديداً ، أنّه ما بكى لذلك.

وقال : كيف أبكي على ما سبيلي أسرّ به ، حيث جعلتني أهلاً لقبوله ؟

قال : فقلت : فلِمَ تبكي ؟

قال : لم تبقَ مرتبة تنال ، إلاّ وقد نلتُها ، وبلغتها ، بفضل أمير المؤمنين ، وتطوّله ، حتى انتهت بي الحال ، إلى أن وصَلْتُ ، من مال أمير المؤمنين ، بأمره ، وعن أمره ، في ليلة واحدة ، وهي ليلة ورد الخبر بوفاة أمير المؤمنين المنصور صلوات الله عليه ، وأخذت بيعة ثانية لأمير المؤمنين على الناس ، بعشرة آلاف ألف درهم ، وفي هذه العلّة ، تصدّقت بجميع ما في خزانتي من المال ، وكان أربعة آلاف ألف ، بعد أن استأذنت أمير المؤمنين ، فأذن لي ، ولم يكن بقي ، إلاّ أن يعودني أمير المؤمنين في علّة ، أو يهنئني بحال متجددة ، أو يصير إلى دعوتي ، فلمّا كان اليوم ، جمع أمير المؤمنين لي ذلك ، فعلمت أنّي قد بلغت النهاية ، وأنه ليس بعدها إلاّ الانحطاط ، فبكيت لذلك [٥٣] .

قال : فرققت له ، وعلمت فضله ، وقلت له : أمّا في أيامي ، فأنت آمن ذلك ، وإن أصابك شيء بعدي ، فالحياة — على كلّ حال — خير من الموت ، ولك بي أسوة .

واعتقدت أن لا أنكبه .

فلما رأى الربيع[1] عظم منزلته ، حسده ، فجدّ في السعاية إليّ به ، والفساد بيننا ، والحيلة عليه عندي ، إلى أن جرى في أمر ابنه ، وإقراره بالزندقة ، ما لم يسع معه ، أن لا يقتل ، فقتلته ، وخفت أن يكون قد استوحش لذلك فلم آمنه على نفسي ، فاحتجت إلى صرفه ، فصرفته ، وحَرَسْتُ نفسه ، وبقيت نعمته ، واستحال الأمر عما عقدته له .

وكان الأمر على ما ظنّه ، من النقصان بعد التناهي .

---

١ الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة : ترجمته في حاشية القصة ٦/٧٧ من النشوار .

٦١

معنى النهروان بالفارسية

حدّثني أبو الحسين[١] ، قال : سمعت عليّ بن عيسى[٢] ، يحدّث ، دفعات ، عن أبيه ، أنّه سمع أباه ، يحدّث عن جده ، عن مشايخ أهل العلم بأخبار الفرس ، وأيّامهم ، قالوا :

معنى النهروان بالفارسية : ثواب العمل .

قالوا : وإنّما سمّي نهر النهروان بذلك ، لأن بعض ملوك الأكاسرة ، كان قد غلب عليه بعض حاشيته ، حتى دبّر أكثر أمره ، وترقّت منزلته عنده ، وكان قبل ذلك، من قِبَل صاحب المائدة ، مرسوماً بإصلاح الألبان والكواميخ[٣] ، ثم علَتْ حاله ، فكان صاحب المائدة يتحسّر ، كيف علت حال هذا ، وقد كان تابعاً له ، وغلب على الملك ؟

وكان مع ذلك الرجل ، يهوديٌّ ساحر ممخرق ،فقال له : ما لي أراك مهموماً ؟ فحدّثني بأمرك ، لعل فرجك على يدي .

قال : فحدّثه .

فقال له اليهودي : إن رددتك إلى منزلتك ، ما لي عندك ؟

قال : أشاطرك حالي ونعمتي ، وجميع مالي .

فتعاهدا على ذلك ، فقال : أظهر وحشة تجري بيننا ، وأنّك قد صرفتني ظاهراً .

---

١ أبو الحسين علي بن هشام بن عبد الله الكاتب المعروف بابن أبي قيراط : ترجمته في حاشية القصة ٤/١٠ من النشوار .

٢ أبو الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجراح : ترجمته في حاشية القصة ١/١٤ من النشوار .

٣ الكامخ : إدام يؤتدم به ، وخصه بعضهم بالمخللات التي تستعمل لتشهي الطعام (فارسية) وجمعه المتعارف : كوامخ ، والبغداديون يجمعونه على : كواميخ ، كما يجمعون الزورق على : زواريق.

ففعل ذلك به .

فصار إلى الرجل الغالب على الملك ، فحدّثه ، وتقرّب إليه بما جرى عليه من الرجل الأول ، ولم يزل يحدّثه مدّة طويلة ، حتى أنس به ذلك الرجل .

فلقيه في بعض الأيام ، ومع غلامه غضارة[1] ذهب ، فيها شيراز[2] في نهاية الطيبة ، يريد أن يقدمه إلى الملك .

فقال : أرني هذا الشيراز .

فقال الرجل لغلامه : أره إيّاه ، فأراه ، فخاتل الرجل والغلام، وأخذ بأعينهما بسحره ، وطرح في الشيراز قرطاساً كان معه ، فيه سم ساعة .

وغطّى الغلام الغضارة [٥٤] الكبيرة ، ومضى ليقدّمها ، إذا قدّمت المائدة .

فبادر اليهودي إلى صاحب المائدة الأول ، وقال له : قد فرغتُ من القصة ، وعرّفه ما عمله ، ووصف له الغضارة ، وقال له : امضِ الساعة إلى الملك ، فقل له : هذا أراد أن يسمّك في هذه الغضارة ، فلا تأكلها ، وجرّبها ، فإنّه سيجرّبها على كلب ، أو غيره ، فيموت في الحال ، فيقتل عدوّك ، ويشكر لك ، فيردّك إلى مرتبتك .

قال : فبادر الرجل ، فوجد المائدة ، تريد[3] أن تقدّم إلى الملك ، فحين قدّمت ، تقدّم إليه ، وقال : أيّها الملك ، إنّ هذا يريد أن يسمّك في هذه الغضارة ، وهي مسمومة بسمّ ساعة ، فلا تأكلها .

فراع الملك ، وأمر بتجريب الشيراز على حيوان .

---

١ الغضارة : القصعة الكبيرة (فارسية) جمعها : غضائر .

٢ الشيراز : اللبن الرائب المستخرج ماؤه (فارسية) .

٣ تريد هنا بمعنى تكاد ، وقد ورد في القرآن الكريم (فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض) (٧٧ ك الكهف ١٨) بمعنى يكاد أن ينقض .

فقال الرجل : قد كذب هذا ، وليس يحتاج إلى حيوان ، أنا آكل من هذه الغضارة ، ليعلم الملك كذبه .

قال : والرجل لا يعلم ما في الغضارة ، فبادر فأكل منها لقمة ، فتلف في الحال .

فقال صاحب المائدة الأوّل : إنّما أكل أيّها الملك من ذلك ، ليتلف ، لما علم أنّك تجرّب ذلك ، فتجده قاتلاً ، فخاف أن تعذّبه ، فاستروح إلى هذا .

فلم يشكّ الملك ، في صحة الأمر ، وردّ إلى صاحب المائدة الأول ، ما كان إليه ، وأكرمه وعظّمه .

ومضت السنون على ذلك .

قال : وعرض للملك ، علّة ، كان يسهر من أجلها في أكثر الليالي ، فكان يخرج ، وحاشيته غافلون ، فيطوف في صحون داره ، وحُجَرِها ، وبساتينها ، ويقف على أبواب حجر نسائه ، وغلمانه ، فيتسمّع عليهم ، ويعلم ما يتحدّثون به .

فانتهى في ليلة ، في طوفه ، لأجل السهر ، إلى حجرة فيها ذلك اليهودي ، وقد خلطه صاحب المطبخ بنفسه ، وغلمانه ، وهو جالس يحدّث بعض أصحاب صاحب المطبخ ، ويتشكّى إليه ، ويقول : إنّه يقصّر في حقّي ، ويعدّد تقصيره في حقه .

ثم قال : أنا أصل نعمته وما هو فيه .

فقال له الذي يحدّثه : وكيف صرت أصل نعمته ؟

قال : وتكتم ذلك ؟

قال : نعم .

فحدّثه بحديث الشيراز والسمّ .

فلما سمع الملك ذلك ، قامت قيامته ، وأحضر الموبذ [1] من غدٍ ، وحدّثه بالحديث ، وشاوره فيما يعمله ، ممّا يزيل عنه إثم ذلك الفعل في معاده ، فأمر بقتل اليهودي [وصاحب المائدة] [2] والإحسان إلى عقب – إن كان – للذي قتل نفسه .

وقال : ولا يزيل عنك إثم هذا ، إلاّ أن تطوف في عملك ، حتّى تنتهي إلى بقعة [٥٥] خراب ، فتستحدث لها عمارة ، ونهراً ، وشرباً ، فيعيش الناس بذلك ، في باقي الدهر ، بدلاً من موت ذلك الرجل ، فيمحّص عنك الإثم .

ففعل الملك ذلك ، وطاف أعماله ، حتّى بلغ موضع النهروان ، وهو خراب ، فأجمع رأيه ، على حفر النهر فيه ، فحفر ، وسمّاه : ثواب العمل ، لأجل هذه القصة [3] .

---

١ الموبذ : قاضي المجوس (مفاتيح العلوم ٧١) .
٢ الزيادة من معجم البلدان .
٣ وردت القصة في معجم البلدان ٤/٨٤٧ .

٦٢

رقعة نفعت صاحبها وخلفه

حدّثني أبو الحسين[1] ، قال : حدّثني أبو الحسن الأنباري[2] الكاتب ، صديق الكرخيين[3] قال :

دفع إليّ أبو أحمد عبد الوهاب بن الحسن بن عبيد الله بن سليمان ، رقعة أبي الحسين جعفر بن محمد بن ثوابة بن خالد[4] ، الكاتب ، إلى جدّه عبيد الله .

وقال لي : كان إلى أبي — الحسن بن عبيد الله — ديوان الرسائل ، وديوان المعاون ، في جملة الدواوين التي كانت إليه في أيّام أبيه .

فأمر الوزير عبيد الله ، أبي ، أن يستخلف أبا الحسين بن ثوابة ، على ديوان الرسائل ، والمعاون ، وصار كالمتقلّد له من قبل الوزير ، لكثرة استخدامه له فيه ، وكانت هذه الرقعة سبب ذلك .

ثم مات أبي ، فأقرّه جدّي على الديوان رياسة ، وبقي عليهم ، يتوارثونه ، مرة رياسة ، ومرّة خلافة .

---

١ أبو الحسين علي بن هشام بن عبد الله الكاتب ، المعروف بابن أبي قيراط : ترجمته في حاشية القصة ٤/١٠ من النشوار .

٢ في الأصل : الإيادي .

٣ الكرخيون : القاسم بن علي بن محمد الكرخي ، وأخوه أبو أحمد الحسن بن علي ، وابناه جعفر ومحمد ، تقلدوا الدنيا ، وسموا الكرخيين لأن أصلهم من ناحية الرستاق الأعلى بالبصرة في عراص المفتح ، تعرف بالكرخ ، راجع القصص ٤/١٢٤ و ٨/٥١ و ٨/٥٢ من النشوار ، وكتاب الوزراء ٩٤ .

٤ أبو الحسين جعفر بن محمد بن ثوابة الكاتب : قال عنه أبو الحسن علي بن عيسى الوزير : ما قال أما بعد أحد على وجه الأرض ، أكتب منه ، راجع حاشية القصة ٤/١٧ من النشوار .

فما سمع برقعة أولى منها ، وهي في غاية الحسن ، ونسختها :

قد فتحت للمظلوم بابك ، ورفعت عنه حجابك ، فأنا أحاكم الأيام إلى عدلك ، وأشكو صرفها إلى عطفك ، وأستجير من لؤم غلبتها ، بكرم قدرتك ، فإنها تؤخّرني إذا قدّمت ، وتحرمني إذا قسمت ، فإن أعطت ، أعطت يسيراً ، وإن ارتجعت ، ارتجعت كثيراً ، ولم أشكها إلى أحد قبلك ، ولا أعددت للإنصاف منها إلاّ فضلك ، ودفع ذمام المسألة ، وحقّ الظلامة ، وحقّ التأميل ، وقدم صدق الموالاة والمحبّة ، والذي يملأ يدي من النصفة ، ويسبغ العدل عليّ ، حتى تكون محسناً إليّ ، وأكون بك للأيام معدياً ، أن تخلطني بخواصّ خدمك الذين نقلتهم من حال الفراغ إلى الشغل ، ومن الخمول إلى النباهة والذكر ، فإن رأيت أن تعديني ، فقد استعديت ، وتجيرني فقد عذت بك ، وتوسع عليّ كنفك ، فقد أويت إليه ، وتعمّني بإحسانك ، فقد عوّلت عليه ، وتستعمل يدي ولساني ، فيما يصلحان لخدمتك فيه ، فقد درست كتب أسلافك ، وهم الأئمة في البيان ، واستضأت بآرائهم ، واقتفيت آثارهم ، اقتفاء حصّلني بين وحشيّ الكلام وأنيسه [٥٦] ، ووقفني منه على جادّة متوسطة ، يرجع إليها الغالي ، ويسمو نحوها المقصّر ، فعلتَ ، إن شاء الله[1] .

---

١ وردت القصة في معجم الأدباء ٣/٤١٧ .

٦٣

أبو قوصرة المستخرج

والوزير المصروف الحسن بن مخلد

حدّثني أبو الحسين [1] ، قال : حدّثنا أبو الحسن علي بن أحمد بن يحيى ابن أبي البغل [2] ، وهو إذ ذاك ، عدل في جوارنا ببغداد ، ويعاشرني .

قال : حدّثني أبو قوصرة المستخرج [3] .

قال أبو الحسين : وقد رأيت أنا أبا قوصرة ، وأنا حدث ، وهو شيخ مسنّ ، من بقيّة القوّاد المتقدمين ، وقد لزم منزله ، وكان الرسم قدماً ، ان يقلّد بعض القوّاد الذين يفهمون المناظرة ، الاستخراج .

قال ابن أبي البغل : قال لي أبو قوصرة : تقدّم إليّ سليمان بن وهب [4] ، في وزارته للمعتمد ، لما قبض على الحسن بن مخلد [5] ، أن أدخل إليه ، إلى الحبس ، فأطالبه بما صودر عليه ، فكنت أخشن عليه ظاهراً ، وألين له باطناً ، وأتخبّر له على سليمان [6] ، وأشير عليه .

فوقفت على أنّ عبيد الله بن سليمان ، قد عمل على أن يجتمع هو ، وأبوه ، وصاعد بن مخلد ، وأبو صالح بن المدبّر ، وجماعة من الكتاب ، في مجلس ،

---

١ أبو الحسين علي بن هشام بن عبد الله الكاتب المعروف بابن أبي قيراط : ترجمته في حاشية القصة ٤/١٠ من النشوار .

٢ أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي البغل : ترجمته في حاشية القصة ٨/٤١ من النشوار .

٣ المستخرج : راجع حاشية القصة ٣/١٢٢ من النشوار .

٤ أبو أيوب سليمان بن وهب بن سعيد : ترجمته في حاشية القصة ٨/٢٤ من النشوار .

٥ أبو محمد الحسن بن مخلد بن الجراح الوزير : ترجمته في حاشية القصة ٢/٩٤ من النشوار .

٦ تخبر له على سليمان : نقل إليه أخباره .

ويخرجوا الحسن، فيباهتوه[1] بكل محال لا أصل له، ويكابروه[2] على المحالات، حتّى يضطروه بذلك، إلى الأداء، ويرهبوه بأخذ خطّه بزيادة على ما عليه، لأنّه كان قد بلح، وقال: لم يبق لي ما أؤدّيه.

قال: فجئته إلى الحبس، فحدّثته بأنّهم في غدٍ، سيخرجونه لذلك.

قال: ففكّر ساعة، فظننته يفكّر فيما يدبّر به أمره.

ثم أنشدني لنفسه:

من صادر الناس صادروه وكابر الناس كابروه
وباهتوه الحقوق بهتاً وبالأباطيل ناظروه
بمثل ما راح من قبيح أو حسن منه باكروه

---

1 المباهتة: المواجهة بالبهتان، وهو الكذب والافتراء.

2 كابره: عانده بالباطل.

٦٤

من تواضع ارتفع

حدّثني أبو الحسين ، قال :

كان أبو الفضل عبيد الله بن عبد الله بن الحارث الكاتب [1] ، من وجوه العمّال، ثم خلَفَ أبا القاسم سليمان [2] بن الحسن ، في وزارته الأولى ، على كثير من أمر الوزارة ، فتكبّر على الناس ، ولم يوفهم الحق ، فبحثوا عن معايبه ، وأطلقوا الألسن بمثالبه .

وكان قد اشتهر أنّ أمه، تزوجت أزواجاً ، بعد أبيه وقبله ، وقيل إنّ عددهم بضعة عشر رجلاً ، ومنهم رجل يعرف بسوشيخ ، يبيع الأرز باللبن .

فقال فيه العصفري الشاعر يهجوه ، وأنشدنيها لنفسه :

قالوا : أبو الفضل شمخ   وازداد كبراً وبذخ [٥٧]
فقلت مــــه ، قولوا له   يا هرل [3] سوشيخ الوسخ
ما كنت ، لا كنت بذي   سوشيخ يقرط لأمخ

وإنّما أراد أن يتطايب بهذا الشعر ، مع ذكر أمّه ، لأنّ أصله كان من قرية من أعمال واسط بالأسافل ، يقال لها قلمايا .

وقد كان أبو الحسين بن عياش القاضي ، أنشدني هذه الأبيات قديماً ،

---

١ أبو الفضل عبيد الله بن عبد الله بن الحارث الكاتب : كان من أنصار الوزير أبي الحسن علي ابن عيسى، وكان منحرفاً عن الوزير أبي الحسن بن الفرات ، وقد عاد مع علي بن عيسى إلى الحضرة لما طلب لوزارته الثانية (وزراء ٣٣٦) .

٢ أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد : ترجمته في حاشية القصة ١٣٣/١ من النشوار .

٣ الهرل : ولد المرأة من زوجها الأول .

وحكى مثل هذه القصة ، فأنسيت[1] الأبيات حتى أذكرنيها أبو الحسين بن هشام ، وفي رواية ابن عياش :

ويلك ما كنت بذي

قال : ومعنى يقرط لأمخ : ينيك أمّك[2] .

---

١ في الأصل : فأنشد .

٢ للشعراء العراقيين ، من قدماء ومحدثين ، تفنن عجيب ، في ترصيع أبياتهم ، بألفاظ أعجمية ، أو كلمات عامية ، ويطول بنا البحث ، لو أوردنا صوراً منها ، ونكتفي بإيراد أبيات لشاعر عراقي متأخر ، قال :

ربّ فتــاة بالمشي تلبــج
قالت : تحبني ؟ قلت : احبــج
قالت لي : احلف قلت : وربج

وقال :

ظبية من آل مــالج أوقعتني في المهالج
قلت : بالله ارحميني وضعي مــالي بمالج

لاحظ أن إبدال الكاف ، بالجيم الفارسية المثلثة ، لهجة بغدادية عريقة في القدم ، وقد أشار إليها الشاعر الضرير أنوشروان ، المعروف بشيطان العراق ، من شعراء القرن السادس الهجري ، لما نظم قصيدة في ذم إربل (معجم البلدان ١/١٨٨ ونكت الهميان ١٢٢) ، وتعرض فيها للهجة العراقيين البغداديين ، منها :

أمــا العراقيــون ألفــاظهم چب لي ، چفاني ، چف ، جاك البلا
جفه بجعصو انتف سبيلــه انتفو مده بكعغوبــه اسفقه بالمــلا
عكلي تغى هواي قسيمي اغعفــه قل لو البويد تخين كيف انقــلا

وفي هذه الأبيات ، من التعابير البغدادية التي ما تزال مستعملة ، أولا : إبدال الكاف ، بالجيم الفارسية المثلثة ، مثل : چب ، چفاني ، چف ، فهي : كب ، كفاني ، كف ، ثانياً : الإمالة ، كما ترى في البيت الثاني ، سبيله ، أي سباله ، وكما في القصة ٨/١٠١ من النشوار ، هليل ، أي هلال ، ثالثاً : إبدال القاف ، بالكاف الفارسية ، مثل: عكلي ، أي عقلي ، رابعاً : لفظة : هواي ، في البيت الثالث ، بمعنى : كثيراً ، يقال للبغدادي ، كم تريد ؟ فيقول : أريد هواي (بفتح الياء) ، أي أريد كثيراً ، خامساً : كان البغداديون ، يلفظون الراء غيناً شأن أهل باريس اليوم (راجع معجم الأدباء ٥/٧ والقصة ٦/١٧٧ من النشوار) كما ورد في البيت الثاني : جفه ، جرى ، وفي البيت الثالث : تغى : ترى ، واغعفه : اعرفه ، لاستكمال هذا البحث ، راجع حاشية القصة ٦/١٧٧ من النشوار .

٦٥

الخليل بن أحمد والراهب

حدّثني أبو الحسين بن هشام ، قال : حدّثني أبو الحسن زكريا بن يحيى ابن محمد بن شاذان الجوهري ، قال : حدّثنا أبو العباس المبرّد [١] ، قال : حدّثت عن الخليل بن أحمد [٢] [قال] :

اجتزت في بعض أسفاري ، وأنا متوجّه ، براهب في صومعة ، فدققت عليه ، والمساء قد أزف [٣] جداً ، وقد خفت من الصحراء ، وسألته أن يدخلني .

قال : فقال : من أنت ؟

فقلت : أنا الخليل بن أحمد .

فقال : أنت الذي يزعم الناس أنك وجه ، وواحد في العلم بأمر العرب ؟

فقلت : كذا يقولون ، ولست كذلك .

قال : إن أجبتني عن ثلاث مسائل ، جواباً مقنعاً ، فتحت لك ، وأحسنت ضيافتك ، وإلاّ لم أفتح لك .

فقلت : وما هي ؟

قال : ألسنا نستدل على الشاهد بالغائب ؟

قلت : بلى .

---

١ أبو العباس محمد بن يزيد الثمالي المعروف بالمبرد : ترجمته في حاشية القصة ١٤٦/١ من النشوار .

٢ أبو عبد الرحمن ، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي : ترجمته في حاشية القصة ٣٢/٧ من النشوار .

٣ أزف : اقترب أو حل .

قال : فأنت تقول : إن الله تعالى ليس بجسم و [لا] عـَرَض[1] ، ولم نرَ له مثلاً ، فبأيّ شيء أثبتـّه ؟ .

وأنت تزعم : إنّ الناس في الجنّة يأكلون ، ويشربون ، ولا يتغوّطون ، وأنت لم ترَ آكلاً ، شارباً ، إلاّ متغوّطاً .

وأنت تقول : أنّ نعيم أهل الجنـّة لا ينقضي ، وأنت لم ترَ شيئاً إلاّ منقضياً .

قال : فقلت له : بالشاهد الحاضر ، استدللت على ذلك كلـّه .

أمّا الله تعالى ، فإنّي استدللت عليه ، بأفعاله الدالة عليه ، [أنّه] لا مثل له ، وفي الشاهد مثل ذلك، الروح التي فيك ، وفي كل حيوان ، نعلم أنـّه يحسّ بها تحت كل شعرة منّا ، ونحن لا ندري أين هي ، ولا كيف هي ؟ ولا ما صفتها ، ولا جوهرها، ثم نرى الإنسان من الناس، يموت إذا خرجت، ولا يحسّ بشيء ، وإنـّما استدللت عليها بأفعالها ، وبحركاتها ، وتصرّفنا ، بكونها فينا .

وأمّا قولك : إنّ أهل الجنـّة لا يتغوّطون ، مع الأكل، فالشاهد لا يمنع ذلك ، ألا تعلم أنّ الجنين يغتذي في بطن أمـّه ، ولا يتغوّط .

وأما [٥٨] قولك : إنّ نعيم أهل الجنـّة ، لا ينقضي مع أنّ أوله موجود، فإنّا نجد أنفسنا نبتدىء الحساب بالواحد ، ثم لو أردنا أن لا ينقضي إلى ما لا نهاية له ، لم نزل نكرره ، وأعداده ، وتضعيفه ، إلى ما لا انقضاء له .

قال : ففتح لي الباب ، وأحسن ضيافتي .

---

١ العرض وجمعه أعراض : الحالة التي تطرأ على الجسم فتكون من صفاته العارضة ، كالبياض والسواد ، والحركة والسكون .

٦٦

عافية القاضي يستقيل من القضاء

حدّثني أبو الحسين ، قال : حدّثنا أبو عبد الله أحمد بن سعد ، مولى بني هاشم ، وكان يكتب ليوسف القاضي[١] قديماً ، قال : حدّثنا إسماعيل ابن إسحاق القاضي[٢] ، عن أشياخه ، قال :

كان عافية القاضي[٣] ، يتقلّد للمهدي ، القضاء ، بأحد جانبي مدينة السلام ، مكان ابن علاثة[٤] ، وكان عافية عالماً زاهداً .

فصار إلى المهدي ، في وقت الظهر ، في يوم من الأيام ، وهو خالٍ ، فاستأذن عليه ، فأدخله ، وإذا معه قِمَطْرُهُ[٥] ، فاستعفاه من القضاء ، واستأذنه في تسليم القِمَطر ، إلى من يأمره بذلك .

فظنّ أنّ بعض الأولياء قد غضّ منه ، أو أضعف يده في الحكم ، فقال له في ذلك .

فقال : ما جرى من هذا شيء .

فقال : ما سبب استعفائك ؟

فقال : كان تقدّم إليّ خصمان من شيراز وأصبهان ، في قصّة معضلة

---

١ أبو محمد يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد بن زيد : ترجمته في حاشية القصة ١٢٩/١ من النشوار .

٢ أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد القاضي: ترجمته في حاشية القصة ٣٣/١ من النشوار .

٣ عافية بن زيد بن قيس الأزدي القاضي : ترجمته في حاشية القصة ٣٤/٧ من النشوار .

٤ في الكامل ٥٦/٦ وفي خلاصة الذهب المسبوك ١٢٤ : أن عافية وابن علاثة كانا يقضيان معاً .

٥ القمطر : ما تصان فيه الكتب .

مشكلة ، وكلّ يدّعي بيّنة وشهوداً ، ويدلي بحجج تحتاج إلى تأمّل وتثبّت ، فرددت الخصوم ، رجاء أن يصطلحا ، أو يتعيّن لي وجه فصل ما بينهما .

قال : فوقف أحدهما ، من خبري ، على أنّي أحب الرطب السكر [1] ، فعمد ، في وقتنا ، وهو أول أوقات الرطب ، إلى أن جمع رطباً سكّراً ، لا يتهيّأ في وقتنا جمع مثله إلاّ لأمير المؤمنين ، وما رأيت أحسن منه ، ورشا بوّابي جملة دراهم ، على أن يدخل الطبق إليّ ، ولا يبالي أن يردّ ، فلما أدخل إليّ ، أنكرت ذلك ، وطردت بوّابي ، وأمرت بردّ الطبق ، فردّ .

فلما كان اليوم ، تقدم إليّ مع خصمه ، فما تساويا في قلبي ، ولا في عيني ، وهذا يا أمير المؤمنين ، ولم أقبل ، فكيف لو قبلت ، ولا آمن أن تقع عليّ حيلة في ديني ، فأهلك ، وقد فسد الناس ، فأقلني ، أقالك الله ، واعفني [2] .

فأعفاه [3] .

---

١ الرطب السكر : من أحسن أنواع الرطب ، ويسمى الآن في العراق : السكري ، وهو شديد الحلاوة ، ويؤكل خلالا ، ورطباً ، وتمراً .

٢ راجع خلاصة الذهب المسبوك ١٢٤ و ١٢٥ .

٣ خاصم أبو دلامة ، رجلا إلى القاضي عافية ، فقال :

لقد خاصمتني غواة الرجا ... ل وخاصمتهم سنة وافيه
فما أدحض الله لي حجة ... ولا خيب الله لي قافيه
ومن كنت من جوره خائفاً ... فلست أخافك يا عافيه

فقال له عافية : لأشكونك إلى أمير المؤمنين ، قال : لم تشكوني ؟ قال : لأنك هجوتني ، قال : والله ، لئن شكوتني إليه ليعزلنك ، قال : ولم ؟ قال : لأنك لا تعرف الهجاء من المديح (تاريخ بغداد للخطيب ١٢/٣١٠) .

٦٧

لا تصلح الدنيا إلا بالعدل

حدّثني أبو الحسين [١] ، قال : سمعت حامد بن العباس [٢] ، في وزارته [٣] ، يتحدّث ، قال :

كان صاعد بن مخلد [٤] ، وصفني للناصر لدين الله [٥] ، وعظّم عنده من أمري ، حتّى اختصصت بخدمته .

فاستدعاني يوماً على خلوة ، وقال : قد علمت ما لحقنا من هذا العدوّ ، يعني [٥٩] صاحب الزنج [٦] ، حتّى عدنا إلى هاهنا .

قال : وكان ذلك بعد انهزامه من بين يدي صاحب الزنج [٧] ، وعوده من مقامه بواسط [٨] ، ليستريح ، ويتأهب للرجوع ، ويستعد لقتاله .

قال : وقال لي الناصر : وأمري كما ترى مختلّ ، وجميع ما في خزانتي ثلاثون ألف دينار عيناً ، وهذا لا يقع منّي [٩] ، وأريد أن تصرف همّتك إلى

---

١ أبو الحسين علي بن هشام بن عبد الله الكاتب المعروف بابن أبي قيراط : ترجمته في حاشية القصة ٤/١٠ من النشوار .
٢ أبو محمد حامد بن العباس وزير المقتدر : ترجمته في حاشية القصة ١/٥ من النشوار .
٣ وزارة حامد بن العباس من ٣٠٦ — ٣١١ .
٤ صاعد بن مخلد ، كاتب الأمير الموفق : ترجمته في حاشية القصة ١/١ من النشوار .
٥ الناصر لدين الله ، هو الأمير الموفق أبو أحمد طلحة بن جعفر المتوكل : ترجمته في حاشية القصة ١/٧٣ من النشوار .
٦ علي بن محمد الورزنيني العلوي ، صاحب الزنج : ترجمته في حاشية القصة ١/٧٨ من النشوار ، راجع كذلك حاشية القصة ٢/٥٩ من النشوار .
٧ كان ذلك في السنة ٢٥٨ ، راجع الطبري ٩/٤٩٩ و ٥٠٠ و ابن الأثير ٧/٢٥٥ .
٨ الطبري ٩/٥٠٠ والكامل ٧/٢٥٦ .
٩ اصطلاح بغدادي ، يعني لا أعتد به ولا يسد حاجتي .

ما يثمر معه ، ويضعف قدره .

قال : فقلت له : هاهنا وجه فيه مرفق عظيم .

فقال : ما هو ؟

فقلت : هذه أسناية [1] الخيزران ، ومنها يشرب المبارك [2] بأسره ، وبعض الصلح [3] ، وكانت إقطاعاً لأمّ الرشيد ، الخيزران [4] ، فحفرت لها هذه الاسناية ، وكانت تغلّها غلّة عظيمة ، وقد تعطّلت الآن ، وخرب الصلح ، والمبارك ، كلّه ، فإن صرفت هذه الثلاثين الألف الدينار ، في حفر الاسناية ، وإطلاق البذر والبقر ، لأهل هاتين الناحيتين ، تولّيت لك تفرقة ذلك ، ومشاهدة الحفر بنفسي ، حتّى لا يضيع منه دانق واحد ، ولا يرتفق أحد بحبّة منه ، وتغلّ في سنة ، ضعف هذا وأكثر .

قال : قد فعلت .

قال : فأنفقت على حفر الاسناية عشرين ألف دينار ، بأتمّ احتياط ، وأطلقت العشرة الآلاف الدينار ، الباقية ، للضعفاء من الأكرة ، والتنّاء ، والمزارعين ، في أثمان بقر وبذور ، واحتطت في جميع ذلك ، وطالبت الأقوياء بالزراعة من أموالهم ، وحرصوا هم أيضاً الحرص كله ، لما رأوا الماء ، وأنّ الضياع معطّلة منذ سنين كثيرة ، وطمعوا في كثرة الريع ، ووفور الأسعار في النواحي .

---

١ السناية : السقي (لسان العرب) ، والسانية : الساقية (المنجد) ، والاسناية : القناة أو النهر يحفر ويجري فيه الماء .

٢ المبارك : نهر وقرية فوق واسط ، بينهما ثلاثة فراسخ (معجم البلدان ٤/٤٠٩) .

٣ الصلح : بالكسر ، كورة فوق واسط ، لها نهر يستمد من دجلة على الجانب الشرقي يسمى فم الصلح ، بها كانت منازل الحسن بن سهل (معجم البلدان ٣/٤١٣) .

٤ الخيزران : جارية المهدي ، أم الهادي والرشيد ، ترجمتها في حاشية القصة ٦/١٥ من النشوار.

فزرع الناس بالرغبة والرهبة ، حتّى استنفذوا جهدهم .

فلما أدركت[1] ، حصلت في بيدر واحد ، من بيادر الصلح ، وقد كان ارتفع أصل الكيل منه ، ثلاثة آلاف كرّ وستمائة كرّ حنطة ، بالنصف ، فحصلت منه الثلث ، والعشر ، على المقاسمة مع الأجور ، وفضل الكيل ، ألف كرّ وستمائة كرّ للسلطان ، وبعتها بحساب الكرّ بنيف وعشرين ديناراً ، فحصل الثمن ستة وثلاثون ألف دينار عيناً من بيدرٍ واحد ، وبقي البلد كلّه بأسره ربحاً .

فحصل له منه في أوّل سنة ، أضعاف ما أنفق مضاعفاً .

فتقوّى بذلك على الرجوع إلى الخائن[2] [٦٠] ، وكان ذلك من أكبر أسباب تقدّمي عنده ورفعتي .

قال : وكان حامد يحدّث بهذا ، عقيب شيء جرى ، قال حامد معه : لا تصلح الدنيا إلاّ بالعمارة ، والعدل ، وقمع العمال عن السرقات .

ثمّ تحدّث بهذا الحديث .

---

١ يعني الغلة .

٢ يريد صاحب الزنج علي بن محمد الورزنيني .

٦٨

تنحّ عن القبيح ولا ترده

حدّثني أبو الحسين ، قال : سمعت أبا الحسن بن الفرات ، يقول :

كان أبو الحسن محمد بن فراس الكاتب ، سبب الوصلة بين القاسم بن عبيد الله[١] ، والعبّاس بن الحسن[٢] ، حتّى استكتبه له .

فلما علت حال عباس ، حسده ابن فراس[٣] ، وعاد يسعى عليه ، ويثلبه عند القاسم .

إلى أن اعتلّ القاسم علّة موته ، فقال ابن فراس : إنّ العباس بن الحسن ، يسعى في طلب الوزارة ، مع الداية[٤] ، وصافي الحرمي[٥] ، وإنّه قد قطع السواد[٦] .

---

١ أبو الحسين القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب ، وزير المعتضد والمكتفي : ترجمته في حاشية القصة ١/٣١ من النشوار .

٢ أبو أحمد العباس بن الحسن ، وزير المكتفي والمقتدر : ترجمته في حاشية القصة ١/١٦٨ من النشوار .

٣ أبو الحسن محمد بن فراس الكاتب ، اشتهر بالحسد ، راجع القصة ٣/١٧١ من النشوار ، وكتاب الملح والنوادر للحصري ٢٤١ .

٤ داية المكتفي اسمها فارس ، جاء في كتاب الوزراء ٢٥٠ : لما أشرف القاسم بن عبيد الله على الوفاة، كاتب المكتفي ، وأشار عليه بالتعويل على العباس بن الحسن كاتبه ، ووصفه بما رغبه فيه ، وكانت فارس الداية على عناية بأمره ، لأن القاسم استكتبه لها ، فأحسن خدمتها، فأشارت على المكتفي بالله – وكان كثير القبول منها – بالتعويل عليه ، والتفويض إليه ، ففعل ، راجع بشأن فارس الداية القصة ٣/١٧١ من النشوار .

٥ صافي الحرمي : ترجمته في حاشية القصة ١/١٥٥ من النشوار .

٦ يريد أنه أعد الملابس السوداء من أجل حفلة استيزاره .

فلم يتقبّل ذلك القاسم ، وكتب الرقعة المشهورة إلى المكتفي[1] .

قال : فدخلنا عليه في الليلة التي ولي فيها الوزارة ، إثر موت القاسم ، ولم يكن خلع عليه ، ودخل ابن فراس مهنئاً له ، فجلس في أخريات الناس .

وتشاغل العباس ، بتقليب ثياب السواد ، وقد جاءوه بها ، ليختار منها ما يقطع له ، فيلبسه من غد ، في دخوله إلى الخليفة ، قبل الخلع ، حتى يبرّكه هناك ، ويلبس الخلع فوقه .

وكان الرسم إذ ذاك ، أن لا يصل أحد إلى الخليفة ، في يوم موكب إلاّ بسواد .

قال : فلمّا اختار العباس ما يريده من الثياب ، أقبل علينا ، وقال معرّضاً بابن فراس : لعن الله أهل الحسد والشرّ ، سعى قوم على دمي ، عند وليّ الدولة ، وقالوا له : إنّي قد سعيت في الوزارة ، وإنّي قد قطعت السواد منذ أيام كثيرة ، وهذا بحضرتكم ، على غير تواطؤ ، هوذا أقلّب ثياباً ، ليقطع منها سواد لي .

فقام ابن فراس قائماً ، وقال : قد حضرني ، أطال الله بقاء الوزير ، بيتان في هذا المعنى ، فإن أذن الوزير — أيّده الله — أنشدتهما .

فاستحيا العبّاس ، وقال : بحياتي ، اجلس ، وأنشد .

فجلس ، وقال :

تنحّ عن القبيح ولا ترده ومن أوليته حسناً فزده
ستكفى من عدوّك كل كيد إذا كاد العدوّ ولم تكده [٦١]

---

١ انظر في كتاب الوزراء ٣٨٧ نص الرسالة التي بعث بها القاسم بن عبيد الله للمكتفي يشير عليه فيها باستيزار العباس بن الحسن .

٦٩

جور أبي عبد الله الكوفي

حدّثنا أبو الحسن ، محمد بن محمد بن عثمان الأهوازي الكاتب ، المعروف بابن المهندس ، قال : حدّثني ابن مروان الجامدي ، قال :

لما ظلم الناس بواسط [١] ، أبو عبد الله ، أحمد بن عليّ بن سعيد الكوفي [٢] ، وهو إذ ذاك يتقلّدها لناصر الدولة [٣] ، وقد تقلّد الوزارة ، وإمرة الأمراء ببغداد [٤] ، كنت أحد من تظلّم [٥] ، فظلمني وأخذ من ضيعتي بالجامدة [٦] ، نيفاً وأربعين كراً أرزاً بالنصف من حقّ رقبتي — سوى ما أخذه من حقّ بيت المال — بغير تأويل ولا شبهة ، فتظلّمت إليه ، وكلّمته ، فلم ينصفني .

وكان الكرّ الأرز بالنصف ، إذ ذاك ، بثلاثين ديناراً .

فقلت له : قد أخذ سيّدنا منّي ، ما أخذ ، ووالله ، ما أهتدي ، أنا وعيالي ، إلى شيء سواه ، وما لي ما أقوتهم به ، باقي سنتي ، ولا ما أعمّر به ضيعتي ، وقد طابت نفسي أن تطلق لي من جملته عشرة أكرار ، وأجعل الباقي لك حلالاً .

فقال : هذا ما لا سبيل إليه .

---

١ واسط : راجع حاشية القصة ١/١١٩ من النشوار .

٢ أبو عبد الله ، أحمد بن علي بن سعيد الكوفي : ترجمته في حاشية القصة ٢/١١٣ من النشوار .

٣ أبو محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان ، ناصر الدولة : ترجمته في حاشية القصة ٢/٧٧ من النشوار .

٤ كان ذلك في السنة ٣٣٠ ، راجع تجارب الأمم ٢/٢٨ .

٥ تظلمه حقه : نقصه إياه .

٦ الجامدة : قرية كبيرة بين واسط والبصرة من أعمال واسط (معجم البلدان ٢/١٠) .

فقلت : فخمسة أكرار .

فقال : لا أفعل .

قال : فبكيت ، وقبّلت يده ، ورقّقته ، وقلت : فهب لي منه ، وتصدّق عليّ ، بثلاثة أكرار ، وأنت من الجميع في حلّ وسعة ، بطيب من قلبي .

فقال : لا والله ، ولا أرزة واحدة .

قال : فتحيّرت ، وقلت له : فإني أتظلّم إلى الله عز وجل منك .

فقال لي : كن على الظلامة — يكررها دفعات — وبكسر الميم ، بلغة الكوفيين [1] .

قال : فانصرفت محترق القلب ، فجمعت عيالي ، وما زلت أدعو الله عليه ، ليالي كثيرة .

فهرب من واسط في الليلة الحادية عشرة من أخذه الأرز ، وجئت إلى البيدر ، فأخذت أرزي ، وحملته إلى منزلي .

وما عاد الكوفيّ بعدها إلى واسط ، ولا أفلح [2] .

---

١ لا أثر لهذه اللغة في الكوفة ، ولا في بغداد ، في هذا الوقت ، وهي الآن مقصورة على الموصليين ، فهم يقولون : ظلامي، وسلامي ، وكرامي ، في ظلامة ، وسلامة، وكرامة .

٢ وردت القصة في كتاب الفرج بعد الشدة .

٧٠

أبو عبد الله الكوفي

يعاقب ملاّحاً على سوء أدبه

حدّثني أبو الحسن محمد بن محمد الأهوازي بن عثمان المعروف بابن المهندس ، قال :

كنت أتقلّد الضريبة وغيرها ، في[1] أعمال واسط ، في هذا الوقت[2] ، للكوفيّ .

فقدم ملاّح ، يقال له ابن شبيب ، من بغداد ، في زورق عظيم ، وكان فيه حديد ، وخواب ، فطالبته على ضريبتهما بثمانية آلاف درهم وكسر .

فالتجأ إلى ثمل[3] وهو غلام سيف الدولة ، لأن سيف الدولة كان مقيماً بواسط حينئذ ، أميراً عظيماً .

فكتب إليّ ثمل ، رقعة يلزمني تخفيف [٦٢] الضريبة عن الملاّح ، ومقاربته ، وأنفذ غلماناً من غلمانه .

فوضعت في نفسي المقاربة لأجله ، فقلت للملاّح ، عليك ثمانية آلاف درهم ، وكذا وكذا ، فبكم تحب أن أسامحك ، لأجل كلام فلان أيّده الله ؟

قال : وكان مجلساً حافلاً بأهل الأسواق ، والتجّار ، والمعاملين في الضريبة .

قال : فقال لي الملاّح مستفهماً : كم عليّ ؟

---

١ في الأصل : من .

٢ يعني الوقت الذي حصلت فيه القصة التي سبقتها وهي السنة ٣٣١ .

٣ في الأصل : (يمك) ، والتصحيح عن تجارب الأمم ٢/٤٤ حوادث السنة ٣٣١ .

فقلت : ثمانية آلاف درهم وكسر .

قال : فضرط من فمه[1] ، لي ، وقال : تأخذ مني بميزان قرع ، وصنج بعر .

قال : فورد عليّ أمر عظيم ، من استخفافه بي في مجلس العمل ، وكرهت أن أوقع به ، فتشرّق الحال بيني وبين ثمل ، مع تمكّنه من سيف الدولة ، وتصير منابذة بينه وبين صاحبي ، ولا أدري كيف يكون حالي في ذلك .

فقلت له : أمّا أنت فأقلّ من أن تجاب عن هذا الكلام ، ولكن سأريك أمرك ، كونوا معه .

قال : فوكّلت به جماعة من الرجّالة ، وعبرت في زبزبي ، إلى الكوفيّ ، فحدّثته بالقصة .

فحين استتم حديثي ، قال : وأيّ شيء عملت بالملاّح ؟

فقلت : لم أقدم أن أعمل به شيئاً ، لأجل ثمل ، وخشيت أن تنكر أنت ذلك .

فقال : نفّاطين ، نفّاطين[2] ، وصاح ، وتغيّظ . فأحضروا .

وقال : ثلاثين راجلاً ، الساعة ، فأحضروا .

فقال : اعبروا إلى الزورق ، فأحرقوه ، بجميع ما فيه من الأمتعة ، الساعة .

قال : فورد عليّ أمرٌ عظيم ، وندمت على الشكاية ، فقلت : يكفي من هذا — أطال الله بقاء سيدنا — ضرب الملاّح بالمقارع في السوق ، وأن تضعف

---

١ ضرط من فمه : زم شفتيه ، ونفخ فيهما ، فأخرج صوتاً يشبه الضرطة ، استهانة بالمقابل ، والبغداديون يسمون ضرطة الفم : عفطة ، فإن علا صوتها ، فهي فص ، فإن اشتدت وطالت فهي : زيك ، بالكاف الفارسية ، راجع حاشية القصة ١٧٨/٦ من النشوار .

٢ النفاطين : الرماة بالنفاطة ، وهي أداة من نحاس يرمى فيها بالنفط والنار .

عليه الضريبة ، وتستخرجها منه .

فقال : لا والله ، إلاّ الإحراق .

قال : فاجتهدت به ، فلم يكن في يدي منه شيء .

وتوجّه النفّاطون ، والرجّالة ، إلى الزورق ، فضربوه بالنار ، وأقبل الملاح يلطم ، ويصيح ، ويقول : يا قوم ، فيه أموال الناس ، قد افتقروا ، وافتقرت ، ويستغيث بالمسلمين ، ولا يقدم أحد على إغاثته .

وأحرقت قلوس[1] الزورق ، التي كانت تربطه ، وتمسكه ، وخرج منه الملاّحون ، وطرحوا أنفسهم إلى الماء .

فانحدر مع الماء لنفسه ، والنار تشتعل فيه ، فوقع على الجسر ، فقطعه ، وانحدر ، حتى انتهى إلى موضع معسكر سيف الدولة ، وكان نازلاً في المأصر[2] بواسط .

والملاّح [٦٣] في بكائه وراءه ، لا يجسر أن يطفىء النار ، ولا يقدر على أكثر من أن يلطم ويصيح .

فلما رأى سيف الدولة الصورة ، استهولها ، مع صياح الملاّح ، وقوله فيه أموال ، فاستدعاه ، وقال : أيش فيه ؟ .

---

١ القلوس : حبال السفينة ، مفردها قلس .

٢ المأصر : محبس يمد على طريق أو نهر يؤصر به السفن والسابلة ، أي يحبس ، لتؤخذ منهم العشور (لسان العرب) ، وفي التاج واللسان : حبل يلقى في الماء لمنع السفن عن السير حتى يؤدي ما عليها من حق السلطان ، في دجلة والفرات ، قال ابن رستة ، في كتاب الأعلاق النفيسة ١٨٤ و ١٨٥ في وصفه الطريق بين بغداد والبصرة : وبالحوانيت ، أصحاب السيارة ، والمأصر من قبل السلطان ، والمأصر : أن تشد سفينتان من أحد جانبي دجلة ، وسفينتان من الجانب الآخر ، وتشد السفن على شطين ، ثم تؤخذ قلوس على عرض دجلة ، وتشد رؤوسها إلى السفن لئلا تجوز السفن بالليل ، وحدثني المرحوم الشيخ علي الشرقي رضي الله عنه : أن بلدة الحي الموجودة الآن على الغراف ، هي حي المشارين الذين كانوا يقيمون على المأصر بواسط ، وقد نمت حتى أصبحت مدينة ، وزالت واسط من الوجود .

فقال : فيه مال صاحب البريديين ، أصدره إليهم صاحبهم من بغداد سرّاً ، وجعله تحت الحديد .

قال : فأمر سيف الدولة بالزورق ، فقدّم إلى الشط ، وأطفئت النار ، وقد احترق جوانب الزورق ، وظلاله[1] ، وأكثر آلته ، إلاّ الأمتعة التي في أسفله ، فإنها كالسالمة .

فرقي بها إلى الشط ، فأخرج المال ، فإذا هو ثمانية آلاف دينار عيناً ، ونيف وستون سيفاً ومنطقةً ، من فضة ، وبعضها من ذهب ، فأخذ ذلك .

وسلّم الزورق إلى الملاح ، وشدّ على يده ، وعصمه من الكوفيّ ، حتى نقض الملاّح الزورق ، وانتفع ببقية خشبه وحديده ، ووصل التجّار إلى ما سلم من المتاع .

---

١ ظلال الزورق : الستائر المحيطة به ، تحجب المطر والشمس عما فيه من أشخاص وأموال .

٧١

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان

حدّثني أبو الحسين ، قال : سمعت أبا عيسى ، أحمد بن محمد بن خالد ، المعروف بأخي أبي صخرة [١] ، يحدّث أبي ، قال :

ما رأيت أحسن رعاية من أبي القاسم ، عبيد الله بن سليمان [٢] .

فمن ذلك : أنّ إسماعيل بن ثابت ، المعروف بالزغل ، كان يتقلّد لأبي الصقر ، إسماعيل بن بلبل [٣] ، في وزارته ، طساسيج [٤] بادوريا [٥] ، وقطربّل [٦] ، ومسكن [٧] ، ونهر بوق [٨] ، والذنب [٩] ، وكلواذى [١٠] ، ونهربين [١١] .

فلفّق على عبيد الله بن سليمان — وهو إذ ذاك متعطّل في منزله ، بعقب تقضّي النكبة عنه ، ولزومه لبيته — ثلاثة آلاف درهم ، ذكر أنّها تجب عليه

---

١ أبو عيسى أحمد بن محمد بن خالد ، المعروف بأخي أبي صخرة : ترجمته في حاشية القصة ١/١٤ من النشوار .

٢ الوزير أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب : ترجمته في حاشية القصة ١/٣٢ من النشوار.

٣ الوزير أبو الصقر إسماعيل بن بلبل : ترجمته في حاشية القصة ١/٧٦ من النشوار .

٤ الطسوج : الناحية أو المنطقة ، راجع حاشية القصة ٢/٨ من النشوار .

٥ بادوريا : راجع حاشية القصة ١/٦٦ من النشوار .

٦ قطربل : راجع حاشية القصة ١/٧٠ من النشوار .

٧ مسكن : راجع حاشية القصة ٤/١١ من النشوار .

٨ نهر بوق : طسوج في سواد بغداد قرب كلواذى ، زعموا أن جنوبي بغداد من كلواذى ، وشماليها من نهر بوق ، (معجم البلدان ٤/٨٣٦) .

٩ كذا في الأصل ، ولعلها الذنب .

١٠ كلواذى : راجع حاشية القصة ١/٧٠ من النشوار .

١١ نهربين : طسوج من سواد بغداد متصل بنهر بوق (معجم البلدان ٤/٨٣٦) .

ببادوريا ، في سنين ، من مظالم باطلة ، وبقايا غير لازمة ، وأحضر وكيله ، وطالبه بها .

فقال له : أمضي ، وألتقي بصاحبي ، وأواقفه على الأداء .

فوكّل به عدّة من رجّالته ، وانصرف ، فصار إلى عبيد الله ، فقال له : أغرم للرجّالة جعلاً ، ودافع بلقائه يومين ، إلى أن أطرح عليه ، من يسأله ترك المطالبة ، بأن يقرّرها معه .

فخرج الوكيل ، وبذل للرجّالة أوفر الأجعال ، فذكروا أنّهم لا يقدمون على الإفراج عنه خوفاً من الزغل .

وتكرّر الكلام بينهم ، إلى أن وثب حاجب عبيد الله بهم ، وحال بينهم وبين الوكيل ، وأدخله الدار .

وانصرفوا ، فشكوا [٦٤] ذلك إلى الزغل ، وأسرفوا ، خوفاً منه ، ليقوم عذرهم .

فجاء الزغل ، فأسرف إسرافهم ، وأضاف كل قبيح إلى عبيد الله ، وشكاه إلى الوزير إسماعيل ، وقال له : إنّه لا يقدر على استخراج مال عليه ، إلاّ بالمبالغة في مكروه عبيد الله ، والإنكار عليه ، وحبسه بنفسه في الديوان ، حتى يؤدّي ، ولا يقتدي به المتعذّر .

وكان إسماعيل ، من العداوة لعبيد الله ، والبغض له ، والخوف منه على محلّه ، بمنزلة عظيمة ، وفيه — مع ذلك — تشدّد في نصرة العمل ، وجبرية في نفسه ، فاغتاظ جداً .

فأحضرني ، وأنا — إذ ذاك[1] — أتولّى له ديوان ضياعه ، وتقدمته ، وتدبير الجيش برسمه ، ومنزلتي في الاختصاص به قويّة .

فقال : أحضر هذا الجاهل عبيد الله بن سليمان ، وعرّفه ما شكا منه

---

١ في الأصل : مع ذلك .

إسماعيل بن ثابت ، وأنّ جزاءه عليه الإبعاد إلى طنجة[1] ، وقبض نعمته ، وضياعه ، وأنّي أعرفه بالعجب والجهل ، ولولا أنّ الزمان ، قد كفاني ، بإسقاط أبيه ، وأنّه صار إلى منزلة ، إن عاقبته بما يستحقّه ، جعلت له سوقاً ، لما أخّرت عقوبته ، ولكن قل له : والله لولا تذمّمي ، لأمرت بالآخر[2] أن يصفع من داره إلى ديوان إسماعيل بن ثابت ، ويقام على رجله ، حتى يؤدّي ما عليه ، ولا تدعه من الديوان ، أو يحضر وكيله وحاجبه ، فيسلّمهما إلى إسماعيل بن ثابت ، وتصرفه حينئذ ، ليطالبهما إسماعيل ، بما عليه .

قال : فخرجت ، وكتبت إليه رقعة ، أستدعيه فيها إلى الديوان ، دعوت له فيها ، كما يدعى من الديوان لمثله ، وهي سطران دعاء ، وترجمتها في ظاهرها : « لأبي فلان ، من فلان » .

وكان الكاتب كتبها عني ، فلما عرضها عليّ ، زدت فوق الدعاء ، بخطّي ، يا سيدي ، وكتبت في داخل الرقعة ، عبدك ، وإنّما أردت توفيته الحق بذلك ، وستر الأمر عن كاتبي ، لئلاّ يسمع أنّي خاطبته بتعظيم ، فأقع في مكروه ، مع إسماعيل .

وزدت في آخر الرقعة بخطّي : أنّه لا يجب أن يستوحش من شيء أتوسّطه ، فإني أحوطه بجهدي ، وأنّ سبيله أن يحضر عشيّاً ، ليكون مجلسي خالياً ، فأوفّيه الحق ، ولا يجيء [٦٥] غدوة ، فإن وفيته الحقّ لحقني من الوزير إنكار ، وإن قصّرت تذمّمت إليه ، وراعيت العواقب فيه .

فجاءني في جواب الرقعة ، عشياً ، فقمت إليه ، وكان هذا عظيماً ، محظوراً

---

١ طنجة : بلد على ساحل بحر المغرب ، مقابل الجزيرة الخضراء ، وهي آخر حدود إفريقيا (معجم البلدان ٣/٥٥٠) .

٢ الآخر والأخير والبعيد والأبعد : كلمة شتم .

على مثلي ، وخاصّة في الديوان ، وصدّرته ، وجلست بين يديه وعرّفته ما جرى من الزغل ، وأعدت من كلام الوزير ، من الإنكار ، والإيعاد ، ما جمل لفظه .

وقلت : قال أشياء أخرى كثيرة، قبيحة ، عظيمة ، هائلة ، لا أستحسن تلقّيك بها ، وأجلّ سمعك عن إيرادها عليك ، هذا أقلّها وأحسنها ، ومع ذلك فإنّه أمرني ، أن لا تبرح ، أو تحضر الوكيل والحاجب ، ثم أستاذنه في انصرافك ، فأجاب ، إن فعلتَ هذا ، وأن يصير لك اعتقال إن خالفتَ ، ثم لا أدري أيّ شيء ينجرّ عليك ، وأكون سببه ، ولكن اجعلني على ثقة من إنفاذك الرجلين إليه ، وانصرف ، لأعرّفه ما جرى ، فإن أنكر عليّ انصرافك بغير إذن ، جحدته أنّي سمعت ذلك منه ، وكن على تحرّز ، من غير أن يشيع ذلك ، إلى أن يجيئك ثقتي بجليّة الصورة ، فتعمل بها ، وبحسبها ، إمّا في الأمن ، أو الهرب .

فشكرني ، وقال : ما أطمع أن أكافيك على هذا .

وقام ، وقمت بقيامه ، وودّعته ، وقلت : يا غلمان ، بأسركم ، بين يديه ، فخرج ، وأنفذ الرجلين ، وتوقّى توقّياً ضعيفاً ، ودخلت ، فعرّفت الوزير الصورة ، وجمّلت القصة ، وأمرني بترك التعرّض له ، وتسليم الرجلين إلى الزغل .

فأحضرت الزغل ، وسلّمت الرجلين إليه ، وقلت له : تقبل رأيي ؟

فقال : قل .

فقلت : قد بلغت ما تريد ، فأحسن في الأمر ما قدرت .

فقال : يا سيدي ، هذا إبطال للعمل ، ولا بدّ من تقويمهما .

فجهدت به في الإحسان ، فلم يفعل ، وأنفذ الرجلين ، إلى باب عبيد الله ، فضربهما عليه ، كلّ واحد منهما ، عشرين مقرعة ، وصفع الوكيل ، بعد

الضرب ، خمسين صفعة ، واستخرج الدراهم .

ومضت السنون على هذا ، وفرّج الله عن عبيد الله [٦٦] ، وتقلّد الوزارة ، فاستترت ، لأجل اختصاصي بإسماعيل الوزير ، وما ألتزم من جهته .

وقبض عبيد الله ، على الزغل ، وكان أوّل من صودر ، من أسباب إسماعيل ، وعومل من المكاره ، بما لم يسمع بأعظم منه ، ولم يتصرّف في أيّام عبيد الله ، إلى أن مات وهو يتصدّق .

واستترت أنا ، أياماً ، فلم يعرض عبيد الله لطالبي ، ولا لشيء من داري ، وضيعتي ، ولا لأهلي ، ولا معاملي ، فأنست بذلك ، وكتبت إليه بعد ذلك ، أسأل الأمان ، فأمنني .

فحضرت مجلسه ، وهو حافل بالناس ، وبين يديه الخلق ، من أصحاب الدواوين والقوّاد .

فحين رآني ، قام إليّ قياماً تاماً .

فقبّلت رجليه ، وقلت : يقيلني الوزير أطال الله بقاءه ، وليس هذا محلّي .

فقال : ولم ؟ ما يفي قيامي لك ، بقيامك لي ، لأنّك قمت لي في وقت عرّضت – بقيامك لي – نفسك ، ودمك ، ونعمتك، وحالك، لذلك العدوّ لله ، وعاملتني ، بما لا يفي به شكري ، ولك عندي كلّما تحبّه ، ولن يلحقك سوء في مالك ولا غيره .

قال : ولجّ به المعتضد ، في مصادرتي ، وهو يدفعه عنّي ، ويقول له أشياء يدفع بها عنّي ، لا أصل لها ، منها : أنّه قال له : هذا قد صادره إسماعيل ، في أيّام تصرّفه معه ، دفعات ، وأفقره على سبيل القرض ، وكانت له نفقات عظيمة ، ومروءة ، وهو مع هذا عفيف ، لا يرتفق بشيء ، ولا يجاوز رزقه ، ولا حال له ، فيصادر ، ولا طريق عليه .

قال : والمعتضد يلحّ .

فقال لي عبيد الله : ليس لك ، إلاّ أن تبتعد عن المعتضد حتى ينساك .

فقلت : الأمر للوزير .

فقلّدني الخراج والضياع بقم ، وكتب إلى صاحب المعونة ، بخدمتي ، وأخرجني على أمر يعظم .

وطالبه المعتضد ، بالتزام مصادرتي ، فأعاد عليه القول ، وقال : احتجت إلى الاستعانة بكفايته ، فأنفذته إلى قم .

فقال : لا بد من إلزامه شيئاً هناك .

فكتب بالصورة إليّ ، وألزمني عشرين ألف دينار ، وعدني بإخلافها عليّ ، فالتزمتها ، ولم يكن القول بها مؤثراً في حالي .

فلما أدّيت منها عشرة آلاف ، أسقط الباقي ، وسأل المعتضد فيه ، فحطّه [٦٧] عني ، وما عطّلني ، إلى أن مات .

فسلمتُ ونعمتي عليه ، وكسبت معه نعمة ثانية ، أنا فيها إلى الآن ، بثمرة ذلك الإحسان .

وهلك الزغل ، وبلغ إلى الصدقة ، ومات في الفقر ، بثمرة ذلك الشرّ[1] .

---

١ راوي هذه القصة أبو عيسى أحمد بن محمد بن أبي خالد ، المعروف بأخي أبي صخرة ، راجع أخباره في القصة ١/١٤ من النشوار ، وفي كتاب الوزراء للصابي ٢٦٨ ، ٢٩١ ، ٣٥٠ – ٣٥٢ ، ٣٧٥ وفي صلة الطبري ٦٠ .

٧٢
آثار قديمة في سواد واسط

ومن عجائب الدنيا ، وآياتها ، أشياء في سواد واسط .

حدثني جماعة ، منهم رجل يعرف بابن السراج ، وغيره ، ومنهم محمد ابن عبد الله بن محمد بن سهل بن حامد الواسطي ، وجده أبو بكر محمد بن سهل ، كان وجهاً من وجوه الشهود بواسط ، ثم تقلد القضاء بها سنين ، دفعات ، فأثبتُّ ذلك بخط محمد بن عبد الله ، عقيب هذا الكلام :

شاهدتُ على نحو من فرسخ وكسر من رصافة الميمون[1] ، قرية من قرى النبط ، أو الأكاسرة ، وتعرف بجيذا[2] ، وقالوا فيها آثار قديمة ، من بناء آجر وجص ، وفيها قبة قائمة ، كالهيكل كانت قديماً ، ومثال رجل من حجر أسود أملس ، عظيم الخلق ، يعرف عند أهل ذلك الصقع بأبي إسحاق ، لأنه يتعاطى قوم من أهل القوة شيله[3] فيسحقهم ، ويكسر عظامهم ، وقد قتل وأزمن خلقاً ، فيذكر أهل الموضع ، أنهم سمعوا أشياخهم ، يدعونه بذلك ، على قديم الأيام .

وهذه القرية خراب ، لا يذكر فيها عمارة .

وقد كان احتمل هذا الحجر ، رجلٌ يعرف بالجلندي ، كان على حماية المأمون[4] ، فعمد إليه ، وشد فيه الحبال ، وجره بالبقر ، إلى أن بلغ موضعاً من الصحراء ، فأمسى ، فتركه في موضعه ، فلما أصبح عاد فوجده ناحية عن

١ الميمون : نهر من أعمال واسط ، قصبته الرصافة (معجم البلدان ٤/٧١٩) .
٢ جيذا : بالكسر ، قرية من قرى واسط (معجم البلدان ٢/١٧٣) .
٣ شال : رفع .
٤ يريد : أن المأمون كان قد استعمله على حماية الطريق .

الموضع الذي تركه فيه ، وأنّ ذلك الحجر صار بالقرب من موضعه الأوّل ، فتركه وانصرف .

ثم احتمله بعد ذلك ، رجلٌ آخر ، من أهل الرصافة [1] ، على خلق من الحمّالين ، يتناوبون عليه ، حتى أدخله الرصافة ، فحضر أهل ذلك الصقع الذي كان فيه ، يضجّون ، ويقولون : إنّ هذا نأنس به في ذلك المكان ، وإنّا نأوي إليه في الليل ، فنأنس به ، ويمنع عنّا الوحش ، إذا كنّا بقربه ، فلا يقربون ما يأوي إليه ، فحملوه ثانية ، حتى ردّوه إلى موضعه الأوّل ، بعد أن بذل لهم الرجال ، حمله من الرصافة .

وكان على صدره ، وعلى ظهره ، وكتفيه ، كتابة محفورة ، قديمة لا يدري بأيّ قلم هي [٦٨] .

وفي هذه البلاد ، قرية ، تعرف بقصبة نهر الفضل ، وهي تلهوار [2] ، و [على] نحو فرسخين [منها] تلّ يعرف بتل ريحا [3] ، من البلاد القديمة ، فيها آثار ، وفيه حجر عظيم مربع ، له سمك كثير ، وهو كالسرير ، طول تسعة أذرع ، في أذرع [4] ، قد غاب في الأرض أكثره ، وعليه تماثيل ، ونقش .

وكان صاحب تلهوار ، أحمد بن خاقان [5] ، أراد إقلاب هذا الحجر ، لينظر ما تحته ، فاحتفر حوله ، واجتهد أن يقدر على قلبه ، فلم يقدر على ذلك ، لأنهم كانوا كلّما احتفروا تحته ، ليتمكّنوا من قلبه ، هوى إلى الحفرة ،

---

١ رصافة واسط : قرية على عشرة فراسخ من واسط (معجم البلدان ٢/٧٨٨) .

٢ تل هواره ، بفتح الهاء : قرية من قرى العراق (المعجم ١/٨٧٢) وهي قصبة نهر الفضل ، ونهر الفضل من نواحي واسط (معجم البلدان ٤/٨٤٢ و تجارب الأمم ٢/٢٦٨) .

٣ لم أعثر عليه في المعجم .

٤ كذا في الأصل .

٥ توفي أحمد بن خاقان سنة ٣٥٩ ، انظر تجارب الأمم ٢/٢٦٨ .

فاستغرق فيها ، فلما أعياه ذلك ، تركه على حاله .

وفي موضع من . . . [1] الذي في ظهر البطائح ، بين واسط والبصرة ، ممّا يلي الطفوف [2] ، من القبة العتيقة ، فيه خزانة يقال لها : القارة [3] ، يقال إنها من خزائن قارون ، طولها أربعون ذراعاً ، والعرض مثله ، وارتفاعها أكثر من ذلك ، مبنيّة بالقار ، والحصى ، والنوى ، وهي مجموعة ليس [4] لها باب ولا نقف لها على مدخل [5] .

وكان رجل من ساكني تلهوار ، يعرف بعمر النجار ، أضاف رجلاً من المجتازين ، وأكرمه ، فأحبّ أن يكافيه ، فأعلمه كيفيّة الوصول إلى هذه القارة ، وكتب له بذلك كتاباً ، أوقفه عليه .

وقال له : نريد أن نستعين برجل كبير ، وأومأ إلى خاقان ، وأبي القاسم بن حوط العبدسي ، وكانا رئيسي البلد ، فأعلمهما ذلك .

فأعدوا له آلة لما يحتاج إليه من الفتح ، من مرور [6] ، وآلات حديد ، وخشب وزبل [7] ، وسلاليم [8] ، وأجرّة سفن ، وحبال ، وغير ذلك ، ولزمهما عليها – مع مؤن الرجال – ألوف دراهم كثيرة ، وأثبتا رجالاً كثيرة

---

١ بياض بالأصل .
٢ الطف : ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق (معجم البلدان ٣/٥٣٩) .
٣ القارة : هي الأكمة أو الجبل المستدق الملموم في السماء وهي هنا التل العالي (المعجم ٤/١٢) .
٤ في الأصل : الراس .
٥ يظهر من وصف هذه القارة ، وتعيين موضعها ، أنها تل مماثل لتل عقرقوف الماثل في أبي غريب قريباً من بغداد .
٦ مرور : مفردها مر : أداة تشبه الفاس تستعمل للحفر ، ما تزال مستعملة ببغداد .
٧ زبل : مفردها زبيل ، وهو الزنبيل أي القفة الكبيرة .
٨ سلاليم ، وسلالم ، مفردها سلم : وهو المرقاة سواء كان من خشب أو حجر .

للحماية ، لأنّ الموضع تطرقه القرامطة[1] والبوادي[2] ، ثم أخرجاه ، ومن معه من الرجال ، في سفن في البطيحة ، لأن الماء إذا زاد في البطيحة يصير فيما بينه وبين هذه القارة دون الفرسخين ، فمضوا إليها .

فحدّثنا ابن لهذا الرجل ، المعروف بعمر النجار ، أنّه كان مع أبيه ، في الموضع ، فوافى ، فمسح ممّا يلي مطلع الشمس ، من هذه القبة ، أربعين ذراعاً ، ثم احتفر الموضع ، فظهر له حجر عظيم [٦٩] لا يقلّه إلاّ الجماعة الكثيرة ، فلم يزل يحلحل حوله ، حتى أخرجه ، وإذا أزج عظيم ، كان ذلك الحجر عليه على بابه ، ولحقه المساء ، فعمل على المباكرة لدخول الأزج ، والوصول إلى باب القبّة ، فبات ليلته ، ومن معه ، فلما كان في وجه الصباح ، حين يبدو الفجر ، سمعت الجماعة ، تكبيراً وضجّة ، ونظروا إلى السيوف والخيل[3] تبين من خلال الظلمة ، فناذروها ، ولم يشكّوا أنّها خيل القرامطة ، وتوجهوا نحو البطيحة ، والسفن التي لهم هناك ، فلم يزالوا كذلك يتعادون إلى أن أصبحوا ، وبان ما في الصحراء ، ممّا يحتاجون أن يروه ، فلم يروا خيلاً ، فظنوا أنها قد انصرفت عنهم ، فعادوا راجعين إلى مواضعهم ، فوجدوا عمر النجار مذبوحاً في بعض الطريق ، ووافوا إلى مواضعهم ، فوجدوا أمتعتهم كما هي ، ما فقدوا منها شيئاً ، فاحتملوها ، واحتملوا عمر النجار ، وانصرفوا .

وقيل لي : إنّه لم يوجد الحجر ، ولا أثر الموضع الذي احتفروا .

وقد يجد الناس ، ممّن يجتازون بذلك الموضع ، أو يقصده ، دراهم ،

---

١ القرامطة : راجع حاشية القصة ١/١٧٤ من النشوار .

٢ يريد : الأعراب .

٣ في الأصل : سيوف الخيل .

وجواهر ، حول تلك الخربات ، والقبّة .

وقد يأوي إلى تلك الخربات ، النعام ، وتبيض فيها ، لخلوّها ، وانقطاع الناس ، عن الاجتياز بها ، إلاّ في الحين بعد الحين [1] .

---

١ سواد واسط ، يعج بمواضع العاديات ، وما يزال إلى الآن مرتاداً لخبراء الآثار القديمة ، وكانت واسط من أعمر المدن وأرخصها سعراً ، قال ياقوت في معجم البلدان٤/٨٨٦ إنه رأى فيها كوز الزبد بدرهمين ، واثنتي عشرة دجاجة بدرهم ، وأربعة وعشرين فروجاً بدرهم ، ومائة وخمسين رطلا من اللبن بدرهم ، ومائة رطل من السمك بدرهم ، وكان سمكها يعتبر من خصائص العراق (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ١٢٨) ويشتمل على نوعين : الشيم (معجم الحيوان ٥١) والبني (معجم الحيوان ٢٨) ، وكانوا يقولون: واسط جنة ، بين حماة وكنة ، وأهلها قراء قابضون على الأعنة ، طاعنون بالألسن والأسنة (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ٢٧٢) ، وذكر صاحب أحسن التقاسيم ١٢٩ عن أهل واسط أنهم كانوا يحتفلون بالبنفسج ، عند ظهوره ، ويدورون به في الأسواق ، ويتجملون به ، وكذلك إذا حل وقت وصول التمر الحديث إلى واسط ، فإن أول سفينة تصل ، يزين لها البيع الشط إلى دكانه بالأنماط والستور ، وذكر أن للهراسين مواضع فوق دكاكينهم فيها الحصر ، والموائد ، والمري ، وخدام ، وطشوت ، وأباريق ، وأشنان ، فإذا انحدر الرجل ، دفع دانقاً (سدس الدرهم) .

٧٣

سيدوك الشاعر

رأيت بواسط شيخاً ، ذكر لي ، في شهر ربيع الأول من سنة ثلاث وستين وثلثمائة ، أنّه قد تجاوز الستّين سنة ، وأنّ مولده ومنشأه بالدحب[١] ، قرية من سواد واسط ، وأنّ أباه كان رجلاً من أهل البصرة ، من بني تميم ، وفَدَ قديماً إلى واسط ، ثم استوطن [٧٠] السواد ، فوُلِدَ هو فيه ، ونشأ إلى أن بلغ ، فأحبّ العلم ، فرجع إلى البصرة ، وأقام بها ، وتأدّب ، ثم دخل البادية ، فأقام بها نحو عشر سنين ، ولقي الناس ، ووجدته يفهم من اللغة والنحو طرفاً، وهو شاعر من شعراء واسط المشهورين، ويلقب بسيدوك[٢] .

وأخبرني هو ، قال : قال لي أبو محمّد المهلّبي ، وقد امتدحته لما وزّر ، لِمَ تسميت بسيدوك ؟

فقلت : لأنّه اسم رئيس الجنّ ، وأنا رئيس الشعراء .

فقال : أفتدري لِمَ سمّي سيدوك رئيس الجنّ بهذا الاسم ؟

قلت : لا .

قال : بلغني أنّه إنّما سمّي بذلك ، لأنّ في الجنّ قبيلة يقال لها : هلوك ، وهو سيدها، فاستثقلوا أن يقولوا: سيّد هلوك، فخفّفوها، فقالوا: سيدوك .

والرجل كان يكنى أبا طاهر ، واسمه عبد العزيز بن حامد بن الخضر ، على ما أخبرني .

---

١ كذا في الأصل .

٢ أبو طاهر عبد العزيز بن حامد بن الخضر الواسطي المعروف بسيدوك : روى عنه شعره أبو القاسم وأبو الجوائز الواسطيان ، وتوفي سنة ٣٦٣ (فوات الوفيات ١/٥٧٦ واليتيمة للثعالبي ٢/٣٧٢) .

٧٤

من شعر سيدوك

وحدّثني [1] ، قال :

كنت يوماً بحضرة بعض الرؤساء في مجلس شراب ، فرماني بنارنجة نصفها أصفر ، ونصفها أخضر .

وقال لي : قل في هذه شيئاً .

فقلت في الحال :

وطيّبة النشر مسكيّة مرصّعة بالتحايا العذاب
فأصفر في لون شمس المساء وأخضر في لون قوس السحاب
فلون لوجنة مرعوبة ولون لأثر نصول الخضاب
فهذا كمصّة نحر الحبيب وذاك كما علّ صرف الشراب

وأنشدني لنفسه أيضاً :

شربت حلاوة عيش الصبا وذقت مرارة فقد الشباب
فلا طعم أكره ممّا اغتدى خضابك مستهتراً من خضابي
ولا شيء أعجب ممّا التقى نصول الخضابين يوم العتاب
أشارت إلى أصص [2] محدقات بألوان نيلوفرات طياب

وأنشدني لنفسه [٧١] :

---

١ وردت القصة في بدائع البدائه لابن ظافر ٢/٢٢ .

٢ الأصص : أوعية تزرع فيها الورود والرياحين .

أرى قسمة الأرزاق أعجب قسمة   فذو دعةٍ مثر ومكد به الكدُّ
فأحمق ذو مال ، وأحمق معدم   وعقل بلا حظّ وعقل له جدُّ
يعمّ الغنى والفقر ذا الجهل والحجى   ولله من قبلُ الأمور ومن بعدُ

وأنشدني لنفسه :

أظنّ بليّة دهمت فؤادي   وأحسبها غزال بني سُلَيم
وإلاّ لِمْ يغيب فيعتَرِيني   تدلّه ضائم من غير ضيم[1]
ولم عيني إذا فقدته كانت   كعين الشمس إذ غطّت[2] بغيم

---

١ ورد البيتان الأخيران في اليتيمة (٢/٣٧٢) كما يلي :

وإلاّ لم يغيب فتعتريني   مذلة ضيمه من غير ضيم
ولي عين إذا فقدته صارت   كعين الشمس ملبسة بغيم

٢ غطّ الشيء في الماء : غمسه وغوصه فيه .

٧٥

محنة القرامطة

حدّثني أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن عبيد الله[١] ، قال :

كنت مع إبراهيم بن نافع العقيلي ، المعروف بابن البارد الطوق ، وبعض العرب تسميه بباري الطوق ، وكانت العامّة تسمّيه : ابن البارد الطوق ، وخبروني أنّه سمي بذلك أبوه، لأنّه ضرب رجلاً في عنقه طوق ، فبراها بالضربة .

قال : وكان أبو إسحاق بن البارد هذا ، إذ ذاك ، أمير نهر الأيسر[٢] الذي بين رستاق البصرة والأهواز ، وهو إذ ذاك يليها من قبل معزّ الدولة[٣] .

فورد عليه رجل ، قد هرب من القرامطة[٤] ، من بني عقيل ، يعرف بمختار بن فرناس ، وكان من حيّ إبراهيم ، من بني معاوية بن حزن .

وكان في عنق المختار هذا ، طوق فضّة .

وكان سبب هربه ، على ما سمعت خلقاً من بني عقيل ، يخبرون بذلك ، إذ ذاك ، أنّه قتل أخاه ، وابن عمّه ، لأجل ضيف أضافه .

وذلك ، أنّه كان مع الضيف ، مالٌ صامت ، فأعمل أخوه ، على الغدر بالضيف ، وأخذ المال منه ، وعلم المختار بذلك فمنعه ، واقتتلا بالسيوف ، فقتل أخاه ، فجاء ابن عمه يلومه ، وتخاطبا ، إلى أن تجاذبا السيوف ، وتخابطا

---

١ أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن محمد بن قرعة البخاري المعروف بابن الدلو : ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخه ١٠/٣٨٦ .

٢ نهر الأيسر : كورة ورستاق بين الأهواز والبصرة (معجم البلدان ٤/٨٣٥) .

٣ أبو الحسين أحمد بن بويه الديلمي : ترجمته في حاشية القصة ١/٧٠ من النشوار .

٤ القرامطة : راجع حاشية القصة ١/١٧٤ من النشوار .

بها ، فقتل ابن عمه أيضاً ، وسكّن من نفس الضيف ، حتى لا يذعر ، ولم يكن له ما يطعمه تلك الليلة ، فعرقب فرسه ، وذبحه ، واشتوى من لحمه ، وأوقده حتى اصطلى به الضيف .

فلما أصبح ، وارتحل الضيف ، خاف أن يبلغ القرامطة خبره ، فيأمر العريف بأخذه وإسلامه إلى المحنة ، فهرب إلى إبراهيم .

فرأيت رسول القرامطة ، قد جاء إلى إبراهيم ، فأخذه على صلح وأمان ، ورجع إلى حيّه ، ثم بلغنا أنّهم محنوه بعد ذلك ، تأديباً له ، فما سمع برجل في زماننا من أهل البادية ، أشجع ، ولا أكرم ، ولا آدب منه .

والمحنة عند القرامطة ، أنّهم إذا نقموا على رجل ، استدعوه من حيّه ، إلى الأحساء بلدهم ، فطرحوه ، إمّا مقيّداً يكدّى في البلد ، أو سائساً للخيل ، أو راعياً للغنم أو الإبل ، أو ضربوه ، وجدّدوا عليه في كل يوم لوناً من العقاب ، ولا يزال عندهم حولاً ، وأكثر .

وربما عاقبوه [٧٢] بألوان أخر .

فجميع ما يعملونه من التأديب ، يسمونه محنة [١] .

[١] المحنة : ما يمتحن به الإنسان من بلية ، يقال : محنه عشرين سوطاً : أي ضربه ،ولا وجود للمحنة في الشريعة الإسلامية ، وإنما يوجد التعزير ، وهو في اللغة : اللوم ، وفي الاصطلاح ضرب من العقوبة ، يقصد به تأديب الجاني ، لمنعه من معاودة فعله ، ويرد التعزير في التصرفات المخلة التي لم يرد لها حد في الشرع ،ويشترط أن لا يبلغ التأديب فيه ،الحد الشرعي ، ويعود للقاضي أمر تقرير إيقاع التعزير ، أو الإعفاء منه ، كما يعود له تعيين نوع التعزير ومقداره ، للتفصيل راجع دائرة المعارف الإسلامية ٥/٣١٠ - ٣١٢ .

٧٦

من شعر أبي القاسم الصروي

أنشدني أبو القاسم[1] لنفسه :

أصدّع صدر الرمح في صدر فارس   وأوقد ما يبقى من الرمح للضيف
وأقطع سيفي في الطلى ثم أنثني   فأذبح عيري بالبقيّة من سيفي
وإنّي لصيفٌ في الشتاء إذا أتى   وإنّي شتاء باردُ الظلّ في الصيف
وما زلت صدر العلم صدر كتابه   وقلب الوغى نابٍ عن الضيم والحيف

---

١ أبو القاسم عبيد الله بن محمد الصروي : ترجمته في حاشية القصة ٥٣/٧ من النشوار .

٧٧

عدة جند الخلافة في أيام المقتدر

حدّثني أبو الحسين علي بن هشام[١] ، قال : حدّثنا أبو جعفر محمد بن يحيى بن زكريا بن شيرزاد[٢] ، قال :

لما أخرج المقتدر[٣] هارون بن غريب الخال[٤] ، مع مؤنس[٥] ،

---

١ أبو الحسين علي بن هشام بن عبد الله الكاتب : ترجمته في حاشية القصة ٤/١٠ من النشوار .

٢ أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد : ترجمته في حاشية القصة ٢/١٧٧ من النشوار .

٣ أبو الفضل جعفر المقتدر بن أبي العباس أحمد المعتضد : ترجمته في حاشية القصة ١/٩ من النشوار .

٤ هارون بن غريب الخال : هو ، وأبوه غريب خال المقتدر ، من قواد الدولة العباسية ، وكان هارون مسيطراً على الدولة في أيام المقتدر ، يشترك في ترشيح الوزراء (تجارب الأمم ١/١٢٧) ونصب العمال (١/٢٢٨) وكان له دور في قمع ثورة العامة ببغداد ، في السنة ٣٠٧ في وزارة حامد بن العباس للمقتدر (١/٧٣ و٧٤) ، وكان من خصوم الوزير ابن الفرات ، ومن أنصار الوزير علي بن عيسى (١/١١٢ ، ١٨٥) ، ولما أنيطت به مناظرة ابن الفرات عند عزله ، ضربه خمس درر (١/١٣٥) وضرب ولده المحسن على رأسه بالدبابيس ، وقيده ، وغله (١/ ١٣٣) ، وكان أحد القواد الذين اشتركوا في دفع أبي طاهر القرمطي عن العراق لما هاجمه في السنة ٣١٥ (١/١٨٠) ثم خاصم القائد نازوك (١/١٨٧) ثم خاصم مؤنس المظفر (١/١٨٨) فأصر القواد على أن يبرح هارون بغداد ، فقلده المقتدر الثغور الشامية والجزيرة ، ولكن هارون بارح بغداد ، وأقام بقطربل (١ / ١٩٢) ، فكان ذلك من أسباب خلع المقتدر ومبايعة القاهر (١/١٨٩ – ٢٠٠) ، ولما أعيد المقتدر للخلافة ، أخرج هارون الى الجبل لمحاربة مرداويج (١/٢١٣) ثم عاد إلى بغداد ، فاستوحش مؤنس مجدداً (١/٢٢٢) وأصعد إلى الموصل ، ثم كر راجعاً ، وحارب المقتدر ، وقتله (١/٢٣٤–٢٣٦) ، ولما قتل المقتدر انحدر هارون إلى واسط ، حيث راسل الحضرة ، وقلد أعمال المعاون بالكوفة (١/١٥٣ – ١٥٤) ولما ولي الراضي ، أراد هارون العودة إلى الحضرة (١/٣٠٦) وسار متوجهاً إليها ، وكان الراضي يكرهه (١/٣٠٧) فطلب منه العودة إلى موضعه ، فأبى (١/٣٠٨) فبعث إليه جيشاً حاربه ، وقتل هارون في المعركة سنة ٣٢٣ (تجارب الأمم ١/٣٠٩) .

٥ مؤنس المظفر ، أمير الجيوش : ترجمته في حاشية القصة ١/١٣٩ من النشوار .

ونصر[1]، والقوّاد، لمحاربة القرمطي[2]، حين وافى[3] من زبارا[4]،عرضنا الجيش، لأنّه كان ديوان العرض إلى صاحبي ابن الخال، وكنت أكتب عليه، وعلى أمره كله،فأمره المقتدر، بعرض الجيش بزبارا، لئلاّ يكون قد أخلّ ممّن جرّد إلى الحرب أحد، فتقدم إليّ ابن الخال بذلك، فعرضتهم، فكانت العدّة من سائر الفرسان، والرجّالة، مع من جُرِّد من الحجرية، وخدم الدار، اثنين وخمسين ألف رجل مرتزق، أو واحداً وخمسين — الشك من ابن شيرزاد — وهذا سوى من يتبعهم، ممّن لا رزق له على السلطان، وإنّما رزقه على صاحبه.

قال أبو جعفر: وكان قد تخلّف ببغداد، نازوك[5] وعسكرٌ برسمه، ورسم الشرطة، سبعة آلاف فارس، وراجل، وبقي في دار الخليفة، ممّن لم يخرج، ألف غلام من الحجرية، وألف خادم — أقلّ أو أكثر — ممّن ترك لحراسة الدار، وهذه العدّة، سوى من كان في النواحي من الشحن[6]، إلاّ من استدعي، ممّن كان في السواد، لمعاون بغداد، مثل طريق خراسان، وطريق دجلة، وسقي الفرات، وهذه النواحي القريبة.

---

١ نصر القشوري الحاجب: ترجمته في حاشية القصة ١/٨٣ من النشوار.
٢ أبو طاهر سليمان بن الحسن الجنابي القرمطي: ترجمته في حاشية القصة ٤/٨٣ من النشوار.
٣ اقرأ التفصيل في تجارب الأمم ١/١٧٣ – ١٨٢.
٤ زبارا: موضع من نواحي الكوفة، ذكر في قتال القرامطة أيام المقتدر (معجم البلدان ٢/٩١٢).
٥ أبو منصور نازوك: قائد تركي، كان ذا صولة في الدولة، قلد الشرطة ببغداد في السنة ٣١٠ في أيام المقتدر خلفاً لمحمد بن عبد الصمد (تجارب الأمم ١/٨٣) وعلى يده تم اعتقال الوزير أبي الحسن بن الفرات وولده المحسن، والتشديد عليهما، ثم إعدامهما (تجارب الأمم ١/١٢٦، ١٣٢، ١٣٦، ١٣٨)، ولما قتل المقتدر، بويع القاهر، فقلد نازوك الحجبة، وبعد يومين من تقليده، هاجمه بعض الغلمان وقتلوه (تجارب الأمم ١/١٩٣، ١٩٤).
٦ الشحن: جمع شحنة، الأشخاص الذين تقيمهم السلطة لحفظ الأمن.

٧٨
الشاعر البدوي عساف النميري

حدّثني أبو القاسم عبيد الله بن محمد الصروي ، قال :

كنت قد ركبت مع نفر من بني قشير ، بالموصل ، فحملوني إلى حيّ لهم بالبادية ، على أيام منها ، فأقمت في الحيّ شهوراً .

فكنت يوماً جالساً ، فرأيت فتى بدويّـاً يسمى بعسّاف ، حدث السنّ ، [٧٣] حسن الوجه ، راكباً .

فقال لي صاحب البيت : هذا رجل من بني نمير ، وهو جار لنا ، وهو شاعر ، فنحبّ أن تسمع من شعره .

فقلت : نعم .

فسأله النزول ، فنزل ، وذاكرته بالشعر ، فوجدته كثير الرواية لأشعار البادية ، في زمانه ، فما أنشدني بيتاً أعرفه ، ولا نسب شيئاً ممّا أنشدنيه إلى شاعرٍ أعرفه ، متأخّر أو متقدّم ، ووجدته لا يلحن البتّة .

وأنشدني شيئاً كثيراً ، فعلق بحفظي من ذلك ، قصيدة ، استعدته إياها دفعات ، حتّى حفظتها ، وقد شذّ عني منها أبيات .

قال : وكان هذا ، في سنة ست وثلاثين وثلثمائة ، واسم الشاعر عسّاف النميري ، قال : ولا أعرف اسم أبيه ، ولا نسبه .

والقصيدة :

نظرت وأعلام السريّـة دوننـا ... بعيني فتى صبٍّ يرى الهجر مغرما

وأشرف ركب يهلك الطرف دونه ... تظنّ به الحبشيّة الحوّ جثّمـا

وأكرهت طرف العين حتى كأنّما ... أرى بفضاء الأرض ستراً منمنما

إذا القوم قالوا صحّ شيئاً حسبته — أصمّ وعن ردّ المشورة أعجما
دعاهنّ من نجد لحوران بعدما — رمين بسهم الحب قلباً متيّما
تعرّضن لي يوم اللوى عن مشورةٍ — وأودعن في ذات الوشاحين مرتما[1]
وقلنا اقتليه يا مليح فإنّه — متى ما رمى كانت مراميه حذّما[2]
دماء الغواني عند ذا مستحلة — فإن يرم رشقاً نلق سهماً مسمّما
فأبدت على اللبّات وحفاً[3] كأنّه — عناقيد عنّاب تفرّعن سلّما
وجيداً كجمّار الفسيلة بزّه — من اللّيف جانيه وكان مكرّما
وعيني غضيض الطرف من جدل المها — كحيل المآقي ، قرنه حين كمّما[4]
وأبيض برّاق الغروب[5] كأنّما — حصى بَرَدٍ ضمّت[6] به إن تبسما
وقالت : أبا سعدى تبدّلت بيننا — صدوداً ومحمود العشيرة ضيغما[7]
فقلت : هنيّاً ذاك شيء يسرّني — غناها وأن تلقى من العيش أنعما
ولكن سليني عن حراجيج[8] ضمّرٍ — سواهم[9] يحذينَ السريح المخدّما[10]

---

١ الرتم : الكلام الخفي .
٢ حذمه : قطعه ، وحذّماً : قاطعات .
٣ الوحف : الشعر الكثير الأسود الحسن ، والوحف من الأجنحة : الكثير الريش .
٤ جدل : جمع جادل ، وهو ولد البقرة الوحشية وغيرها إذا قوي وتبع أمه، وكمم أي طلع : من كممت النخلة : أخرجت كمامها ، وهو وعاء الطلع .
٥ الغروب ، جمع غرب : وهو الماء الذي يقطر من الدلو، والمراد هنا الريق الذي يترقرق على الأسنان .
٦ في الأصل : همت .
٧ كذا في الأصل .
٨ الحراجيج : جمع حرجوج : الناقة الجسيمة الطويلة على وجه الأرض .
٩ سواهم ، جمع ساهمة : الضامرة .
١٠ في الأصل : يحذفن ، والصواب يحذين ، من الاحتذاء ، والسريح : جمع سريحة وهي شبه نعال تلبسها أخفاف الإبل ، والمخدم : المشدود إلى الخدمة ، وهي سير غليظ كالحلقة يشد في رسغ البعير .

وحرف[1] كأنّ البق يلدغ دفّها إذا المعجب الساري عليهـا ترنّما
وعن فتية شعث اللمام[2] رمى بهم هويّ المطايا مخرماً[3] ثم مخرمـا
سروا لِسَنَا نارٍ هويّـاً[4] وكلّهم من البرد ما يبدي البنان المكمّما [٧٤]
فلمّا أتونا جانب الحيّ عرّسوا غرائى وما ذاقوا من الأمس مطعما
فحيّيتهم قبل القرى وقريتهم قرى لم يكن نزراً ولم يأتِ مغنما
وماء قديم قد مضى دون عهده لوارده عشرون حولاً متمّما
وعن شزّب[5] شعث النواصي كأنها سراحين يحملن الوشيج المقوّما
عليهنّ منّا كلّ أروع ماجـدٍ كريمٍ إذا ما عارضُ الموت أوسما[6]
أخو حملات يعلم القوم أنّـه ضروب بنصل السيف ضرباً غشمشما[7]
لحقت بهم جمع القطاميّ بعدما دنا من بشير الصبح أن يتكلّما
غداة التقينـا لا سفيرة بيننـا سوى مخلصات تترك الهام أقعما[8]
تكرّ عليهم مخطفـات[9] كأنّها صقور المضرّي كان للصيد مطعما
كأنّ على المشوي[10] منهـا ومنهم عمائم تسقى حالك اللون عندمـا
سلوا قرن مدفوع فقد كان شاهداً غداة التقينـا أيّنا كان أكرما

---

١ في الأصل : خرق ، والحرف : الناقة .
٢ اللمام : جمع لمة ، وهي الشعر المجاور شحمة الأذن .
٣ المخرم : الطريق في الجبل والرمل .
٤ في الأصل : هوين .
٥ شزب : ضمر .
٦ أوسم : هطل وسميه ، و الوسمي : أول مطر الربيع ، سمي بذلك لأنه يسم الأرض بالنبات .
٧ الغشمشم : الجريء الماضي .
٨ المخلصات : السيوف المخلصة ، أخلصتها قيونها ، والأقعم : القتيل بالداء .
٩ مخطفات : ضمر .
١٠ المشوي : الذي أصيبت شواته ، وهي جلدة رأسه .

٧٩

مناظرة بين عالمين

في مجلس القاضي أبي عمر

حدّثني أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن البختريّ[1] ، القاضي الداودي ، وهو شيخ من خلفاء قضاة القضاة، مشهور بمدينة السلام بالعلم ، والتصرف في الحكم ، قال : حدّثني أبو الحسين عبد الله بن أحمد ابن محمد بن المغلس الداودي ، قال :

كان أبو بكر محمد بن داود[2]، وأبو العباس بن سريج[3] ، إذا حضرا مجلس القاضي أبي عمر[4] ، لم يجر بين اثنين ، فيما يتفاوضانه ، أحسن ممّا يجري بينهما .

وكان ابن سريج — رضي الله عنه — كثيراً ما يتقدّم أبا بكر في الحضور إلى المجلس ، فتقدّمه في الحضور ، أبو بكر ، يوماً ، فسأله حَدَثٌ من الشافعية عن العود الموجب للكفّارة ما هو ؟

قال : إنّه إعادة القول ثانياً ، وهو مذهبه .

وحضر ابن سريج ، فاستشرحهم ما جرى ، فشرحوه .

---

١ أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن البختري الداودي : ترجمته في حاشية القصة ٣/٦ من النشوار .

٢ أبو بكر محمد بن داود بن علي بن خلف الظاهري : ترجمته في حاشية القصة ٤/٧١ من النشوار.

٣ أبو العباس ، أحمد بن عمر بن سريج البغدادي : فقيه الشافعية في عصره ، له نحو أربعمائة مصنف ، وكان يلقب بالباز الأشهب ، ونشر مذهب الشافعي في أكثر الآفاق ، توفي ببغداد سنة ٣٠٦ (الأعلام ١/١٧٨) .

٤ أبو عمر محمد بن يوسف الأزدي القاضي : ترجمته في حاشية القصة ١/١٠ من النشوار .

فقال ابن سريج ، لابن داود : يا أبا بكر ، أعزّك الله ، هذا قول مَن المسلمين تقدّمكم ؟

فاستشاط أبو بكر من ذلك ، وقال : أتقدّر أنّ من اعتقدت أنّ قولهم إجماع في هذه المسألة ، إجماع عندي ؟ أحسن أحوالهم أن أعدّه خلافاً ، و هيهات أن يكون كذلك .

فغضب ابن سريج ، وقال له : أنت يا أبا بكر ، بكتاب الزهرة[1] أمهر منك في هذه الطريقة .

فقال أبو بكر [٧٥] : بكتاب الزهرة تعيّرني ؟ والله ما تحسن تستتم قراءته ، قراءة من يفهم ، وإنّه لمن إحدى المناقب ، إذ كنت أقول فيه :

أكرّر في روض المحاسن مقلتي وأمنع نفسي أن تنال محرّما
وينطق سرّي عن مترجم خاطري فلولا اختلاسي ردّه لتكلّما
رأيت الهوى دعوى من الناس كلّهم فما إن أرى حبّاً صحيحاً مسلّما

فقال القاضي أبو العباس بن سريج : أعليّ تفتخر بهذا القول ، وأنا الذي أقول :

ومسامر[2] بالغنج من لحظاته قد بتّ أمنعه لذيذ سناته
حبّاً[3] بحسن حديثه وعتابه وأكرّر اللحظات في وجناته
حتّى إذا ما الصبح لاح عموده ولّى بخاتم ربّه وبراته

---

١ صنف أبو بكر محمد بن داود الظاهري في عنفوان شبابه، كتابه الذي سماه « الزهرة » وهو مجموع أدب ، أتى فيه بكل غريبة ، ونادرة ، وشعر رائق (وفيات الأعيان ٣/ ٣٩٠) وقال أبو بكر ، بدأت بعمل كتاب « الزهرة » وأنا في الكتاب (الوافي بالوفيات ٣/٥٨).

٢ في وفيات الأعيان ٤/٢٦٠ ، وفي الوافي بالوفيات ٣/٦١ : ومساهر .

٣ في وفيات الأعيان ٤/٢٦٠ وفي الوافي بالوفيات ٣/٦١ : ضناً .

فقال ابن داود ، لأبي عمر : أيّد الله القاضي ، قد أقرّ بالمبيت على الحال التي ذكرها ، وادّعى البراءة ممّا يوجبه ، فعليه إقامة البينة .

فقال ابن سريج : من مذهبي ، أنّ المقرّ ، إذا أقرّ إقراراً ، وناطه بصفة ، كان إقراره موكولاً إلى صفته .

فقال ابن داود : للشافعي في هذه المسألة قولان .

قال ابن سريج : فهذا القول ، اختياري الساعة [1] .

---

[1] وردت القصة في كتاب مصارع العشاق ٢/١٣٧ منقولة عن القاضي أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي صاحب النشوار ، ووردت كذلك في كتاب تزيين الأسواق ، بتفصيل أشواق العشاق ، للأنطاكي ٢/٣ و ٤ .

٨٠

إخوانيات

حدّثني مبشّر – مولى أبي[1] – قال :

قدمنا سوق الأهواز ، من غيبة كان مولاي غابها ، فكتب من المشرعة[2] ، إلى أبي أيوب داود بن عليّ بن أبي الجعد الكاتب ، وكان بينهما أنسة ومودّة ، وعرّفه قدومه ، فالتمس منه ، أن ينفذ إليه مركوباً ليركبه من المشرعة إلى داره .

فأنفذ إليه أبو أيوب المركب ، وكتب إليه :

عبدك داود به علّة   تمنعــه أن يتلقّاكا
والبغلة الشهباء قد أسرجت   فاركب فديناك فديناكا
عيني إلى الباب وأذني إلى   مبشّري قد جاء مولاكا

---

١ ذكره التنوخي في القصة ١/١٠٠ و ١/١٨٠ من النشوار .

٢ المشرعة : مورد الشاربة ، والبغداديون يسمونها الآن : الشريعة ، فصيحة ، ويجمعونها على شرايع ، ويروى عن الشيخ عبد السلام الشواف البغدادي ، رحمه الله ، وكان من الفقهاء ، الفضلاء ، الزهاد (١٢٣٦ – ١٣١٨) ، أنه كان إذا ألقى على تلاميذه درساً في علم الكلام ، في تفضيل الإسلام على غيره من الملل ، ختم درسه بهذين البيتين :

يااللي تريد العبر   ومن الفرق تبره
كل الشرايع زلق   من يمنــا العبره !

٨١

إن كان قد أخذ طالعي

فقد أخذت غاربه

حدّثني أبو علي محمد بن محمد بن أبي بكر بن أبي حامد ، صاحب بيت المال[١] ، وكان أبوه المكنى بأبي حامد ، قد تقلّد القضاء ، وأبو علي هذا قد خلف عدّة قضاة على غير بلد ، قال : حدّثنا ابن جحا الأصبهاني ، قال :

قيل لأبي مسلم ، محمد بن بحر[٢] ، لمّا دخل أصبهان ، واليها ، وصارفاً لابن رستم : إنّ ابن رستم ، قد أخذ طالعاً في دخولك ، وهو يذكر [٧٦] ، أنّه غير جيّد ، فقال : إن كان قد أخذ طالعي ، فقد أخذت غاربه[٣] .

---

١ جد أبي علي ، هو أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى بن النضر بن حكيم ، المعروف بابن أبي حامد ، صاحب بيت المال : ترجمته في حاشية القصة ٥/٦٢ من النشوار .

٢ أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهاني الكاتب : ترجمته في حاشية القصة ٤/٥٠ من النشوار .

٣ عقدت أصبهان على أحمد بن محمد بن رستم في السنة ٣٠٣ (وزراء ٣٦٧) ثم تحقق الوزير أبو الحسن علي بن عيسى مما كان يرتكبه من الظلم لأهالي أصبهان فصرفه بأبي مسلم محمد بن بحر وأبي الحسين أحمد بن سعد (تجارب الأمم ١/٦٠) .

٨٢

الحق يوفي على الجرم

حدّثني أبو الحسين ، عليّ بن هشام[١] ، قال :

كان أبو الحسن بن الفرات[٢] ، لما ولي الوزارة الأولى ، وجد سليمان بن الحسن[٣] ، يتقلّد مجلس المقابلة ، في ديوان الخاصّة ، من قبل عليّ بن عيسى[٤] ، وإليه — إذ ذاك — الديوان ، فقلّد أبو الحسن ، سليمان ، الديوان بأسره ، فأقام يتقلّده نحو سنتين .

فقام يصلّي المغرب ، فسقطت من كمّه رقعة ، بخطّه ، نسخة سعاية بابن الفرات ، وأسبابه ، وسعي لابن عبد الحميد ، كاتب السيدة[٥] ، بالوزارة ، وأخذها بعض أسبابه[٦] ، وتقرّب بها إلى ابن الفرات ، فقبض عليه للوقت ، فأنفذه إلى واسط ، في زورق مطبق ، وصودر ، وعذّب بواسط .

ثم رجع له ابن الفرات ، لما وقف من كتاب صاحب الخبر ، على أنّ أمّ سليمان ، ماتت ببغداد ، ولم يحضرها ، ولا رأته قبل موتها ، فاغتمّ لذلك ،

---

١ أبو الحسين علي بن هشام بن عبد الله الكاتب المعروف بابن أبي قيراط : ترجمته في حاشية القصة ٤/١٠ من النشوار .

٢ أبو الحسن الوزير علي بن محمد بن الفرات ، وزير المقتدر : ترجمته في حاشية القصة ١/٩ من النشوار .

٣ أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد الوزير : ترجمته في حاشية القصة ١/١٣٣ من النشوار .

٤ أبو الحسن علي بن عيسى ، الوزير : ترجمته في حاشية القصة ١/١٤ من النشوار .

٥ ورد ذكره في القصة ١/١٢٨ من النشوار .

٦ في تجارب الأمم (١/١٥) أنه الصقر بن محمد الكاتب ، وقد كان يصلي إلى جنبه ، فأخذها وأقبل بها مبادراً إلى الوزير من وقته ، وكذلك في كتاب الوزراء ٣٣ .

وبدأ ، فكتب إليه ، بخطّه ، كتاباً أقرأنيه سليمان ، بعد ذلك ، فحفظته، ونسخته :

ميّزت – أكرمك الله – بين حقّك وجرمك ، فوجدت الحقّ ، يوفي على الجرم .

وتفكّرت في سالف خدمتك في المنازل التي فيها ربيت ، وبين أهلها غذيت ، فثناني إليك ، وعطفني عليك ، وأعادني إلى أفضل ما عهدت ، وأجمل ما ألفت .

فثق – أكرمك الله – بذلك ، وأسكن إليه ، وعوّل في صلاح ما اختلّ من أمرك عليه .

واعلم أنّني أراعي فيك ، حقوق أبيك ، التي تقوم بتوكيد السبب ، مقام اللحمة والنسب ، وتسهّل ما عظم من جنايتك ، وتقلّل ما كثُر من إساءتك ، ولن أدع مراعاتها ، والمحافظة عليها ، إن شاء الله .

وقد قلّدتك أعمال دستميسان[1] لسنة ثمان وتسعين ومائتين ، وبقايا ما قبلها ، وكتبت إلى أحمد بن حبش[2] ، بحمل عشرة آلاف درهم ، إليك .

---

١ دستميسان : كورة جليلة بين واسط والبصرة والأهواز ، وهي إلى الأهواز أقرب ، قصبتها بسامّي (معجم البلدان ٢/٥٧٤) .

٢ في الفرج بعد الشدة ١/١٢٤ ، بعد أن نقل القصة بكاملها قال : وابن حبش ، هذا كان وكيل ابن الفرات في ضياعه بواسط ، وأحسب أن أحمد بن محمد بن حبش هذا ، هو أخو أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الله ، الكاتب البغدادي ، المعروف بابن حبش ، أبوه محمد بن حبش ابن خالة الوزير أبي الحسن بن الفرات (اللباب ١/ ٢٧٥ والأنساب ١٥٥) .

فتقلّد هذه الأعمال ، وأظهر فيها أثراً حميداً ، ينبيء عن كفايتك ، ويؤدّي إلى ما أحبّه من زيادتك ، إن شاء الله[1] .

---

١ وردت القصة في تجارب الأمم ١/١٥ ، وفي كتاب الوزراء ١١٧ و ١١٨ ، وفي الفرج بعد الشدة طبعة دار الهلال ١/١٢٤، وطبعة الخانجي ١/١٣٠ ، ومخطوطة الظاهرية ص ٩٥، ومخطوطة دار الكتب المصرية ص ٩٧ ، ومخطوطة المغرب ص ٦٥ ، وفي الهفوات النادرة ١٩٩ ، والظاهر أن جميل الوزير أبي الحسن بن الفرات لم يلاق في سليمان بن الحسن طبيعة طيبة تحفظ الجميل ، فقد ظل على عداوته له ، حتى بعد وفاته ، فقد ذكر مفلح الأسود ، خادم المقتدر (وزراء ٧٥ ورسوم دار الخلافة ٣٨) : أن سليمان بن الحسن لما وزر للمقتدر ، كان يكثر من ذكر أبي الحسن بن الفرات ، والطعن عليه ، فلما كان في بعض الأيام ، عاود سليمان ذكر ابن الفرات، والوقيعة فيه، فقال له المقتدر :

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم ... من اللوم أوسدوا المكان الذي سدوا

فامتقع وجه سليمان ، وما عاد بعدها إلى ذكره .

٨٣

يحيى بن خالد البرمكي

والفضل بن الربيع

حدّثني أبو الحسين عليّ بن هشام ، قال : حدّثنا أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي [١] ، قال : حدّثنا عمّي [٢] عن اليزيدي الأكبر ، مؤدب المأمون [٣] ، قال :

دخل أبو العباس ، الفضل بن الربيع [٤] ، على أبي عليّ ، يحيى بن خالد البرمكي [٥] ، وهو جالس للحوائج ، وابنه جعفر [٦] ، يوقّع بين يديه .

فعرض عليه رقعة ، فقال : هذا لا يمكن [٧٧] .

وأخرى ، فقال : هذا ممّا قد حظره أمير المؤمنين .

وأخرى ، فقال : هذا يفسد به الأولياء .

وأخرى ، فقال : هذا يثلم الارتفاع .

---

١ في الأصل: الترمذي، والصحيح ما أثبتناه، وهو أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي : ترجمته في حاشية القصة ٤/٦٠ من النشوار .

٢ في الأصل : عمر .

٣ اليزيدي الأكبر مؤدب المأمون : أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي ، اليزيدي البصري ، عالم العربية والأدب ، صحب يزيد بن منصور الحميري ، خال المهدي ، فنسب إليه ، واتصل بالرشيد ، فعهد إليه تأديب المأمون ، وعاش إلى أيام خلافته ، وتوفي بمرو سنة ٢٠٢ (الأعلام ٩/٢٠٥) .

٤ أبو العباس الفضل بن الربيع بن يونس : ترجمته في حاشية القصة ٦/١٢١ من النشوار .

٥ أبو الفضل يحيى بن خالد بن برمك : ترجمته في حاشية القصة ٦/٩٩ من النشوار .

٦ أبو الفضل جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي : ترجمته في حاشية القصة ٦/٣٠ من النشوار .

إلى أن عرض عليه عشر رقاع ، واعتلّ فيها بعلل مختلفة ، ولم يوقّع له بشيء .

فجمعها الفضل ، وقال : ارجعن خائبات ، ونهض وهو يقول :

عسى وعسى يثني الزمان عنانه ... بتصريف حال والزمان عثور
فتقضي لبانات وتشفى حسائك ... وتحدث من بعد الأمور أمور

فسمعها يحيى ، فقال : عزمت عليك يا أبا العبّاس ، لما رجعت .

فرجع ، فوقّع له في الرقاع كلها[1] .

---

١ لم يكن الفضل بن الربيع ، ولا أبوه من قبله ، متصفين بصفة من صفات الفضل ، من شجاعة ، أو سماحة ، فكانا يحسدان ذوي الفضل من رجال الدولة ، ويدسان لهم عند الخلفاء ، وقد أشرنا في ترجمة الربيع (القصة ٧٧/٦ من النشوار) إلى دسه على أبي عبيد الله وزير المهدي ، كما أشرنا في ترجمة الفضل (القصة ١٢١/٦ من النشوار) إلى دسه على البرامكة عند الرشيد ، حتّى استأصلهم ، ولم يخفف استئصالهم من حقده عليهم ، فكان إذا ذكر أحد البرامكة أمامه بخير ، تغير لونه ، وظهرت الكراهية في وجهه (الأغاني ٨٩/٤)، ودخل ابن مناذر على الرشيد ، فبدره الفضل ، قبل أن يتكلم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا شاعر البرامكة ، ومادحهم ، فأمر الرشيد ، فلطم وجهه ، وسحب حتّى أخرج (الأغاني ٢٠١/١٨) .

٨٤

ثمن هديتين

وثمن نفط وحبّ قطن

حدّثني أبو الحسين ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، عليّ بن عيسى ، قال : حدّثنا أبي قال : حدّثنا أبي[١] ، داود بن الجراح ، قال : قال لي الفضل ابن مروان[٢] :

كنت أعمل ، في ديوان ضياع الرشيد[٣] ، مجلس الحساب ، فنظرت في حساب السنة الّتي نكب فيها البرامكة[٤] ، ووجدت ، قد أثبت فيه ، ثمن هديّة ، دفعتين من مال ضياع الرشيد ، أهداهما إلى جعفر بن يحيى ، بضعة عشر ألف دينار .

وفيه بعد شهور من هذه الهدية ، قد أثبت في الحساب لثمن نفط ، وحب قطن ، ابتيع ، وحرق بها جثة جعفر بن يحيى ، بضعة عشر قيراطاً ذهباً .

---

١ في الأصل : أبو ، والصحيح ما أثبتناه .

٢ الفضل بن مروان ، وزير المعتصم : ترجمته في حاشية القصة ١/٦٨ من النشوار .

٣ انظر القصة ٨/١٣ و ١٤ من النشوار .

٤ هي السنة ١٨٧ (الذهب المسبوك ١٤٥) .

٨٥
من يشناك كان وزيرا

حدّثني أبو الحسين [١] ، قال : حدّثنا أبو عبد الله نفطويه [٢] ، قال : حدّثنا أبو العباس بن الفرات [٣]، قال : قال لي أبو [القاسم] عبيد الله بن سليمان [٤] ، قال : قال لي أبي [٥] : سمعت أبا الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان [٦] ، قال : سمعت أبا جعفر أحمد بن يوسف [٧] يقول ، وهو إذ ذاك ، وزير المأمون ، لما قال الشاعر ، بعد قتل أبي سلمة ، وزير السفاح [٨] :

إنّ الوزير وزير آل محمّدٍ　　أودى فمن يشناك كان وزيرا

كذبت ، [كل] الوزراء من يشناك ، فلا يدخل في هذا الأمر إلا منحوس.

---

١ أبو الحسين علي بن هشام بن عبد الله الكاتب ، المعروف بابن أبي قيراط : ترجمته في حاشية القصة ٤/١٠ من النشوار .

٢ أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي : ترجمته في حاشية القصة ٤/١٣٣ من النشوار .

٣ أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات : ترجمته في حاشية القصة ٢/١٤٥ من النشوار .

٤ أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب : ترجمته في حاشية القصة ١/٣٢ من النشوار .

٥ أبو أيوب سليمان بن وهب ، وزير المهتدي والمعتمد : ترجمته في حاشية القصة ٨/٢٤ من النشوار .

٦ أبو الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان : ترجمته في حاشية القصة ١/٣ من النشوار .

٧ أبو جعفر أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح : وزير ، من كبار الكتاب ، وزر للمأمون بعد أحمد بن أبي خالد الأحول ، وكان فصيحاً ، قوي البديهة ، شاعراً ، توفي سنة ٢١٣ (الأعلام ١/٢٥٧) .

٨ أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال : وزير أبي العباس السفاح ، وهو أول من لقب بالوزارة في الإسلام ، أنفق كثيراً في سبيل إقامة الدعوة العباسية ، وكان واسطة الاتصال بين إبراهيم الإمام ودعاته في خراسان ، وكان أبو مسلم الخراساني كالتابع له ، ولما استخلف السفاح ، استوزر أبا سلمة ، وبعد أربعة أشهر من استيزاره ، اغتيل ليلا سنة ١٣٢ (الأعلام ٢/٢٩١).

٨٦

المتنبي يعارض القرآن

حدّثني أبو علي بن أبي حامد ، قال :

سمعت خلقاً بحلب ، يحكون : أنّ أبا الطيّب ، أحمد بن الحسين ، المتنبئ بها [١] إذ ذاك ، كان في بادية السماوة [٢] ، ونواحيها .

إلى أن أخرج إليه لؤلؤ من حمص [٣] ، من قبل الإخشيدية [٤] ، فقاتله ، وأسره ، وشرّد من كان اجتمع إليه من كلب وكلاب، وغيرهما من قبائل العرب .

وحبسه في السجن دهراً طويلاً ، فاعتلّ ، وكاد أن يتلف ، حتّى سئل في [٨٧] أمره ، فاستتابه ، وكتب عليه وثيقة ، أشهد عليه فيها ، ببطلان ما ادّعاه ، ورجوعه إلى الإسلام ، وأنه تائب منه ، ولا يعاود مثله ، وأطلقه .

قال : وكان قد تلا على البوادي ، كلاماً ، ذكر أنّه قرآن نزل عليه ، وكانوا يحكون له سوراً كثيرة ، نسخت منها سورة ، فضاعت ، وبقي أوّلها

---

١ أبو الطيب ، أحمد بن الحسين ، الجعفي ، الكوفي ، الكندي ، المتنبي ، الشاعر ، الحكيم : ترجمته في حاشية القصة ٢/٦٢ من النشوار .

٢ بادية السماوة : البادية الواقعة بين الكوفة والشام (معجم البلدان ٣/١٣١) .

٣ حمص : مدينة قديمة مشهورة تقع في منتصف الطريق بين دمشق وحلب (معجم البلدان ٢/٣٣٤).

٤ الدولة الإخشيدية : دولة مصرية ، أسسها محمد بن طغج سنة ٣٢٣ (٩٣٥ م) وهو من أولاد ملوك فرغانة الذين يلقب واحدهم بالإخشيد ، فلقبه الخليفة الراضي به ، واستولى على مصر وأسس دولة امتدت إلى بلاد الشام، ودامت إلى السنة ٣٥٨ (٩٦٩ م) ولما مات خلفه ولدان من أولاده بالتتابع، ولكن الحكم في أيامهما كان إلى الطواشي كافور ممدوح المتنبي ، وبعد وفاة كافور بقليل ، انقرضت دولة الإخشيد باستيلاء الفاطميين على مصر والشام (دائرة المعارف الإسلامية ١/٥١٢) .

في حفظي ، وهو :

« والنجم السيار ، والفلك الدوار ، والليل والنهار ، إنّ الكافر لفي أخطار » .

« امضِ على سبيلك ، وأقف أثر من كان قبلك من المرسلين ، فإن الله قامعٌ بك زيغ من ألحد في دينه ، وضلّ عن سبيله » .

قال : وهي طويلة ، ولم يبق في حفظي منها غير هذا .

قال : وكان المتنبّئ إذا استوعب في مجلس سيف الدولة [1] ، ونحن إذ ذاك بحلب [2] ، يذكر له هذا القرآن ، وأمثاله ، ممّا كان يحكى عنه ، فينكره ، ويجحده .

قال : وقال له ابن خالويه النحوي [3] ، يوماً ، في مجلس سيف الدولة ، لولا أنّ الآخر [4] جاهل ، لما رضي أن يدعى بالمتنبّئ ، لأنّ متنبئ ، معناه كاذب ، ومن رضي لنفسه أن يدعى بالكذب ، فهو جاهل .

فقال : لست أرضى أن أدعى بذلك ، وإنّما يدعوني به ، من يريد الغضّ مني ، ولست أقدر على الامتناع .

فأمّا أنا ، فإنني سألته بالأهواز [5] ، في سنة أربع وخمسين وثلثمائة ،

---

١ الأمير أبو الحسن علي بن عبد الله الحمداني سيف الدولة : ترجمته في حاشية القصة ١/٤٤ من النشوار .

٢ حلب : حاضرة سيف الدولة ، مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات ، قال ياقوت : هي قصبة جند قنسرين في أيامنا هذه (معجم البلدان ٢/٣٠٤) .

٣ ابن خالويه النحوي : أبو عبد الله ، الحسين بن أحمد بن خالويه ، كان مؤدب أولاد سيف الدولة ، لغوي ، نحوي ، وله مؤلفات عدة ، وله مع المتنبي مجالس ومباحثات في حلب عند الأمير سيف الدولة ، توفي في حلب سنة ٣٧٠ (الأعلام ٢/٢٤٨) .

٤ الأخير والآخر ، والبعيد والأبعد : تقال على سبيل الذم .

٥ كرر المؤلف في أكثر من موضع أنه جالس المتنبي وسأله ، وأملى عليه المتنبي شيئاً من شعره ، وقد استشهد ببيت من شعر المتنبي في مقدمة الجزء الأول من النشوار .

عند اجتيازه بها ، إلى فارس[1] ، في حديث طويل ، حدث بيننا ، عن معنى المتنبّئ ، لأني أردت أن أسمع منه ، هل تنبأ أم لا ؟

فأجابني بجواب مغالط لي ، وهو أن قال : هذا شيء ، كان في الحداثة ، أوجبته الصبوة ، فاستحيت أن أستقصي عليه ، وأمسكت.

وقال لي أبو علي بن أبي حامد : قال لي أبي ، ونحن بحلب ، وقد سمع قوماً يحكون عن أبي الطيّب المتنبّئ ، هذه السورة التي قدّمنا ذكرها : لولا جهله ، أين قوله : امضِ على سبيلك ، إلى آخر الكلام ، من قول الله عزّ وجلّ ﴿ فاصدع بما تؤمر ، وأعرض عن المشركين ، إنّا كفيناك المستهزئين ﴾[2] إلى آخر السورة[3] ، وهل تتقارب الفصاحة بينهما ، أو يشتبه الكلامان .

---

١ مر المتنبي بالأهواز قاصداً ابن العميد وعضد الدولة ، وقد مدحهما وأجازاه ، وقتل عند عودته في نفس السنة أي ٣٥٤ .

٢ ٩٥ ك الحجر ١٥ .

٣ في الأصل : إلى آخر القصة .

٨٧

معقود العسل ودهن اللوز

حدّثنا أبو الحسن محمد بن شجاع المتكلّم البغداديّ ، قال [٧٩] : حدّثنا أبو سلمة العسكريّ ، أحد غلمان أبي عليّ الجبائي [١] ، قال :

كنت بحضرته يوماً ، وهو يصلّي ، ونحن جلوس نتحدّث ، فقال رجل منّا : اليوم كنت عند صديق لي ، فأطعمني معقود العسل ودهن اللّوز .

فقالوا : [إنّ جُبّى] ليس بها من يكون هذا عنده ، إلاّ العامل ، ولست ممّن يأكل طعام العمّال .

فمرّ الرجل يشوّش الكلام .

وسلّم أبو عليّ من صلاته ، فقال : لا يهوّسكم الرجل ، لعلّه كان اليوم عند الصيدلاني وتناول لطريفك [٢] ؟

فقال الرجل : هكذا كان .

---

١ أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي : ترجمته في حاشية القصة ١/٨٨ من النشوار .

٢ لم أجد بين أسماء الأدوية ، ما يقارب كلمة (لطريفك) ، إلا إطريفل ، وهي كلمة هندية : ترى أبهل ، أي ثلاثة أخلاط ، وهي إهليلج وبليلج واملج (مفاتيح العلوم ١٠٤) ولم أجد علاقة بين هذا الدواء وبين معقود العسل ودهن اللوز .

٨٨
أندلسي تتلمذ للجاحظ

وحدّثنا أبو الحسين[١] أيضاً، قال: حدّثنا أبو محمد الحسن بن عمرو، قال: كنت بالأندلس[٢]، فقيل لي: إنّ بها تلميذاً لأبي عثمان الجاحظ[٣]، يعرف بسلام بن زيد، ويكنى أبا خلف.

فأتيته، فرأيت شيخاً هِمّاً[٤]، فسألته عن سبب اجتماعه مع أبي عثمان، ولم يقع أبو عثمان إلى الأندلس؟

فقال: كان طالب العلم [بالمشرق][٥] يشرف عند ملوكنا [بلقاء أبي عثمان][٥]، فوقع إلينا كتاب التربيع والتدوير[٦]، فأشاروا إليه، ثم أردفه عندنا كتاب البيان والتبيين[٧]، فبلغ الرجل الصكاك[٨] بكتابة هذين الكتابين.

قال: فخرجت، لا أعرّج على شيء، حتى قصدت بغداد، فسألت عنه، فقيل لي: هو بسر من رأى.

---

١ أبو الحسين علي بن هشام بن عبد الله الكاتب، المعروف بابن أبي قيراط: ترجمته في حاشية القصة ٤/١٠ من النشوار.

٢ الأندلس: هي شبه جزيرة إيبريا وتشمل أسبانيا والبرتغال، وقد ورد في معجم البلدان (١/٣٧٥) أن الأندلس جزيرة كبيرة طولها نحو الشهر في نيف وعشرين مرحلة، أما الاسبان فإن اسم الأندلس عندهم: أندلوسيا، يعني القسم الجنوبي من شبه جزيرة إيبريا فقط.

٣ أبو عثمان، عمرو بن بحر الجاحظ: ترجمته في حاشية القصة ٤/٣٦ من النشوار.

٤ الشيخ الهم: الفاني.

٥ الزيادة من معجم الأدباء.

٦ كتاب التربيع والتدوير: من تأليف أبي عثمان الجاحظ، وهو مطبوع.

٧ البيان والتبيين: الكتاب المشهور من تأليف أبي عثمان الجاحظ، وهو مطبوع أكثر من مرة.

٨ بلغ الصكاك: كذا بالأصل، والصحيح (السكاك) وهو عنان السماء: يريد الرفعة.

فأصعدت إليها ، فقيل : قد أنحدر إلى البصرة .

فانحدرت إليه ، وسألت عن منزله ، فأرشدت ، فدخلت إليه ، وإذا هو جالس وحواليه عشرون صبياً ، ليس فيهم ذو لحية غيره .

قال : فدهشت ، فقلت : أيّكم أبو عثمان ؟

فرفع يده ، وحرّكها في وجهي ، وقال : من أين ؟

فقلت : من الأندلس .

قال : طينة حمقاء ، فما الاسم ؟

قلت : سلام .

قال : اسم كلب القراد ، ابن من ؟

قلت : ابن زيد .

قال : بحق ما صرف ، أبو من ؟

قلت : أبو خلف .

قال : كنية قرد زبيدة ، ما جئت تطلب ؟

قلت : العلم .

قال : ارجع بوقت ، فإنّك لا تفلح .

قلت له : ما أنصفتني ، فقد اشتملتُ على خصالٍ أربع : جفاء البلدية ، وبعد الشقّة ، وغرّة الحداثة ، ودهشة الداخل .

قال : فترى حولي عشرين صبياً ، ليس فيهم ذو لحية غيري ، ما كان يجب أن تعرفني بها ؟

قال : فأقمت عليه عشرين [٨٠] سنة .

قال : وكان سلام هذا يحسن العلم [١] .

---

١ وردت القصة في معجم الأدباء ٦/٧٤ .

٨٩

الناس أربعة

قال[١] : وبلغني عن أبي بكر بن مجاهد[٢] ، أنّه قال :

الناس أربعة : مليح يتبغّض لملاحته [فيحتمل][٣] ، وبغيض يتملّح ، فذاك الحمّى ، والداء الذي لا دواء له ، وبغيض يتبغّض ، فيعذر لأنّه طبيعة ، ومليح يتملّح ، فتلك الحياة الطيّبة .

---

١ الرواية عن أبي الحسين علي بن هشام بن عبد الله الكاتب المعروف بابن أبي قيراط ، تتمة القصة السابقة ٨/٨٨ من النشوار .

٢ أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد : ترجمته في حاشية القصة ٥/١ من النشوار .

٣ الزيادة من معجم الأدباء ٢/١١٩ .

٩٠

كيفية صيد الفيل واستئناسه

حدّثنا أبو الحسين ، قال :

كنت بتانة من بلاد الهند [1] ، فسمعتهم يتحدّثون : أنّ ملوك الهند، يغالون في الأفيلة [2] الحربية ، على قدر عظم بطشها ، فربما بلغ الفيل الفاره ، المنقطع النظير ، مائة ألف دينار ، ودائماً يبلغ الفيل الواحد منها عشرة آلاف دينار .

قال : فإذا بلغ الملك ، أنّ فيلاً قد تغرّب ، وله بطش عظيم ، وأنّه يصلح للحرب ، أمر بصيده .

قالوا : وليس له حيلة في صيده ، إلاّ بأن يخرج قوم من الفيّالين، ومعهم فِيلَةٌ أنثى ، أهلية معلّمة ، فيها فضل خَنَثٍ وتأنيث ، والأفيال ، فيها من الفطنة أمر عظيم .

قال : فيخرج الفيّالون ، وهي معهم ، إلى حيث قد بلغهم موضعاً يتغرّب الفيل فيه ، فيقاربون الموضع ، ويلجأون إلى موضع يختبئون فيه ، في شجرة عظيمة ، لا تمكن الفيل فيها حيلة ، أو شيء يحفرونه ويغطّونه ، ويدعون الفيلة الأنثى ترعى .

فحين يشمّ الفيل رائحتها ، يقصدها ، وتقصده ، فتلاعبه ، وتطاعمه بخرطومها ، وتؤانسه ، ولا تبرح من حيث هي ، ويرعيان في موضع فيّالها ، والفيّالون مختبئون شهراً ، لا يفرّقون بينهما .

---

١ تانة : بلد ساحلي من بلاد الهند ، اسمه الآن بومبي (عجائب البر والبحر للدمشقي ١٩ و ١٧٣ وفهرسه ص ٣٠) ، وإليها تنسب الثياب التانشية (تقويم البلدان ٣٥٨) .

٢ الأفيلة : جمع فيل ، قاله الدكتور مصطفى جواد .

فإذا كان بعد شهر ــ أقلّ أو أكثر[1] ــ على حسب علمهم باستحكام الألفة ، استدعوا الفِيْلَة ، في وقت تشاغل الفيل عنهم فيه ، فتجيئهم فيركبونها .

فحين يراهم الفيل ، ويراها ، يتبعهم ، فيروم أن يؤذي الفيّالين ، فتضع هي خرطومها عليه وتلاعبه ، وتسرع ، ويسرع خلفها .

فإذا رأوه قد ولّى ، ردّوها إليه ، فتلاعبه ، فيرجع معها .

فلا يزالون يمشون به خلفها ، يومين أو ثلاثة ، إلى أن يروا منه ضجراً ، أو شدّة في أذيّتهم ، فيقفون ليلة في موضع ، ويتهاربون عن ظهرها إلى موضع يختبئون فيه .

فلا يقصدهم الفيل لتشاغله بها ، ويحرزون أنفسهم في المختبأ ، ويدعونه معها دون تلك المدة .

ثم يسيرون بها [٨١] على ذلك الوجه ، فيتبعها الفيل .

فيسيرون بها يومين أو ثلاثة ، أو حسب ما يمكن ، إلى أن يبدو ضجره ، فينزلون على رسمهم .

فلا يزالون كذلك، حتّى يقرّبونه من البلد، في مدّة على حسب بعد المسافة أو قربها .

فإذا بلغوا المدينة، أخرج ملكها جميع أهل البلد، أو أكثرهم ، وجمعهم، وصعد عامّتهم على السطوح ، النساء ، والصبيان ، مزيّنين .

فحين يرى الفيل اجتماعهم ، يستوحش ، وينفر ، ويولّي ، ويطلب الصحراء ، فترجع [الفِيلَة إليه فتردّه] .

فإذا رأى الناس ، نَفَر ، فترجع إليه فتردّه ، فلا تزال كذلك معه ،

---

[1] تعبير بغدادي لم يزل مستعملا .

حتّى تدخله بين الناس ، وتقرّبه منهم .

ويقيمونه [1] الفيّالون أيّاماً ، كذلك ، حتّى يألف الناس ، فإذا ألفهم أمر الملك بجمع أصحاب الدبادب ، والطبول ، والصنوج .

فحين يسمع ، ينفر نفوراً شديداً ، أشدّ من ذلك ، ويهرب ، فتمضي الفيلة خلفه ، فحين يراها ، وقد بَعُدَ عن الصوت قليلاً ، يقف لها ، فتداعبه ، وتردّه ، وتداريه .

فحين يقرب من الصوت يهرب ، ثم يرجع معها ، هذا دأبه معها ، تفعل به ذلك أيّاماً متتابعات ، إلى أن يألف الصوت .

فإذا ألف المناظر والأصوات ، أدخل الفيّالون الفيلة إلى البلد ، ويتبعهم الفيل .

فيجيئون إلى ساحة كبيرة ، معدّة له ، فيها أربعة أوتاد ساج ، أثقل ما يكون ، وأعظمه ، متقاربة ، منصوبة على أساسات شديدة .

فتدخل الفيلة ما بين تلك الأوتاد ، وتقف ، فيدخل وراءها ، ويقف معها ، فينزل الفيّالون ، وفي أصول تلك الأوتاد حَلَقٌ عظامٌ وثيقةٌ ، في كل دقل حلقة ، وفيه قيد عظيم ثقيل ، فيضعون القيد في قائمة من قوائم الفيل ، فيحصل مقيداً مضبوطاً بين تلك الأوتاد ، لا يمكنه قلعها ، ولا أن يطرح ثقله على شيء ، لتساوي أجزائه في التقييد إليها .

فلا يزال على ذلك أيّاماً ، والفيلة إلى جانبه ، فإذا مسّه الجوع ، جاءه الفيّالون بالأرز والسمن المطبوخ ، فأطعموه إياه ، بأن يرمون به إليه من بعد ، فللجوع يأكله .

ولا يزالون يدارونه ، ويتقرّبون منه [٨٢] ، على تدريج ، حتّى يأكله

---

١ تعبير بغدادي لم يزل مستعملا .

من أيديهم بعد مدة ، فإذا أكل من أيديهم ، فهي العلامة في استئناسه .

فحين يأكل من أيديهم مراراً كثيرةً ، ويستمرّ على هذا ، يركبونه ، ويضعون الحديد في رأسه ، أيّاماً ، ويمرّونها عليه ، حتّى يألفها ، ويعلّمونه ، ويكلّمونه .

فإذا مضت أيام على هذا ، حلّوا قيوده ، وهم فوقه ، فيمشي ، ويصرّفونه بحسب ما يصرّفونه عليه ، ويصير في حكم الأهلي .

٩١

ملك الصنف يملك ألفي فيل

قال : وسمعت أنّ ملك الصَّنْف[١] ، وهو البلد الذي يجيء منه العود الصَّنْفي ، له ألفا فيل ، إذا خرجت تمتد نحو فرسخ .

---

١ الصنف : موضع في بلاد الهند أو الصين ، ينسب إليه العود الصنفي ، وهو أردأ أنواع العود ، ليس بينه وبين الخشب إلا فرق يسير (المعجم ٣/٤٢٩) .

٩٢

الفيل يقوم بعمل الجلاد

قال : وسمعت أنّ الملك ، إذا أراد قتل إنسان ، سلّمه إلى الفيل ، فيكلّمه الفيّال في أن يقتله .

قال : فيقتله بألوان من القتل ، منها : أنّه ربما لفّ خرطومه على رِجْل الرجل ، ويضع إحدى يديه على ساق الرجل الأخرى ، ثم يعتمد عليه ، فإذا هو قد خرق الرجل بنصفين ، من أوله إلى آخره .

وربما ترك الرجل ، واستعرضه بالعرض ، ثم وضع يده على بطنه ، فيسحقه [١] .

---

١ في تجارب الأمم (٢/٣٨٠) : في السنة ٣٦٧ حمل الوزير ابن بقية مسمولا إلى عضد الدولة وهو نازل بالزعفرانية ، فشهر في العسكر على جمل ، ثم طرح بباب حرب إلى الفيلة ، وأضريت عليه ، فقتلته شر قتلة .

٩٣

صاحب عمان يهدي فيلاً لمعز الدولة

قلت : أنا رأيت بالبصرة ، في سنة تسع وثلاثين وثلثمائة [١] ، فيلاً ، لطيفاً ، حمله صاحب عُـمـَان [٢] ، إلى معز الدولة [٣] ، فاجتاز بالبصرة ، وحمل إلى دارنا ، فأدخل إلى صحنها ، فرأيناه .

وسمعت عدداً كبيراً من أهل البصرة ، يخبرون — إذ ذاك — أنّ هذا الفيل اجتاز في سوق الجامع ، فقرب منه صبيّ دون البالغ ، فصاح به الفيّالون ليتنحّى عن طريق الفيل ، فدهش الصبي ، وأدركه الفيل ، فلفّ خرطومه عليه ، وشاله ، فرفعه إلى الفيّالين ، فأخذوه منه ، فصاح الصبي ، وطار عقله ، فما أنزلوه إلاّ بدراهم .

وأنهم اجتازوا ، بعد ذلك بأيّام ، فأدركت الفيل ضجرة ، فقبض على صبي ، فشاله بخرطومه ، ورقّاه في الهواء ، ثم استقبله بنابه ، فأدخله في جسمه ، فقتله .

---

١ في عهد الأمير معز الدولة البويهي ووزيره أبي محمد المهلبي .

٢ عمان : راجع حاشية القصة ١/١٨٥ من النشوار .

٣ الأمير أبو الحسين أحمد بن بويه الملقب معز الدولة : ترجمته في حاشية القصة ١/٧٠ من النشوار .

٩٤

وما قتل الأحرار كالعفو عنهم

حدّثني أبو الحسين [1] ، قال : حدّثنا الفضل بن باهماد السيرافيّ ، بها [2] ، وكان مشهوراً بسلوك أقاصي بلدان البحر ، قال :

قال لي رجل من بعض بياسرة [3] بلاد الهند ، والبيسر : هو المولود على ملّة الإسلام في بلاد الهند، أنّه كان في بلدٍ من بلاد [٨٣] الهند ، وكان فيه الملك حسن السيرة ، وكان لا يأخذ مواجهة ، ولا يعطي مواجهة ، وإنّما يقلب بيده إلى وراء ظهره ، فيأخذ ويعطي بها ، إعظاماً للملك ، وسنّة لهم هناك ، وأنّه توفي ، فوثب رجل على ملكه ، فاحتوى عليه ، وهرب ابن كان له ، يصلح للملك ، خوفاً على نفسه من المتغلّب .

ورسوم ملوك الهند ، أنّ الرجل إذا قام من مجلسه ، لأيّ حاجة عرضت له ، كانت عليه صدرة [4] ، قد جمع فيها كلّ نفيس فاخر ، من اليواقيت والجواهر ، مضرباً بالإبريسم ، في الصدرة ، ويكون قيمة ذلك ما إن [لو] أراد أن يقيم به مُلْكاً أقامه .

قال : ويقولون ، ليس بملكٍ ، من قام من مجلسه ، وليس معه ما إن حدثت عليه حادثة فهرب به ، أمكنه إقامة ملك عظيم منه .

فلما حدثت على الملك ، تلك الحادثة ، أخذ ابنه صدرته ، وهرب بها .

---

[1] أبو الحسين علي بن هشام بن عبد الله الكاتب المعروف بابن أبي قيراط : ترجمته في حاشية القصة ٤/١٠ من النشوار .

[2] أي بسيراف : وقد سبق ذكر سيراف في حاشية القصة ١/٥٧ من النشوار .

[3] في الأصل : مياسير ، والتصحيح من الفرج بعد الشدة .

[4] الصدرة ، بضم الصاد : ثوب يغشى الصدر .

فحكى عن نفسه ، أنّه مشى ثلاثة أيام ، قال : ولم أطعم طعاماً ، ولم يكن معي فضّة ولا ذهب ، فأبتاع به مأكولاً ، وأنفت أن استطعم ، ولم أقدر على إظهار ما معي .

قال : فجلست على قارعة الطريق ، وإذا برجل هنديّ ، مقبل ، على كتفه كارة ، فحطّها ، وجلس حذائي .

فقلت : أين تريد ؟

فقال : الجدام الفلاني .

ومعنى الجدام : الرستاق .

فقلت له : هذا الجدام الفلاني أريد ، فنصطحب .

قال : نعم .

فطمعت أن يعرض عليّ شيئاً من مأكوله ، قال : فحلّ الكارة ، وأكل ، وأنا أراه ، ولم يعرض عليّ ، وأنفت أن أبتدئه بالسؤال .

وقام يمشي وقد شدّها ، فمشيت معه ، وتبعته ، طمعاً في أن تحمله الإنسانية والمؤانسة على العرض[1] ، فعمل بالليل ، كما عمل معي بالنهار .

قال : وأصبحنا من غدٍ ، ومشينا ، فعاملني بمثل ذلك ، [وظلّ] على هذا سبعة أيام ، لم أذق شيئاً .

فأصبحت في اليوم الثامن ، ضعيفاً ، لا قدرة لي على الحركة ، فرأيت جداماً في حاشية الطريق ، وقوماً يبنون ، وقيّماً عليهم ، يأمرهم .

قال : ففارقت الرجل ، وعدلت إلى الوكيل ، فقلت : استعملني بأجرة تعطنيها عشياً ، مثل هؤلاء .

فقال : نعم ، ناولهم الطين .

---

[1] في الأصل : والعرض .

قال : فكنت آخذ الطين ، فلعادة الملك ، أقلب يدي إلى ظهري [٨٤] ، وأعطيهم الطين ، فكما [1] أذكر أنّ ذلك خطأ عليّ [يسبّب] سفك دمي ، أبادر بتلافي ذلك ، فأردّ يدي بسرعة ، قبل أن يفطنوا بي .

قال : فلمحتني أمرأة قائمة ، فأخبرت سيدها بخبري ، وقالت : لا بدّ أن يكون هذا من أولاد الملوك .

قال : فتقدّم إليها ، بحبسي عن المضيّ مع الصنّاع ، فاحتبستني ، وانصرف الصنّاع .

فجاءني بالدهن والعروق ، لأغتسل بهما ، وهذه مقدمة إكرامهم ، وسنّة لإعظامهم ، فتغسّلت بذلك .

فجاءوني بالأرز والسمك ، فطعمت .

فعرضت المرأة نفسها عليّ للتزويج ، فعقدت عليها ، ودخلت بها من ليلتي ، وأقمت معها أربع سنين ، أربّ [2] حالها ، وكانت لها نعمة .

فأنا يوماً ، جالس على باب دارها ، فإذا أنا برجلٍ من بلدي ، فاستدعيته ، فجاءني .

فقلت له : من أين أنت ؟

قال : أنا من بلد كذا وكذا ، وذكر بلدي .

فقلت : ما تصنع هاهنا ؟

فقال : كان فينا ملكٌ حسن السيرة ، فمات ، ووثب على ملكه رجل ليس من أهل بيت الملك ، وكان للملك الأوّل ابن يصلح للملك ، فخاف على نفسه ، فهرب ، وإنّ المتغلّب أساء عشرة رعيته ، فوثبوا عليه ، فقتلوه ، وانبثثنا في البلدان نطلب ابن ذلك المتوفّي ، لنجلسه مكان أبيه ،

---

١ كما أذكر : اصطلاح بغدادي معناه : حالما أذكر .

٢ رب القوم : ساسهم .

فما نعرف له خبراً .

قال : فقلت له : تعرفني ؟

قال : لا .

فقلت : أنا طلبتكم .

قال : وأعطيته العلامات ، فعلم صحّة ما قلت له ، فكفّر لي[1] .

قلت : اكتم أمرنا ، إلى أن ندخل إلى الناحية .

فقال : أفعل .

قال : فدخلت إلى الامرأة ، وأخبرتها الخبر ، وحدّثتها بالصورة ، وبأمري كلّه .

وأعطيتها الصدرة ، وقلت : فيها كذا ، ومن حالها كذا ، وأنا ماضٍ مع الرجل ، فإن كان ما ذكره صحيحاً ، فالعلامة أن يجيئك رسولي ، ويذكر لك الصدرة ، فانهضي معه ، وإن كانت مكيدة ، كانت الصدرة لك .

قال : ومضى مع الرجل ، وكان الأمر صحيحاً ، فلما قرب من البلد ، استقبلوه بالتكفير ، وأجلسوه في الملك ، وأنفذ إلى الزوجة من حملها ، وجاءت إليه .

فحين اجتمع شمله ، واستقام ملكه ، أمر فبنيت له دار [٨٥] عظيمة ، وأمر أن لا يجتاز في عمله مجتاز ، إلاّ حمل إليها ، ويضاف ثلاثة أيّام ، ويزوّد لثلاثة أيّام أخر .

وكان يفعل ذلك ، وهو يراعي الرجل الذي استصحبه في سفره ، ويقدّر أن يقع في يده .

وأراد أن يبني الدار شكراً لله تعالى ، على الخلاص ممّا كان فيه ، وأن

---

١ كفر له : خضع ، بأن يضع يده على صدره ، ويطأطىء رأسه ، ويتطامن ، تعظيماً له .

يكفي الناس المؤونة التي كانت لحقته .

[فلما كان] بعد حولٍ ، استعرض الناس ، قال : وقد كان يستعرضهم في كل شهر ، فلا يرى الرجل ، فيصرفهم .

فلما كان ذلك اليوم، رأى الرجل بينهم، فحين وقعت عليه عينه، أعطاه ورقة تنبول[1] ، وهذه علامة غاية الإكرام ، ونهاية رتبة الإعظام ، إذا فعله الملك بإنسان من رعيته[2] .

قال : فحين فعل الملك بالرجل ذلك ، كفّر له ، وقبّل الأرض ، فأمره الملك بالنهوض ، ونظر إليه ، فإذا هو ليس يعرف الملك ، فأمر بتغيير حاله ، وإحسان ضيافته ، ففعل ، ثم استدعاه .

فقال له : أتعرفني ؟

قال : وكيف لا أعرف الملك ، وهو من حاله ، وعظم شأنه ، وعلوّ سلطانه .

قال : لم أرد هذا ، أتعرفني ، من قبل هذه الحال ؟

---

١ التنبول : نبات هندي ، يمضغ ورقه كما يمضغ العلك ، من فصيلة الفلفليات (المنجد) ، وجاء في مروج الذهب ١/١٥٧ : التنبول : ورق ينبت كأصغر ما يكون من ورق الأترج ، يمضغ هذا الورق بالنورة المبلولة مع الفوفل ، واستعماله يشد اللثة ، ويقوي عمود الأسنان ، ويطيب النكهة ، ويزيل الرطوبة المؤذية ، ويشهي الطعام ، ويعين على الباه ، ويحمر الأسنان حتى تكون كأحمر ما يكون من حب الرمان ، ويحدث في النفس طرباً وأريحية ، ويقوي البدن ، ويثير من النكهة روائح طيبة ، أقول : أبصرت في صباي ، ورق التنبول ، يباع في أسواق بغداد ، وكانت له سوق رائجة عند الهنود الذين رافقوا الحملة البريطانية في العراق واستقروا فيه مدة الاحتلال البريطاني ، وورقة التنبول تشبه ورقة شجر النارنج ، وقد طلي أحد وجهيها بمادة إلى السواد أميل .

٢ قال ابن بطوطة في رحلته ٢/٧٠ : إن سلطان الهند لما قدم عليه الأمير غياث الدين ابن الخليفة، أخذ التانبول بيده وأعطاه إياه ، وهذا أعظم ما أكرمه به ، فإنه لا يفعله مع أحد .

قال : لا .

قال : فأذكره الملك الحديث والقصّة ، في منعه الطعام سبعة أيام في السفر .

قال : فبهت الرجل .

وقال : ردّوه إلى الدار ، وونّسوه [1] ، وزاد في إكرامه ، وحضر الطعام ، فأطعم الرجل ، فلما أراد النوم ، قال الملك ، لامرأته : امضي فغمّزيه [2] ، حتّى ينام .

قال : فجاءت المرأة ، ولم تزل تغمّزه ، إلى أن نام ، فجاءت إلى الملك ، وقالت : قد نام .

فقال : ليس هذا نوماً ، حرّكوه ، [فحرّكوه] فإذا هو ميت .

قال : فقالت له المرأة : أيش هذا ؟

قال : فساق إليها حديثه معه ، وقال : وقع في يدي ، فتناهيت في إكرامه ، والهند لهم كبود عظام ، وتوهّمهم هو المعروف المتعالم عنهم ، فدخلت عليه حسرة عظيمة ، إذ لم يحسن إليّ ذلك الوقت ، فقتلته الحسرة .

وقد كنت أتوقّع موته قبل هذا ، ممّا توهمه واستشعره من العلّة في نفسه ، والحسرة والأسف ، فقتلته [3] .

---

١ تعبير بغدادي ، بمعنى : آنسوه .

٢ الغمز : الكبس باليد .

٣ وردت القصة في كتاب الفرج بعد الشدة .

٩٥

الجبارية في الهند

حدّثنا أبو الحسين[١] ، قال : حدّثني أبي[٢] ، قال :

رأيت بالهند قوماً ، يقال لهم : الجباريّة ، يأكلون الميتة ، ويقذرهم جميع أهل الهند ، عندهم أنّهم إذا ماسّوهم نجسوا .

قال : فهم يمشون ، وفي أعناقهم طبولٌ يطبّلون بها ، لتسمع أصواتها ، فيتنحّون عن طريقهم ، فإذا لم يتنحّ الرجل عند سماع الطبل ، فلا شيء على الجباريّ [٨٦] ، وإن لم يضرب الجباريّ الطبل ، حتى يلاصق جسده ، جسد غيره ، قتله الذي يلتصق جسده به ، ولا يُعْدَى عليه ، لأنّ هذا من شرطهم ، وسنّتهم .

قال : ولا يشرب أحد من ماء هؤلاء الجبّارية ، ولا يأكل من طعامهم ، ولا يخالطهم ، فهم ينزلون في ظاهر البلد ناحية .

قال : وهم أرمى الناس ، ومعاشهم من الصيد .

---

١ أبو الحسين علي بن هشام بن عبد الله الكاتب المعروف بابن أبي قيراط : ترجمته في حاشية القصة ٤/١٠ من النشوار .

٢ أبو القاسم هشام بن عبد الله الكاتب المعروف بأبي قيراط : ترجمته في حاشية القصة ٤/٢٥ من النشوار .

٩٦

البابوانية في الهند

قال : وهناك قوم يقال لهم البابوانية ، يجرون مجرى المستقفين [١] هاهنا ، والسلطان يطلبهم ، فإذا وقعوا في يده ، وظفر بهم ، فعل بهم ، كما يفعل باللصوص والعيّارين .

قال : وهم يصطادون الناس ، لا يعرضون لغير ذلك .

قال : والواحد منهم ، يتبع التجّار الذين يطرأون إليهم من المسلمين والذمّة ، فإذا رأى الواحد من التجّار ، في طريق خال ، قبض عليه ، فحين يقبض عليه ، وقد علم التاجر بأمره ، فيسكت ، لأنّه إن استغاث ، أو نطق قتله الهندي ، وقتل نفسه في الحال ، لا يتألم لذلك ، لاعتقادهم المشهور في القتل .

قال : ويراهم الناس ، وقد اصطادوا الرجل ، فلا يعرضون لخلاصه ، لئلاّ يقتله ، ويقول لهم الرجل : الله ، الله ، إن عارضتموه ، فلا يمكن لسلطان ولا غيره ، انتزاعه من يده ، في تلك الحال ، لئلاّ يعجل بقتله .

قال : فأخبرني رجل من الهند ، أنّ رجلاً من البابوانية ، قبض في طريق سفر على رجل لقيه منفرداً من التجار .

فقال له : اشترِ نفسك .

فتوافقا على أن يشتري نفسه منه بألف درهم .

فقال له التاجر : تعلم أنّي خرجت ولا شيء معي ، ومالي في البلد ، فتصير معي إلى داري في البلد ، لأؤدّي ذلك إليك .

---

١ المستقفي : اللص الذي يتسلل للماشي من ورائه ، فيخطف عمامته ، أو ما يحمله في يده ، ويهرب .

قال : فأجابه ، وقبض على يده ، ولم يزل يمشي معه ، حتى اجتازا في طريقهما ، بقرية الجبارية [وكان] طريقهما في سكة منها ، فسلكاها .

فحين حصلا فيها ، فطن التاجر للحيلة في الخلاص ، وقد كان عرف مذهب الهندي في الجبارية ، فلم يزل يمشي معه ، حتى رأى باباً مفتوحاً ، من دور الجبارية ، فجذب يده بحميّة شديدة ، من يد البابوانيّ ، وسعى فدخل دار الجباري .

فقال له : ما لك ؟

قال : أنا مستجير بك ، من يد بابوانيّ اصطادني ، وتعرّيت منه .

قال : لا بأس عليك [٨٧] ، فاجلس .

فصاح البابواني : يا جباريّ ، يا جباريّ ، اخرج إليّ .

قال : وهم لا يدخلون دور الجبارية ، لاستقذارهم إيّاهم .

قال : فخرج ، ووقف ، بينهما عرض الطريق ، لأنّه لا يجوز لأحدهما أن يدنو من صاحبه .

فقال له البابوانيّ : أعطني صاحبي .

قال : قد استجار بي ، فهبه لي .

قال : لا أفعل ، هذا رزقي ، فإن لم تعطنيه ، لم ندع جبارياً [إلاّ[1]] قتلناه .

قال : فطال الكلام بينهما ، إلى أن قال الجباريّ ، أسلمه إليك في الصحراء فامضِ برّاً[2] ، تسبقه إلى الموضع الفلانيّ .

قال : فمضى .

---

١ في الأصل : حتى .

٢ برا : خارج ، والكلمة لم تزل مستعملة في بغداد بهذا المعنى .

ودخل الرجل على [التاجر] ، وقال له[1] : اخرج لا بأس عليك .

فخرج معه ، وأخذ الجباريّ قوسه ، وخمسين نشّابة ، قال : ونشّابهم من القصب .

قال : فعلق المسلم بكمّ الجباريّ ، ولصق به ، علماً منه بأنّ البابوانيّ لا يدنو منه .

فلما صارا إلى الصحراء ، قال له الجباريّ : تهبه [لي] ؟ واجتهد به ، فلم يفعل .

قال : فإني لا أسلمه ، أو لا يبقى معي سلاح .

قال : شأنك .

قال : وهم لا يخطئون البتة في الرمي ، ففوّق سهمه نحوه ، فحين أطلقه ، تلقّاه البابواني بشيء كان معه ، فاعترض السهم بالشيء ، فقطعه باثنين ، وسلم منه .

فتحيّر الجباريّ .

قال : فلم يزل يرميه بنشّابة نشّابة ، ويفعل بها البابواني ، مثل ذلك ، إلى أن ذهب النشاب ، ولم يبق منه إلاّ نشّابتان .

فضعفت نفس التاجر ، وأيقن بالهلاك ، وقال للجباريّ : الله ، الله ، في دمي .

قال : فقال له البابوانيّ : لا يقع لك أنّك قد أفلتّ ، ثم أخذ سهماً .

فقال له الجباريّ : لا تقدر على ذلك ، وسأريك من رميي ، ما تتحدّث به أبداً ، انظر إلى هذا الطائر الذي يطير في السماء ، فإنّي أرميه ، فأصرعه

---

[1] في الأصل : لي .

على رأسك ، ثم أرميك فلا أخطيك [1] .

قال : فشال [2] البابواني رأسه ، ينظر إلى الطير ، فرماه الجباريّ، فأصاب فؤاده ، فخرّ صريعاً يضطرب ، ومات .

وقال للتاجر : ارجع الآن آمناً .

فرجع إلى داره ، وأقام عندهم ، إلى أن اجتازت بهم صحبة [3] ، رحل معها التاجر ، إلى مأمنه .

---

١ يريد : لا أخطئك، على طريقة البغداديين في إبدال الهمزة بالياء أو الواو تبعاً لأصل الكلمة ، راجع التفصيل في حاشية القصة ١٧٧/٦ من النشوار .

٢ شال : رفع .

٣ الصحبة هي الملازمة والمرافقة والمعاشرة ، والصحبة هنا تعني الجماعة المتصاحبين ويقصد بها القافلة ، والموصليون الآن ، يسمون القصة : صحبة ، فإذا أراد أحدهم أن يروي قصة ، قال : استمعوا إليّ ، أروي لكم صحبة .

٩٧

سرق ماله بالبصرة، واستعاده بواسط

حدّثنا أبو الحسين، قال: حدّثني رجل من أهل دار الزبير [١] بالبصرة، دقّاق [٢]، قال:

أورد عليّ رجل غريب، سفتجة بأجل [٣]، فكان يتردّد إلى أن حلّت، ثم قال: دعها عندك، وآخذها متفرقة.

فكان يجيء في كلّ يوم، فيأخذ بقدر نفقته، إلى أن نفدت.

وصارت بيننا معرفة، وألف الجلوس عندي، وأنست به، وكان يراني أخرج كيسي من صندوق لي، فأعطي منه النقدات [٤] التي تحل عليّ.

فقال لي يوماً: إنّ قفل الرجل، صاحبه في سفره، وأمينه في حضره، وخليفته على حفظ ماله، والذي ينفي الظنّة عنده عن عياله، فإن لم يكن وثيقاً، تطرّقت الحيلة عليه، وأرى قفلك هذا وثيقاً، فقل لي ممّن ابتعته، لأبتاع مثله.

فقلت: من فلان القفّال، في جوبات [٥] الصفّارين.

---

١ دار الزبير: الموضع الذي فيه قبر الزبير بن العوام بالبصرة، وكان اسم الموضع وادي السباع، فلما دفن فيه أصبح اسمه دار الزبير، واسمه الآن: الزبير، وهو ناحية تابعة لمحافظة البصرة.

٢ الدقاق: بائع الدقيق.

٣ السفتجة: أن تعطي مالا لرجل، فيعطيك خطاً يمكنك من استرداد ذلك المال من عميل له في مكان آخر، وإذا كان الخط يشترط أداء المال في وقت مؤجل، فهي سفتجة بأجل.

٤ النقدة: ما يؤديه التاجر نقداً، سداداً لما يترتب عليه من ديون، اصطلاح تجاري عباسي، راجع القصة ٣/٩٠ من النشوار، وفيها: كان علي وعد بنقدة لابن عبدان الصيرفي.

٥ الجوبة: الساحة الخالية بين الأماكن المعمورة، وتتخذ عادة مواضع لإقامة الأسواق الأسبوعية ولاجتماع الناس، والجوبة: محلة من محلات بغداد في زماننا هذا.

قال : فما شعرت ، إلاّ وقد جئت [٨٨] ، وطلبت صندوقي ، لأخرج منه شيئاً من الدراهم ، فحمل إليّ ،ففتحته، فإذا ليس فيه شيء من الدراهم .

فقلت لغلامي — وكان غير متّهم عندي — : هل أنكرت من الدرابات شيئاً ؟

فقال : لا .

فقلت : ففتّش ، هل ترى في الدكان نقباً ؟

ففتّش ، فقال : لا .

فقلت : فمن السقف حيلة ؟

فقال : لا .

فقلت : اعلم أنّ دراهمي قد ذهبت ؟

فقلق الغلام ، فسكّنته ، وأقمت في دكّاني ، لا أدري ما أعمل ، فتأخّر عنّي الرجل ، فلما تأخّر ، اتّهمته ، وتذكرت مسألته لي عن القفل .

فقلت للغلام : أخبرني كيف تفتح الدكان وتغلقه ؟

فقال : رسمي ، إذا أغلقت الدكان ، أغلقه درابتين ، درابتين ، والدرابات[1] في المسجد ، أحملها دفعات ، اثنتين وثلاثاً ، في كلّ دفعة ، فأشرجها ، ثم أقفل ، وكذا أفتحها .

فقلت : البارحة ، واليوم كذا فعلت ؟

فقال : نعم .

فقلت : فإذا مضيت لتردّ الدرابات ، أو تحضرها ، على من تدع الدكان؟

قال : خالياً .

---

[1] الدرابات : أبواب من الخشب ، تصف الواحدة بجانب الأخرى ، ويمد عليها حديد ، يربط بقفل أو أقفال ، وبذلك يتم إغلاق الدكان ، والكلمة فارسية الأصل : أما دربان ، ومعناها : حافظ الباب ، أو : درباي ، ومعناها : أسفل الباب .

فقلت : فمن هاهنا وقع الشرّ .

وذهبت ومضيت إلى الصانع الذي ابتعت منه القفل ، فقلت له : جاءك إنسان منذ أيام ، اشترى منك مثل هذا القفل ؟

قال : نعم ، وحكى من صفته كيت وكيت ، فأعطاني صفة صاحبي .

فعلمت أنّه جاء ، واختبأ للغلام وقت المساء ، حتّى إذا انصرفت أنا ، ومضى وهو يحمل الدرابات ، دخل الدكان فاختبأ فيه ، ومعه مفتاح القفل الذي اشتراه ، الذي يقع على قفلي ، وأنّه أخذ الدراهم ، وجلس طول ليلته ، خلف الدرابات ، فلما جاء الغلام ، وفتح درابتين أو ثلاثاً ، وحملها ليرفعها ، خرج هو ، وأنّه ما فعل ذلك ، إلاّ وقد خرج إلى بغداد .

قال : فسلّمت الدكان إلى الغلام ، وقلت له ، من سأل عني ، فعرّفه أنّي خرجت إلى ضيعتي .

قال : وخرجت ، ومعي قفلي ومفتاحه .

فقلت : أبتدىء بطلب الرجل بواسط ، فلما صعدت من السميرية [1] ، طلبت خاناً في الجسر ، أنزله ، فأرشدت إليه ، فصعدت ، وإذا بقفل مثل قفلي ، سواء ، على بيت .

فقلت لقيّم الخان : هذا البيت من ينزله ؟

فقال : رجل قدم من البصرة ، أوّل أمس .

فقلت : أي شيء صفته ؟

فوصف صفة صاحبي [٨٩] ، فلم أشكّ أنّه هو ، وأنّ الدراهم في بيته .

---

١ السميرية أو السمارية : زورق يتخذ لنقل المسافرين بين بلد وبلد ، أو لإجازة من يريد العبور من أحد جانبي النهر إلى الجانب الآخر .

فاكتريت بيتاً إلى جنبه ، ورصدت البيت حتّى انصرف القيّم ، وقمت ، ففتحت القفل بمفتاحي .

فحين دخلت البيت ، وجدت كيسي بعينه ، ملقى فيه ، فأخذته ، وخرجت وقفلت البيت ، وتركته .

ونزلت إلى السفينة التّي جئت فيها ، وأرغبت الملاّح في زيادة أجره ، حتّى حملني ، وانحدرت في الحال ، وما أقمت بواسط إلاّ ساعتين من النهار .

ورجعت إلى البصرة بمالي[1] .

---

[1] وردت القصة في الفرج بعد الشدة .

٩٨

صيرفي بغدادي متحصن من اللصوص

حدّثنا أبو الحسين ، قال : حدّثني رجل من أهل بغداد ، أنّ بعض من تاب من اللصوصية ، حدّثه ، قال :

كان في الناحية الفلانية ، صيرفي ، كثير المال ، يطلبه اللصوص ، فلا تتمّ عليه حيلة ، ولا يقدرون عليه .

قال : فتواطأ عليه جماعة لصوص ، كنت أحدهم ، فقالوا : كيف نعمل في دخول داره ؟

فقلت : أمّا الدخول ، فعليّ لكم ، وأمّا ما بعد ذلك فلا أضمنه .

قالوا : فما نريد إلاّ الدخول .

قال : فجئت ، وهم معي ، عشاءً ، فقلت لواحدٍ منهم : تصدّق[1] ، فإذا خرجت الجارية إليك بشيء ، فتباعد ، وتعامَ[2] عليها ، لتجيء إليك تعطيك الصدقة ، وكن على خطىً من الباب ، لأدخل أنا ، وهي متشاغلة معك ، قد بعدَتْ عن الباب ، فلا تراني إلى أن أدخل ، فأختبئ .

قال : ففعل ذلك ، وحصلت مختبئاً في مستراح الدهليز .

فلما عادت الجارية ، قال لها [مولاها] : قد احتبست .

قالت : حتى أعطيت السائل الصدقة .

قال : ليس هذا قدر دفعك إليه .

قالت : لم يكن على الباب ، فلحقته في الطريق ، وأعطيته .

---

١ تصدق : طلب الصدقة .

٢ تعامى : تظاهر بالعمى .

فقال : وكم خطوة مشيت من الباب ؟

قالت : خطىً كثيرة .

قال : لعنك الله ، أخطأت عليّ ، قد حصل معي في الدار لصّ ، لا أشك فيه .

قال : فحين سَمِعْتُ هذا ، قامت قيامتي ، وتحيّرت .

فقال لها : هات القفل .

فجاءته به ، فجاء إلى باب دهليز الدار ، والصحن بعد باب الدار ، فقفله من عنده ، ثم قال لها : دعي اللص الآن يعمل ما يشاء .

قال : فلما انتصف الليل ، جاء أصحابي ، فصفروا على الباب ، ففتحت لهم باب الدار ، فدخلوا الدهليز [٩٠] ، وأخبرتهم بالخبر .

فقالوا : ننقب العَتَبة ، ونخرج إلى الصحن .

ونقبوا ، فلما فرغوا ، قالوا : ادخل معنا .

فقلت : إنّ نفسي قد نبت عن هذا الرجل ، وأحسست بشرّ ، وما أدخل البتة .

فاجتهدوا بي ، وقالوا : لا نعطيك شيئاً .

فقلت : قد رضيت .

فدخلوا ، فحين حصلوا في الصحن ، وأنا في الدهليز ، أتسمّع عليهم ، مشوا فيه ، فإذا للمولى زبية[1] ، في أكثر الصحن ، محيطة به ، يعرفها هو وعياله ، فيتّقون المشي عليها ليلاً ونهاراً ، وهي منصوبة للحفظ من هذا وشبهه ، وعليها بارية ، من فوق خشب رقيق جداً .

فحين حصلوا عليها ، سقطوا إليها ، فإذا هي عميقة جداً ، لا يمكن الصعود منها .

---

١ الزبية : حفرة كبيرة ، قد تتخذ لصيد السباع .

فسمع المولى صوت سقوطهم ، فصاح : وقع هؤلاء ، وقام هو وجاريته يصفّقون ويرقصون .

وتناولوا حجارة معدّة لهم ، فما زالوا يشدخون رؤوسهم وأبدانهم بها ، وأصحابي يصيحون ، وأنا أحمد الله على السلامة ، إلى أن أتلفهم .

وهربت أنا من الدهليز ، ولم أعرف لأصحابي خبراً ، كيف دفنوا ، أو كيف أخرجوا .

فكان ذلك سبب توبتي من اللصوصية [1] .

---

[1] التوابون : شيوخ أنواع اللصوص الذين قد كبروا ، وتابوا ، فإذا جرت حادثة، علموا من فعلها ، فدلوا عليه ، وربما قاسموا اللصوص ما سرقوه (مروج الذهب ٢/٥٠٧) .

٩٩

البراءة المزورة

حدّثني أبو الحسين ، قال : حدّثني رجل من البغداديين ، قال :
كنت وأنا حَدَثٌ ، حسن الوجه ، فلما اتّصلت لحيتي ، وهي طريّة بعدُ ، طلبت التصرّف[1] ، فكتب لي إلى أبي أحمد النعمان بن عبيد الله ، فلقيته في عمله[2] ، فأكرمني ، وبالغ في برّي ، وأمرني بالجلوس ، فجلست ، وكلما أردت القيام احتبسني إلى أن لم يبقَ عنده أحد إلاّ خواصّه .

ثم أحضر المائدة فأكلنا ، فلما فرغنا ، قمت لأغسل يدي ، فحلف ، أن لا أغسلها إلاّ بحضرته ، فغسلتها ، وقمت .

فقال : إلى أين ؟

فقلت : إلى منزلي .

فقال : أنت هاهنا غريب ، ولعلّك في خان .

فقلت : هو كذلك .

فقال : وموضعنا أطيب ، وهو خير ، وخيشنا بارد ، فأقم عندنا .

فقلت : السمع والطاعة .

ولم أعرف ما في نفسه ، فدخلت الخيش[3] ، فلما حصلت عنده فيه ، جعل يستدنيني ، ولا أعلم غرضه ، إلى أن صرت بقربه ، فضرب بيده ، يولع [٩١]

---

١ التصرف : العمل في خدمة الحكومة .

٢ في عمله : يعني في الديوان .

٣ الخيش : راجع وصفه ، وكيفية استعماله ، في حاشية القصة ١٦٢/١ وحاشية القصة ١٣٥/٧ من النشوار .

بي[1] ، فعلمت أنّ شرطه في اللواط ، أصحاب اللحى الطريّة[2] .

فصعب عليّ ما تمّ من ذلك ، وقلت : كيف أصنع ؟ ليس إلاّ التطايب .

قال : فقلت له ، يا سيدي أي شيء تريد ؟

قال : أريد أن أفعل كذا وكذا .

فقلت : يا سيدي ، براءتي معي ، وقبضت على لحيتي .

قال : لا تفعل ، هذه براءة مزوّرة .

قلت : كيف ؟

قال : لأنّي ما وقّعت فيها بقلمي .

---

١ يولع بي : يتحرش بي .

٢ كان الناس يتهمون الموصليين بالرغبة في أصحاب اللحى ، حتى ضرب بهم المثل في ذلك ، قال الشاعر :

كتب العذار على صحيفة خده   سطراً يلوح لناظر المتأمـل
بالغت في استخراجه فوجدته   لا رأي إلا رأي أهل الموصل

قال ياقوت في معجم البلدان ٤/٦٨٤ : إن الناس ظلموا أهل الموصل ، فقد جبت البلاد ما بين جيحون والنيل ، فقل من رأيته يخرج عن هذا المذهب ، فلا أدري لم خص به أهل الموصل ، ورد عليه ابن حجلة المغربي، في كتابه ديوان الصبابة ٢/٥٢ : بأن أهل الموصل يزيدون على غيرهم ، بأنهم يميلون إلى أصحاب الذقون ، وربما مالوا إلى من في عذاره شيب ويقولون: هذا شعرة وشعرة، أي شعرة بيضاء وشعرة سوداء، وبعضهم يسميه: زرزورياً، وقل أن يوجد ذلك في غير بلدهم ، ويرمى بذلك معهم أهل الإسكندرية ، فهم يقولون : نحن لا نعطي فليستنا لصبي يأكل بها حلاوة ، وإنما نعطيها لمن ينفقها على عائلته ووليداته .

١٠٠

من شعر سيدوك الواسطي

أنشدني أبو طاهر المعروف بسيدوك الواسطي [1] لنفسه :

هات اسقنيها كلمح البرق ما مزجت إلاّ لتسيير سقلاطونها فينا
إذا لواعب آذريونها عبثت بجلّنار سناها هزّ نسرينا
أدير في الكأس ذرّ الشمس إذ رقصت والماء نغرف من نار كماشينا

وأنشدني لنفسه من أبيات :

ما أكثر الشعراء مذ قتل الندى والشعر أعوز من دموع الأرقم

وأنشدني لنفسه قصيدة يمدح بها أبا الحسن عمران بن شاهين ، أمير البطيحة [2] وفيها [ذكر] الهدري الذي يقاتل به ، هو وأصحابه ، وهو شبيه الحراب ، يقول :

تسبي النفوس حراب ما أدرت بها كأس المنيّة إلاّ رحت ذا طرب
تظلّ من فضّة حتّى إذا وردت أصدرتها من دم الأبطال من ذهب
من كلّ مقليّة الجنبين ماضية قدّت من الشمس أو قدّت من اللهب

---

١ أبو طاهر عبد العزيز بن حامد بن الخضر الواسطي ، المعروف بسيدوك : ترجمته في حاشية القصة ٧٣/٨ من النشوار .

٢ أبو الحسن عمران بن شاهين : أمير البطيحة ، رأس الإمارة الشاهينية ، شمل سلطانه جميع نواحي البطائح ، وكان مقره الجامدة ، ونشبت معارك وحروب بينه وبين الحكومات المتوالية ، وانتهت بالصلح على أن تكون إمارة البطيحة لعمران ، وطالت إمارته أربعين سنة ، وتوفي سنة ٣٦٩ (الأعلام ٢٣٣/٥) . أقول : وقبر عمران بن شاهين بالنجف ، شاهدته غير مرة .

١٠١
من شعر أبي إسحاق الصابي

أنشدني أبو الحسن محمد بن غسان بن عبد الجبار ، قال : أنشدني أبو إسحاق إبراهيم بن هليل الصابي[١] الكاتب لنفسه :

تورّد دمعي فاستوى ومدامتي   فمن مثل ما في الكاس عيني تسكب
فوالله ما أدري أبالخمر أسبلت   جفوني أم من دمع عيني أشرب

وأنشدني ، قال: أنشدني لنفسه :

ما زلت في سكري ألمّع كفّها   وذراعها بالقرص والآثار
حتّى تركت أديمها وكأنّما   غرس البنفسج منه في الجمّار

قال : وأنشدني لنفسه :

فديت من سارقني لحظها   من خيفة الناس بتسليمته
لما رأت بدر الدجى زاهياً   وغاظها ذلك من شيمته
سلّت له البرقع عن وجهها   فردت البدر إلى قيمته[٢] [٩٢]

وأنشدني ، قال : قرأت على ظهر دفتر :

كنّا نزوركم والدار دانية   في كلّ وقت فلما شطّت الدار
صرنا نقدّر وقتاً في زيارتكم   وليس للشوق في الأحشاء مقدار

---

١ أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي : ترجمته في حاشية القصة ٣/١٣٧ من النشوار .
٢ رده إلى قيمته : اصطلاح بغدادي ، يعني أخجله ، ومثله قولهم : عرّفه مقامه .

١٠٢

الحسن بن عون الموسوس

حدّثني أبو الحسن محمد بن غسّان الطبيب [١] ، قال :

كان عندنا بالبصرة في البيمارستان ، رجلٌ موسوس ، يعرف بالحسن ابن عون ، من أولاد الكتّاب ، حبس في البيمارستان للعلاج ، في سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة .

وطال حبسه سنين ، ثم صلح ، فاستخدم في البيمارستان ، إلى أن تكامل صلاحه .

وكنت أختلف إلى البيمارستان ، لتعلّم الطب ، فكنت أشاهده كثيراً ، فأوّل يوم علمت أنّه يقول الشعر ، سمعته وهو يقول :

أدافع همّي بالتعلّلِ والصبر ... وأمنع نفسي بالحديث عن الفكر

وأرجو غداً حتى إذا ما غدٌ أتى ... تزايد بي همّي فأسلمني صبري

فلا الهمّ يغنيني ولا العمر ينقضي ... ولا فرج يأتي سوى أدمع تجري

إلى الله أشكو ما أقاسي فإنّه ... عليم بأني قد تحيّرت في أمري [٢]

وعرفت حاله في أدبه ، بإنشاده إيّاي كلّ يوم قطعة من شعره ، يعملها بحضرتي .

وشاهد عمل الجلنجبين بالورد في البيمارستان ، فقال : وأنشدنيه لنفسه :

أنظر إلى الورد في أكفّهم ... يطبع للقاطفين من ورقه

---

١ أبو الحسن محمد بن غسان البصري الطبيب الأديب الشاعر : ترجمته في حاشية القصة ٣/١٤٠ من النشوار .

٢ وردت هذه الأبيات في القصة ٣/٧ من النشوار .

كالقلب نار الهوى تحرّقه والقلب يهوى الهوى على حرقه

وحملت إليه شيئاً من المأكول ، اشتهاه عليّ ، فكتب إلى جانب حائط :

حصرت من ظرف ما بعثت به وقلت : يا سيّدي ومولايَ
لو أنّ أعضاء شاكرٍ نطقت بالشكر أثنت عليك أعضايَ
مــا بهسـ[1] للكرام كلّهم ويا صباحي كمثل ممسايَ
لو أنّ ما بي ببعض أعداي بكيت ممّا أرى بأعدايَ

---

١ كذا في الأصل من دون نقط .

١٠٣

حكاية ديوث

حدّثنا القاضي أبو القاسم عمر بن حسان بن الحسين :

أنّه بلغه عن رجل قليل الغيرة ، رديء الدين ، كان يجمع بين زوجته ، وبين أهل الفساد في منزله .

قال : عشق امرأته ، رجلٌ ، وكان ينفق عليها في منزله ، وأحلفها بحضرته [٩٣] ، أنّها لا تطاوع زوجها على الجماع .

قال : وكانا ليلة على شأنهما ، في أسفل الدار التي للزوج ، فصعدت المرأة إلى السطح هناك ، واحتبست ، فلما جاءت ، خاصمها العشيق ، وقال : لعله فعل بك زوجك كذا .

فقالت : وحلفت ، أنّه ما جرى من ذلك شيء .

وسمع الزوج الكلام ، فقام يصلّي في السطح ، ويصيح : الله أكبر ، ليسمع العشيق ، ويعلمه ، أنّه لم يكن ليصلّي ، وهو جنب ، حتّى يصلح بينه وبين المرأة ، بذلك[١] .

---

١ قرأت في كتاب زهر الربيع للسيد نعمة الله الجزائري : أن رجلا كانت له زوجة رقيقة الحافر ، وكان يعطيها في كل يوم درهماً ، فإذا عاد إلى داره ظهراً ، وجد مائدته عامرة بالألوان ، وماتت الزوجة ، فتزوج بأخرى ، وأعطاها الدرهم في الصباح ، وعاد ظهراً ، فوجد على مائدته خبزاً وبصلا ، فتعجب من ذلك ، وقال لها : إن المرحومة ، كانت بهذا الدرهم ، تمد مائدة عامرة ، وفي اليوم التالي ، عاد ظهراً فوجد مائدته عامرة ، فأثنى عليها ، وسألها كيف أعدت ذلك ؟ فقالت : إن أحد عشاقها ، خالفه إليها بعد مبارحته الدار ، وأعطاها ما صرفته على إعداد المائدة ، فانتفض غاضباً وصاح بها : إذا صنعت مثل هذا الصنيع في المستقبل فلا تخبريني ، لأنني غيور .

وحدثوا : أن رجلا كانت له امرأة جميلة ، رقيقة الحافر ، فألح عليه أهله أن يطلقها ، فطلقها ، وتزوج بامرأة عفيفة ، لكنها قبيحة ، وسأله أهله ، كيف أنت الآن ؟ فقال : كنا نأكل عسلا مع الناس ، والآن نأكل الخرا وحدنا .

١٠٤

حجاب شديد

وهذا ضدّ ما حدّثني به أبو الحسن أحمد بن يوسف بن البهلول التنوخي[١]:

أنّ امرأة من أهلهم بالأنبار[٢] ، كانت قد جاوزت الأربعين سنة ، وخرجت من بيتها إلى بغداد ، في محنة عرضت لها ، فلما حصلت في الطريق رأت جملاً يدير دولاباً .

فقالت : ما هذا ؟

فقيل لها : دولاب الجمل .

فحلفت بالله ، أنّها ما رأت جملاً قط .

---

١ أبو الحسن أحمد بن يوسف بن البهلول التنوخي : ترجمته في حاشية القصة ١/١٤ من النشوار .

٢ الأنبار : راجع حاشية القصة ١/١٣٧ من النشوار .

١٠٥

كتاب المافروخي عامل البصرة

حدّثنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن طريف ، المعروف بأحمد الطويل ، قال :

كتب إليّ أبو محمد عبد العزيز المافروخي[1] ، وأنا أتقلّد حصن مهدي[2]، والفُرَض، والأعمال التي كنت أتقلّدها مع ذلك، وهو يتقلّد البصرة، يسألني إطلاق تمر له ، اجتاز عليّ، ويعرّض بأنّ مكافأة ذلك ، لا تذهب عليه .

فأطلقت له التمر ، بلا ضريبة ، ولا مؤونة ، وكتبت إليه أعاتبه على هذه اللفظة .

فكتب إليّ كتاباً ، يعتذر ، حفظت منه قوله :

وصل كتابك الذي أبان الله به فضلك ، وسهّل إلى سبل المكارم سبقك ، وفهمته فهم معجب به، ومتعجّب منه، وسرّني صدوره[3]، لا لقدر الحاجة في نفسي ، ولا في نفسك ، ولكن لما أنفذه من بصيرتي فيك ، وقوّاه من معرفتي بك .

ووجدتك ، وقد اضطربت من لفظة ذكرت أنّي ضمّنتها كتابي ، وهي الإلماح والتلويح ، بالمكافأة والتعويض .

ومعاذ الله أن ينطلق بذلك لساني ، أو تجري به يدي ، لأنّ مثله لا يجري

---

١ أبو محمد عبد العزيز بن أحمد المافروخي : ترجمته في حاشية القصة ٤/٥ من النشوار .

٢ حصن مهدي : بلد من نواحي خوزستان، ونهر المسرقان تنحدر منه مياه خوزستان من الأهواز والدورق حتى تنتهي إلى حصن مهدي فتصير هناك نهراً كبيراً ذا عرض وعمق حتى يصب من حصن مهدي إلى البحر (معجم البلدان ٢/٢٧٩) .

٣ في الأصل : صدره .

إلاّ عن ذي عطن ضيّق، إلى ذي باع في المحامد قصير، ولا هذه صورتك ، ولا صورتي .

وإذا كانت [٩٤] الأنفس واحدة ، والأموال مشترّكة ، فأي فائدة لي في أن أتناولك ببعض مالك ، أو أردّ إليك ما هو لك .

فإن تكن الصورة كما يخيّل لي ، فأنت أيّدك الله ، المليم دوني ، وإن كنتَ — بحمد الله ومنّه — من كلّ ما يقع عليه اللوم بعيداً .

وإن تكن الأخرى ، وهبتَ زلّتي لمعذرتي ، فإني بشر غير معصوم ، والخطأ والنسيان جاريان عليّ[١] .

---

١ راجع أخبار أبي محمد عبد العزيز بن أحمد المافروخي ، في القصص ٤/٥ و٤/٧ و ٧/٧١ من النشوار ، وفي معجم الأدباء ١/٧٧ و ٧٨ و ٣/٦٠ .

١٠٦

للوزير المهلبي

في كلّة قصب حرّكتها الريح

أنشدني أبو الفضل محمد بن عبد الله بن المرزبان الكاتب الشيرازي [١] ، قال: أنشدنا أبو محمد المهلبي [٢] في وزارته ، وعمله بين أيدينا ، وقد نصبت له في داره بالأهواز كلّة قصب [٣] ، وحرّكتها الريح .

فاستحسن ذلك ، وقال :

رأيت مرّ الهوا [عليها]   . . . . [٤]
فشمت منها اختلاس لحظ   وخلت فيها وجيب قلب

---

١ أبو الفضل محمد بن عبدالله بن المرزبان الشيرازي الكاتب: ترجمته في حاشية القصة ٢/٦٢ من النشوار .

٢ أبو محمد الحسن بن محمد المهلبي ، وزير معز الدولة : ترجمته في حاشية القصة ١/١ من النشوار .

٣ الكلة (بكسر الكاف) : غشاء رقيق يتوقى به من البعوض، وهذا اسمها في العراق ، وقد تسمى في بلاد عربية أخرى بالناموسية ، وكلة القصب، الكلة التي تتخذ من عيدان القصب .

٤ فراغ في الأصل .

١٠٧

زوّر مناماً فجاء مطابقاً للحقيقة

وحدّثني أبو الفضل [١] ، قال : حدّثني رجل من شيوخ المتصرّفين ببلدنا ، يقال له : عبّاد بن الحريش ، قال :

لما كتب عليّ بن المرزبان ، عمّ أبيك [٢] ، لعمرو بن الليث [٣] ، ورقت حاله عنده ، حتّى قلّده عمالة شيراز [٤] ، صادر المتصرّفين على أموال ألزمهم إيّاها ، وكنت ممّن أخذ خطّه عن العمل الذي كان يليه بثمانين ألف درهم .

قال : فأديت منها أربعين ألف درهم ، ونفدت حيلتي وحالي ، ولم يبقَ لي في الدنيا إلاّ داري التي أسكنها ، ولا قدر لثمنها ، فيما بقي عليّ ، فلم أدر ما أعمل .

وفكّرت فوجدت عليّ بن المرزبان ، رجلاً سليم الصدر ، فعملت رؤيا ، وأجمعت رأيي على أن ألقاه بها ، وأجعلها سبباً لشكوى حالي ، والتوصّل إلى الخلاص .

قال : فجلست ، وعملت الرؤيا ، وحفظتها ، واحتلت خمسين درهماً ، وبكّرت من الغد ، قبل طلوع الفجر ، فدققت بابه .

---

١ أبو الفضل محمد بن عبد الله بن المرزبان ، الكاتب الشيرازي : ترجمته في حاشية القصة ٦٢/٢ من النشوار .

٢ عم عبد الله بن المرزبان ، والد أبي الفضل .

٣ عمرو بن الليث الصفار ، ثاني أمراء الدولة الصفارية : ترجمته في حاشية القصة ٦٦/٣ من النشوار .

٤ شيراز : قصبة بلاد فارس ، عذبة الماء ، صحيحة الهواء ، كثيرة الخيرات (معجم البلدان ٣٤٨/٣) .

[فصاح بي خادم] كان له يجري مجرى حاجب ، من خلف الباب : من أنت ؟

قلت : عبّاد بن الحريش .

قال : في هذا الوقت ؟

قلت : نعم .

ففتح لي، فدخلت ، وشكوت حالي ، وقلت : هذه خمسون درهماً، لا أملك غيرها ، فخذها ، وأدخلني إليه قبل تكاثر الناس عليه ، فإن فرّج الله عنّي ، فعلت بك وصنعت .

قال : فدخل ، واستأذن لي ، وتلطّف حتى أدخلني إليه ، وهو يستاك .

فقال : ما جاء بك في هذا الوقت ؟

فدعوت له [٩٥] ، وقلت : بشارة رأيتها في النوم البارحة .

فقال : وما هي ؟

فقلت : رأيتك كأنك تجيء إلى شيراز ، من حضرة الأمير ، وتحتك فرس أشهب عظيم ، لم ير قط أحسن منه ، وعليك السواد[1]، وقلنسوة الأمير على رأسك ، وفي يدك خاتمه ، وحواليك مائة ألف إنسان من فارسٍ وراجلٍ ، وقد تلقّاك أمير البلد ، فترجّل لك ، وأنت تجتاز ، وطريقك كلّه أخضر منوّر مزهر ، والناس يقولون : إنّ الأمير قد استخلفه على جميع أمره .

قال : وقصصت الرؤيا ، وهذا معناها .

فقال : خيراً رأيت ، وخيراً يكون إن شاء الله ، فما تريد ؟

قال : فشكوت حالي ، وذكرت أمري .

---

١ السواد : شعار العباسيين ، اتخذه العباسيون شعاراً لهم ضداً للأمويين الذين كان شعارهم البياض ، وقوله هنا : عليك السواد ، يعني : أنه قد ورد وعليه الخلع .

فقال : أنظر لك بعشرين ألف درهم ، وتؤدّي عشرين ألف درهم .

قال : فحلفت بالطلاق ، أنّه لم يبقَ لي إلاّ مسكني ، وبكيت ، وقبّلت يده ، واضطربت بحضرته ، فرحمني ، وكتب لي إلى الديوان ، بإسقاط ذلك عنّي ، وانصرفت .

ولم تمضِ ، إلاّ شهور ، حتى كتب عمرو بن الليث ، إلى عليّ بن المرزبان ، يستدعيه ، ويأمره بحمل ما اجتمع له من الأموال ، وكان قد جمع له ، ما لم يسمع قط باجتماع مثله في وقت واحد ، من أموال فارس ، فإنّه جمع له ستين ألف ألف درهم .

قال : فحملها إلى سابور[1] ، وخرج ، وتلقّاه عمرو بن الليث ، بجميع قوّاده ، وأهل عسكره .

وهاله عظم ذلك المال ، فاستخلفه على فارس ، وأعمالها ، حرباً وخراجاً ، وفوّض إليه الأمور كلّها ، وأذن إليه في الحلّ والعقد بغير استئمار ، وخلع عليه سواداً له ، وحمله على فرس أشهب عظيم الخلقة ، كان يعظمه عمرو ، ويكثر ركوبه ، ودفع إليه خاتمه ، وردّه إلى فارس .

قال : فوافاها في زمن الربيع ، ولم يحل الحول على قصّتي معه .

فخرج أمير البلد – وقد صار من قِبَله – ليستقبله ، وخرج الناس ، فتلقّوه على ثلاثين فرسخاً ، وأكثر ، وخرجت فتلقيته على العطفة التي في طريق خراسان ، وبينها وبين البلد ، نصف فرسخ .

قال : فوافى وهو على الصفة التي ذكرتها له في المنام الموضوع ، والدنيا على الحقيقة خضراء بآثار الربيع وزهره ، وحوله أكثر من مائة ألف إنسان [٩٦] ، وعليه قلنسوة عمرو بن الليث ، وفي يده خاتمه ، وعليه السواد ،

---

[1] سابور : مدينة بينها وبين شيراز خمسة وعشرون فرسخاً (معجم البلدان ٣/٥) .

وتحته الفرس الأشهب ، وقد تلقّاه أمير البلد ، فترجّل له .

قال : فحين رأيته ، ترجّلت ، ودعوت له ، فلما رآني تبسّم ، وأخذ بيدي ، وأحفى السؤال بي[1] ، ثم تفرّق الجيش بين يديه ، فلحقته إلى البلد ، فلم أستطع القرب منه ، لازدحام الدواب ، فانصرفت .

وباكرته من غدٍ ، في مثل ذلك الوقت ، الذي كنت جئته ليلة الرؤيا .

فقال لي الحاجب : من أنت ؟

فقلت : عبّاد .

فقال : ادخل ، واستأذَنَ .

فدخلت وهو يستاك، فضحك إليّ ، وقال: قد صحّت رؤياك يا عبّاد .

فقلت : الحمد لله .

فقال : لا تبرح من الدار ، حتّى أنظر في أمرك .

قال : وكان بأهله باراً ، ورسمه إذا وَلِيَ عملاً ، أن لا ينظر في شيء من أمر نفسه ، حتّى ينظر في أمر أهله ، فيصرّف من يصلح منهم للتصرّف ، أو يبرّه ، وإذا فرغ منهم ، عدل إلى الأخص، فالأخصّ ، من حاشيته ، فإذا فرغ من ذلك ، نظر في أمر نفسه .

قال : فجلست في الدار إلى قرب العصر ، وهو ينظر في أمر أهله ، والتوقيعات تخرج ، بالصلات ، والأرزاق ، وكتب التقليدات ، إلى أن صاح الحاجب : عبّاد بن الحريش ، فقمت إليه .

فقال : إنّي ما نظرت في أمر أحد ، غير أمر أهلي ، فلما فرغت منهم ، بدأت بك قبل الناس كلّهم ، فاحتكم ، ما تريد ؟

فقلت : ترد عليّ المال الذي أدّيته ، وتقلّدني العمل الذي صرفتني عنه .

---

١ في الأصل : وأدنى .

قال : فوقّع لي بردّ المال، وتقليد العمل ، وقال : امضِ ، فقد أوغرت لك العمل [1] ، فخذ ارتفاعه كلّه .

قال : وكان يستدعيني في كل مديدة ، ويحاسبني ، ولا يأخذ منّي شيئاً ، وإنّما يكتب لي روزات [2] من مال العمل ، ويصلح حسبانات ، ويقبلها ، ويخلّدها الديوان ، وأرجع إلى العمل .

وكنت كذلك إلى أن زالت أيّامه ، فرجعت إلى شيراز ، وقد اجتمع لي مال عظيم ، صودرت منه على شيء يسير ، وجلست في بيتي [٩٧] ، وعقدت نعمة بالمال ، ولم أطلب تصرّفاً إلى الآن .

---

١ أوغر له العمل : يعني أباح له أن يستولي على أصل الارتفاع .

٢ روزات : وصولات .

١٠٨
من مكارم البرامكة

حدّثني أبو الفضل[١] ، قال : حدّثني أبو الحسن ، ثابت بن سنان الحرّاني الطبيب[٢] :

أنّه رأى رقعة يتواردونها ، بخطّ جبريل بن بختيشوع المتطبّب[٣] ، فيها ثَبَتُ ما وصل إليه ، من يحيى بن خالد البرمكي[٤] ، وبنيه[٥] ، وجواريه ، وأولاده ، من ضيعة ، وعقار ، ومال ، وغير ذلك ، يحتوي على سبعين ألف ألف درهم ، وتفصيل ذلك ، شيئاً شيئاً، وأنّهم يحفظونها للعجب والاعتبار .

قال : فاستهولت ذلك ، وانصرفت ، فحدّثت بذلك ، بعض الرؤساء ببغداد ، وكان بحضرته أبو الحسن علي بن هارون المنجم[٦] ، فقال : وأيّ شيء تتعجّب من هذا ؟

---

١ أبو الفضل محمد بن عبد الله بن المرزبان ، الكاتب الشيرازي : ترجمته في حاشية القصة ٦٢/٢ من النشوار .

٢ أبو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الحراني الصابي الطبيب : صاحب التاريخ ، خدم الراضي ، ثم المتقي ، والمستكفي ، والمطيع ، وكان يتولى تدبير المارستان ببغداد ، وهو خال هلال بن المحسن الصابي صاحب التاريخ ، توفي سنة ٣٦٥ (الأعلام ٨١/٢ وتاريخ الحكماء ١٠٩) .

٣ جبريل بن بختيشوع المتطبب : جبريل بن بختيشوع بن جرجيس بن بختيشوع النيسابوري ، صاحب التآليف في الطب ، كان عالي المنزلة عند الرشيد، وعند خلفه الأمين ، ولما ولي المأمون ، أودعه السجن حيناً ، ثم أطلقه وأعلى منزلته ، توفي سنة ٢١٣ (الأعلام ١٠١/٢) .

٤ أبو الفضل يحيى بن خالد بن برمك ، وزير الرشيد : ترجمته في حاشية القصة ٩٩/٦ من النشوار .

٥ أولاد يحيى البرمكي ، أربعة : الفضل وجعفر ومحمد وموسى .

٦ أبو الحسن علي بن هارون المنجم : ترجمته في حاشية القصة ١٣٢/٣ من النشوار .

حدّثني أبي[1] ، عن أبيه[2] ، قال : كنت بحضرة المتوكل[3] ، في يوم مهرجان[4] ، أو نيروز[5] ، وهو جالس ، والهدايا تحمل إليه ، من كل شيء عظيم ، ظريف مليح ، إلى أن ضربت دبادب[6] الظهر ، وهمّ بالقيام ، فدخل بختيشوع الطبيب[7] ، وهو ابن جبريل بن بختيشوع الأكبر ، فحين رآه المتوكل استدناه جيّداً ، حتّى صار مع سريره ، وأخذ يمازحه ، ويلاعبه ، ويقول : أين هديّة اليوم ؟

فقال له بختيشوع : يا أمير المؤمنين ، أنا رجل نصراني ، لا أعرف هذا اليوم ، فأهدي فيه .

فقال : دع هذا عنك ، ما تأخّرت إلى الآن ، إلاّ أنّك أردت أن تكون هديّتك خير الهدايا ، فيرى فضلها على الهدايا .

---

١ أبو عبد الله هارون بن علي المنجم ، النديم : له عدة تصانيف في الشعر والأدب والأغاني ، توفي ببغداد في السنة ٢٨٨ (الأعلام ٩/٤٣) .

٢ أبو الحسن علي بن يحيى المنجم : نديم المتوكل العباسي ومن بعده من الخلفاء إلى أيام المعتمد ، ترجمته في حاشية القصة ٤/٣٥ من النشوار .

٣ المتوكل : الخليفة العباسي جعفر بن المعتصم : انظر ترجمته في حاشية القصة ١/١٤٢ من النشوار .

٤ يوم المهرجان : عيد من أعياد الفرس، والكلمة فارسية، مهر : محبة ، وكان : متصلة ، فيكون تعريب الكلمة : المحبة المتصلة .

٥ النيروز : ومعناه اليوم الجديد ، وهو عيد الربيع ، وهو أول يوم من أيام السنة الشمسية ، راجع حاشية القصة ١/١٥٧ من النشوار .

٦ الدبداب : صوت الطبل ، راجع حاشية القصة ٤/١٠٤ من النشوار .

٧ بختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع بن جرجيس : الطبيب ، وبختيشوع لفظ سرياني معناه عبد المسيح ، كان أثيراً عند المتوكل العباسي ، خدم الواثق والمتوكل والمستعين والمهتدي والمعتز ، مات ببغداد سنة ٢٥٦ (الأعلام ٢/١٢) .

فقال : ما فكّرت في هذا ، ولا حملت شيئاً .

فقال له : بحياتي عليك .

فضرب بيده إلى كمّه ، فأخرج منه ، مثل الدواة ، معمولاً من عود هندي ، لم ير قط مثله ، كالأبنوس[1] سواداً ، وعليه حلية ذهب محرّق[2] ، لم ير قط أحسن منها عملاً ، ولا من الدواة .

قال : فقدّر المتوكل ، أنّ الهدية هي الدواة ، فاستحسنها .

فقال : لا تعجل يا مولاي ، حتّى ترى ما فيها .

ففتحها ، وأخرج من داخلها ، ملعقة كبيرة محرّقة ، من ياقوتٍ أحمر .

قال : فخطفت أبصارنا ، ودهشنا ، وتحيّرنا .

فبهت المتوكل ، وأبلس[3] ، وسكت ساعة متعجباً، مفكّراً، ثم قال : يا بختيشوع ، والله ، ما رأيت لنفسي ، ولا في خزانتي ، ولا في خزائن آبائي ، ولا سمعت ، ولا بلغني أنّه كان للملوك من بني أميّة ، ولا لملوك العجم مثلها ، فمن أين لك هذه ؟ [٩٨] .

فقال : الناس لا يطالبون بمثل هذا ، وقد أهديت إليك ، ما قد اعترفت بأنّك لم ترَ ، ولم تسمع ، بمثله حسناً ، فليس لك مسألتي عن غيره .

قال : بحياتي أخبرني .

فامتنع ، إلى أن كرّر عليه إحلافه بحياته ، دفعات ، وهو يمتنع .

فقال : ويحك ، أحلّفك بحياتي ، دفعات ، أن تحدّثني حديثاً ، فتمتنع ، وقد بذلت لي ما هو أجلّ من كلّ شيء .

قال : فقال له : نعم يا مولاي ، كنت حَدَثاً ، أصحب أبي جبريل

---

١ الأبنوس : خشب ثمين أسود اللون صلب العود للغاية ، يعيش شجره في البلدان الحارة .

٢ المحرق : هو المبرود بالمبرد .

٣ أبلس : انكسر وتحير .

ابن بختيشوع إلى دور البرامكة ، وهو إذ ذاك طبيبهم ، لا يعرفون خدمة طبيب غيره ، ولا يثقون برأي غيره ، ويدخل إلى حرمهم ، ولا يستتر أكثرهم عنه .

قال : فصحبته يوماً، وقد دخل إلى يحيى بن خالد، فلما خرج من عنده، عدل به الخادم ، إلى حجرة دنانير [1] جاريته ، فدخلت معه ، وأفضينا إلى ستارة منصوبة ، في صدر مجلس عظيم ، وخلفها الجارية ، فشكت إليه شيئاً وجدته ، فأشار عليها بالفصد [2] ، وكان لا يفصد بيده ، وإنّما يحمل معه من يفصد من تلامذته ، ورسم الفصد عليهم خمسمائة دينار .

قال : فندبني ذلك اليوم للفصد ، وأخرجت يدها من وراء الستارة ، ففصدتها ، وحملت إليّ في الحال خمسمائة دينار عيناً ، وأخذتها ، وجلس أبي إلى أن يحمل إليها شراب تشربه بحضرته ، ورمّان أشار عليها باستعماله .

قال : فحمل ذلك في صينية عظيمة مغطّاة ، وتناولت منه ما أرادت ، وخرج الظرف مكشوفاً ، فرآه أبي ، فقال للخادم : قدّمه إليّ ، فقدّمه إليه ، فكان في جملته جامة فيها رمّان ، وفيها هذه الملعقة ، فحين رآها أبي قال : والله ما رأيت مثل هذه الملعقة ، ولا الجامة .

قال : فقالت له دنانير : بحياتي عليك ، يا جبريل ، خذها .

قال : ففعل ، وقام ينصرف .

---

١ دنانير ، جارية البرامكة : مغنية نسب إليها كتاب في الأغاني ، رباها وخرجها رجل من أهل المدينة ، واشتراها يحيى بن خالد الوزير البرمكي ، فنبغت في بيته ، وكان الرشيد معجباً بها ، فلما نكب البرامكة ، أمرها الرشيد بالغناء في حضرته ، فأبت ، فأمر بضربها ، ثم رق لها فأطلقها ، وخطبت للزواج فرفضت ، وظلت وفية للبرامكة حتى ماتت سنة ٢١٠ (الأعلام ٢١/٣) .

٢ الفصد : شق العرق واستخراج الدم .

فقالت له : تمضي ، ففي أيّ شيء تدع هذه الملعقة ؟

قال : لا أدري .

قالت : أهدي إليك غلافها .

فقال : إن تفضّلتِ .

فقالت : هاتم[1] تلك الدواة .

فجاءوا بهذه الدواة ، فوضع أبي فيها الملعقة ، وحملها ، والجامة في كمه ، وانصرفنا .

فقال له المتوكل : جامة تكون هذه ملعقتها ، يجب أن تكون عظيمة القدر ، فبحياتي ، ما كان من أمر الجامة ؟

فاضطرب [٩٩] ، وامتنع امتناعاً عظيماً ، إلى أن أحلفه مراراً بحياته .

فقال : أعلم ، إذا قلت أيّ شيء كانت ، طالبتني بها ، فدعني أمضي ، وأجيء بها ، وأتخلّص منك دفعة واحدة .

فقال : افعل .

قال : ومضى ، فلم يهن المتوكل الجلوس ، ولم يأخذه القرار ، حتّى جاء بختيشوع ، وأخرج من كمّه جامة ، على قدر الزبديّة[2] ، أو الجامة اللطيفة ، من ياقوت أصفر ، فوضعها بين يديه .

---

١ هاتم : تعبير بغدادي في هاتوا .

٢ الزبدية : وجمعها زبادي : صحفة صغيرة من الخزف .

١٠٩

يوسف بن وجيه صاحب عمان

وحدّثني أبو الفضل[١] ، قال :

كنت مقيماً بسيراف[٢] ، أتصرّف ، واجتاز بها يوسف بن وجيه[٣] ، يريد البصرة ، ومحاربة البريدي[٤] ، وضامنها[٥] — إذ ذاك — ابن مكتوم الشيرازي ، وهو مدبّرها حرباً وخراجاً[٦] من قبل الأمير عليّ بن بويه[٧] ، فتلقّاه ، وخدمه خدمة ارتضاها ، ونزل بظاهر البلد ، فحمل إليه ابن مكتوم ، كلّ شيء من الألطاف والهدايا .

قال : فقال له يوماً : والله ، ما وردت هذا البلد ، إلاّ وفي نفسي الاجتراء عليه ، وتخليف جيش به ، ثم الخروج إلى البصرة ، ولقد كاتبني جميع وجوه البلد في ذلك ، وأشاروا عليّ بهذا ، ولكني قد استحيت منك أن أفعل ، فإنّك بدأتني بالخدمة ، وأنا في أطراف عملي ، وليس بكثير أن أهب لك هذا البلد .

قال : وقد كان بلغنا أنّ أهل البلد كاتبوه بذلك ، ولم نتحقّق هذا ، ولمّا قرب ، أشار أهل البلد ، على ابن مكتوم ، بالانصراف ، وأن لا يحضر ،

---

١ أبو الفضل محمد بن عبد الله بن المرزبان الكاتب الشيرازي : ترجمته في حاشية القصة ٢/٦٢ من النشوار .

٢ سيراف : راجع حاشية القصة ١/٥٧ من النشوار .

٣ يوسف بن وجيه ، صاحب عمان : ترجمته في حاشية القصة ٢/٨٤ من النشوار .

٤ تجارب الأمم ٢/٤٦ .

٥ يعني ضامن سيراف .

٦ حرباً وخراجاً : يعني الإدارة والجباية .

٧ الأمير عماد الدولة أبو الحسن علي بن بويه : ترجمته في حاشية القصة ١/١٧٤ من النشوار .

وخوّفوه أن يقبض عليه ، وأرادوا بذلك أن يتمّ التدبير لهم ، في تملّك يوسف ابن وجيه البلد .

فلم يجسر ابن مكتوم على ذلك ، وقال : لأن يقبض عليّ ، وليس لي إليه ذنب يقتلني به ، أحبّ إليّ من أن أصيّر لنفسي ذنباً عند عليّ بن بويه ، فيقتلني به ، فإنّه يظن أنّي واطأت على خروج البلد من يده لأكسر مال الضمان ، ويقول لي : كان يجب الصبر ، إلى أن يدخل ، فيقبض عليك ، أو تجيئني بعد واقعة يخدش فيها رَجُلٌ ، ولم يبرح ، وأخلد إلى خدمته [الخدمة] العظيمة ، فنفعه ذلك ، وتخلّص .

قال : فلما كشف له يوسف ، ما كان في نفسه ، دعا له ، وشكره ، وتذلّل .

فقال له يوسف : وقد كنت عملت أن لا أشرب ، إلى أن أفتح هذا البلد الذي أقصده ، ولكن قد اشتقت إلى الشرب ، شهوة لأن أشرب [١٠٠] معك ، لما رأيته من ظرفك وفتوّتك ، فتعود العشيّة إلى الشرب ، ومعك من تأنس به من أصحابك .

قال : فانصرف ، واختار جماعة من وجوه البلد ، ووجوه المتصرّفين [1] ، كنت واحداً منهم .

وجاءنا رسول يوسف بعد الظهر ، فركب ، ونحن معه ، حتى أوصلنا إلى حضرته ، فأجلسنا في فازة بهنسي [2] لم أرَ قبلها مثلها حسناً ، في صدرها سدّة [3] أبنوس مضبّبة بالذهب ، ومساميرها ذهب ، وعليها دست ديباج

---

١ المتصرفون : الموظفون .

٢ فازة بهنسي : الفازة مظلة بعمودين ، وبهنسي : نسبة إلى البهنسا ، وهي مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربي النيل (معجم البلدان ١/٧٧١) .

٣ السدة ، وجمعها سدد : ما يجلس عليه كالمنبر .

فاخر جداً ، وبين يديها بساط جهرمي[1] فوقه حصير واسع ، كبير ، عظيم ، طبرانيّ[2] ، ومخاد ، وصدر منه[3] .

وخرج يوسف ، فجلس ، وجلسنا معه ، وأحضرت مائدة فضّة بزرافين[4] ، تسع عشرين نفساً ، فجلسنا عليها ، ونقل علينا من الطعام ، ما لم أرَ مثله حسناً ، في أواني كلها صينيّ .

قال : وتأملت ، فإذا خلف كلّ واحد منّا ، غلام صغير ، مليح ، قائم بشرابي ذهب ، وكوز بلّور فيه ماء ، فأكلنا .

فلما تمّ أكلنا ، نهض يوسف ، فخرج من وراء الفازة ، إلى موضع ، وجاءنا فرّاشون بعددنا ، بطساس وأباريق فضّة ، ومجامع فضة ، فغسلنا أيدينا دفعة واحدة .

ومضى أولئك الغلمان الأصاغر ، وجاء غيرهم بعددنا ، ومعهم المرايا المحلاّة الثقيلة ، والمضارب البلّور ، والمداخن[5] المحلاّة الحسنة ، فتبخّرنا دفعة [واحدة] .

وتركنا ساعة في موضعنا ، ثم استدعينا ، فأدخلنا إلى فازة ألطف من تلك ، ديباج ، وفيها [سدة] صندل محلاّة بفضّة ، فيها دست ديباج ، وحصر

---

١ جهرم : مدينة بفارس يعمل فيها بسط فاخرة (معجم البلدان ٢/١٦٧) .

٢ حصير طبراني : نسبة إلى طبرية ، بلدة مطلة على بحيرة طبرية ، وجبل الطور مطل عليها وهي من أعمال الأردن في طرف الغور ، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام (معجم البلدان ٣/٥٠٩) ويجتمع في الفرش الطبري فضيلتان : في الصيف برد جسمه ، ومجانسة لونه للون اللجة الخضراء ، فالنفس تسكن إليه من جهتين (البصائر والذخائر ٣/١/١١٠) .

٣ المخاد والصدر : انظر حاشية القصة رقم ٨/١٧ من النشوار .

٤ الزرافين ، واحدتها زرفين : فارسية ، تعني حلقة الباب ، ويقال للفتاة التي ترتب شعرها حلقات إنها قد زرفنت شعرها (الألفاظ الفارسية ٧٩ والمنجد) .

٥ المداخن : المباخر .

طبرية ، مثل تلك الحصر ، وفيها نحو ثلاثين مطاولة [1] ، مسبكة ، ذهب كلّها ، عليها تماثيل العنبر ، على هيأة الأترج والبطّيخ ، والدستنبو [2] ، وغير ذلك .

قال : فدهشنا ، وتحيّرنا ، وإذا في أربع جوانب تلك المطاولات ، أربع أجاجين [3] بيض ، كبار ، عظام ، كل واحدة كالقَدَس [4] الكبير ، والجميع مملوءة ماء ورد ، وفيه أمر عظيم من تماثيل الكافور ، وغلمان قيام بعددنا ، يروّحون ، وغلمان أخر بعددنا ، بأيديهم مناديل الشراب ، وبين يدي كلّ واحد ، صينيّة ذهب ، ومغسل ، ومركن [5] ذهب [١٠١] ، وخرداذي [6] بلّور ، وقدح بلّور ، وكوز بلور ، والجميع فارغ .

قال : فأمر يوسف ، بإخراج الأنبذة ، في مدافات [7] بلّور ، تسمى بالفارسية : جاشنكير ، فأخرجت عدّة أنبذة من العنب ، ممّا يعمل في جبل عمان ، لم نظن أنّه يكون في تلك [النواحي] بحسنها وطيبها .

فاختار ابن مكتوم ، نبيذاً منها ، فملئت الظروف منه ، وقام على رأس كل واحد منّا ، غلام يسقيه ، ويتفقّد نُقْلَه [8] ، ويتفرّد بخدمته ، إلى أن شربنا أقداحاً .

ثم أجرى يوسف ، حديث عليّ بن بويه ، فقال لابن مكتوم ، وقد خرج من حديث إلى حديث : أحبّ أن تخبرني عن أخي أبي الحسن عليّ بن بويه ،

---

١ مطاولة : الصحن أو الصينية المستطيلة .

٢ الدستنبو : راجع حاشية القصة ١/١٦٢ من النشوار .

٣ أجاجين ، مفردها إجانة : وهي الإناء الكبير ذو الحافة المرتفعة .

٤ القدس : السطل .

٥ المركن : إناء كالاجانة تغسل فيه الأشياء .

٦ خرداذي : إناء أو قنينة يودع فيها الخمر ، والكلمة فارسية تعني الخمر (الألفاظ الفارسية ٥٣) .

٧ المدافات : داف : خلط ، والمداف هو القدح الذي يخلط به الشراب بالماء ويشرب .

٨ النقل : ما يؤكل مع الشراب ، راجع حاشية القصة ١/١١٣ و ٣/٦٩ من النشوار .

أيّ شيء اعتقد في إمارته هذه ؟

قال : إنّ له ألفي غلام أتراك ، وأربعة آلاف بغل ، وألفي جمل .

قال : وأخذ يكثر عليه من هذا .

فقال له : ويحك ، هؤلاء عيال ، وسبب خَرْج ، لم أسأل عن هذا ، إنّما سألت أيّ شيء أدّخر ، ممّا يتنافس فيه الملوك .

قال : فقال له : وصل من الكنوز العتيقة ، والأموال التي استخرجها إلى تسعين ألف ألف درهم .

قال : فقال : ولا هذا أردت ، إنّما أردت الذخائر والجواهر ، وما يخفّ ، وما يحمله الملوك معهم ، محملاً لطيفاً ، إذا حزبهم أمر .

قال : فقال ابن مكتوم : لا أعلم ، إلاّ أنّي سمعت ، أنّ الجبل الذي كان للمقتدر ، قد وصل إليه .

فقال : وما الجبل ؟

قال : فصّ ياقوت أحمر ، فيه خمسة مثاقيل ، إلاّ أنّي ابتعت له جوهرتين ، بمائة وعشرين ألف درهم .

فقال : قد أنست بك ، واقتضى أن أريك ، ما صحبني في هذه السفرة ، من هذا الجنس ، إن نشطتَ لذلك .

قال : فشكره ، ودعا له ، وقال : إي والله ، أنشط لذلك ، وأتشرّف به .

قال : فدعا بغلام ، وقال : امضِ ، فهات الربعة [1] الفلانية .

قال : فجاءه بربعة كبيرة .

قال : وكانت بين يديه خرائط [2] خراسانية ، مطروحة في المجلس ،

---

١ الربعة : الصندوق المربع .

٢ الخريطة : وعاء من الجلد أو غيره يشد على ما فيه .

فاستخرج من واحدة منهنّ ، مفتاح ذهب ، وتأمّل أوّلاً ، ختم الربعة ، ثم فتحها بالمفتاح ، وأخرج إلينا قضيباً عليه خواتيم ، نحو خمسمائة خاتم ، يواقيت ، وفيروزج ، وعقيق ، لم نرَ مثله ، فأرانا إيّاه، وقال : [١٠٢] ليس هذا بشيء ، فدعوه .

قال : فتركناه ، ثم أخرج إلينا عقداً ، فيه ثلاث وتسعون حبّة جوهر ، كل واحدة منها ، على قدر بيض الحيّة والعصفور ، فدهشنا من عظمها .

فقال : إنّ هذا العقد ، في خزانة خالي أحمد بن هلال[1] وخزانتي من بعده ، منذ كذا وكذا سنة ، والجوهر إلينا يصل أوّلاً ، ثم يتفرّق من عندنا إلى البلاد ، ونحن مجتهدون ، في أن نجد سبع حبّات تشابه هذا ، فيحصل في العقد مائة حبّة ، فما نقدر على ذلك ، منذ كذا وكذا سنة .

قال : ثم أخرج إلينا فصّاً من الماس ، فلبسه في الحال ، وأدناه من فصّ عقيق كان في يد ابن مكتوم ، فجذبه كما يجذب المغناطيس الحديد ، حتّى تكسّر فصّ ابن مكتوم .

قال : ثم استخرج منديلاً لطيفاً ، فحلّه ، وأخرج قطناً ، ففرّقه بيده ، واستخرج منه شيئاً خطفَ أبصارنا ، وأضاء المجلس له ، حتّى دهشنا ، وسلّمه إلى ابن مكتوم ، وقال : تأمّله .

قال : فتأمّلناه ، فإذا هو ياقوت أحمر ، على كبر الكفّ ، وقدّها من الطول والعرض .

قال : فدهشنا .

فقال يوسف بن وجيه : أين هذا ، يا ابن مكتوم ، من الذي وصفته ؟

قال : فانكسر ابن مكتوم .

---

[1] أحمد بن هلال صاحب عمان : ورد ذكره في كتاب الوزراء ١٧٣ ، وفي القصة ٢٢/٤ من النشوار .

وما زلنا نقلّب تلك الكفّ ، ونشرب عليها ساعة .

قال : ثم أخرج إلينا من الربعة ، حشائش ، ذكر أنّها سموم قاتلة في الحال ، وحشائش ، ذكر أنّها تبرىء من تلك السموم في الحال .

قال : وأخرج أشياء ، هائلة ، طريفة ، لم يعلق بحفظي منها ، إلاّ ما ذكرته ، لدهشتي بما رأيت .

قال : فلما جاء المساء ، جاءنا بشموع عنبر ، فوضعت تتّقد .

قال : وشربنا إلى نصف الليل ، وانصرفنا .

وشخص يوسف إلى البصرة ، وحاربه البريديّ ، فهزمه ، وأفلت في مركب ، وأحرقت باقي مراكبه[1] ، فلم يحب الاجتياز بسيراف ، فتوّه في البحر ، وسلك وسطه ، يريد عمان .

قال : وبلغنا الخبر ، وأنفذ ابن مكتوم ، صاحباً له ، إلى عمان ، يتوجّع له ، ويتعرّف خبره ، وكاتبه على يده .

قال : فدخل صاحبنا إلى عمان ، قبله بأيّام ، ثم وردها يوسف ، فلما وقف على الكتب تذكّر عهد ابن مكتوم ، وذكره بالجميل ، ووهب لصاحبه خمسة آلاف درهم ، وأنفذ إلى ابن مكتوم هديّة قيمتها مائة ألف درهم [١٠٣] تجتمع على طرائف البحار ، وأنفذ إلى كل واحد من الجماعة الذين كانوا حضوراً دعوته مع ابن مكتوم ، عدّة أثواب من صنوف الثياب ، وأفخرها ، وأحسنها ، وكنت ممّن وصل إليه ذلك .

---

١ راجع الحيلة التي تمت على يوسف بن وجيه ، فأدت إلى هزيمته ، في تجارب الأمم ٤٦/٢ .

١١٠

وصيف كامه يحسن إلى أهل قم

حدّثني أبو الفضل[١] ، قال : حدّثنا شيخ كان لنا بفارس ، من أهل قم[٢] ، قال :

ورد إلينا وصيف كامه[٣] ، أميراً على بلدنا ، فتلقّيناه ، فرأينا من فضله ، وعقله ، وجلالة قدره ، كلّ عظيم .

قال : فأقبل علينا بخطاب جميل ، ووعدنا ، ومنّانا ، وعرّفنا رأي السلطان في العدل والإحسان ، ثم أقبل يسأل عن أمور بلدنا ، مسألة عالم به ، ويسأل عن شيوخه ، إلى أن انتهى في السؤال ، إلى رجل ، لم يكن جليلاً ، ولا مشهوراً ، ولا عرفه منّا إلاّ واحد كان في المجلس .

قال : فأقبل يعظّم من أمره ، ويسأل عن معيشته ، وأولاده .

قال : فاسترقعناه .

قال : ثم قال لنا : أحضروني إياه إحضاراً جميلاً ، فإني أكره أن أنفذ إليه من يستدعيه ، فأروّعه .

قال : فأحضرناه ، فحين وقعت عينه عليه ، قام إليه قياماً تاماً ، وأجلسه في الدست معه .

قال : فسقط من أعيننا ، وقلنا جاهل لا محالة .

---

١ أبو الفضل محمد بن عبد الله بن المرزبان الشيرازي الكاتب : ترجمته في حاشية القصة ٦٢/٢ من النشوار .

٢ قم : مدينة مستحدثة ، بينها وبين الري مفازة ، وآبارها عذبة ، وسراديبها في نهاية الطيب ، (معجم البلدان ١٧٥/٤) .

٣ وصيف كامه ، القائد الديلمي : ترجمته في حاشية القصة ٥٦/٨ من النشوار .

قال : ثم أقبل عليه ، يسأله ، عن زوجته ، وبناته ، وبنيه ، والشيخ يجيب جواب ضجر ، باهت ، معظّم لما عمله .

فقال له : أحسبك قد نسيتني ؟ وأنكرت معرفتي .

فقال : كيف أنكر الأمير – أيّده الله – مع عظمه وجلالته ؟

فقال له : دع هذا ، أتعرفني جيداً ؟

قال : لا .

قال : أنا مملوكك وصيف .

ثم أقبل علينا فقال : يا مشايخ قم ، أنا رجل من الديلم ، كنت سبيت في وقت كذا وكذا ، في الغزاة التي غزاهم فيها فلان الأمير ، وكان سنّي إذ ذاك عشر سنين أو نحوها .

فحملت إلى قزوين ، فاتّفق أنّ هذا الشيخ كان بها ، فاشتراني ، وحملني إلى قم ، وأسلمني مع ابنه في الكتّاب ، وأجراني مجراه ، في حسن التربية ، وفعل بي وصنع ، وجعل يعدّد له ما يذكره ، وأنّه أحسن ملكته ، حتى إنّه ما تأذى منه قط ، ولا ضربوه ، ولا شتموه ، وإنّهم كانوا يكسونه ، كما يكسون ابنهم ، ويطعمونه كما يطعمونه .

ولم أزل معهم في أحسن عشرة ، إلى أن بلغت ، وكانوا يهبون لي الدراهم لشهواتي [١٠٤] ، ويعطوني أكثر ممّا أحتاج إليه .

وكنت – مذ كنت صبياً – كلما وقع بيدي شيء ، جمعته عند بقّال في المحلّة ، يعرف بفلان .

قال : ثم سأل عنه ، فقيل : هو باقٍ .

فلما بلغت واشتددت ، طلبت السلاح ، وعملت به ، ومولاي – مع هذا – يشتري لي كل ما أريده ، ويمكنني[1] من شهواتي ، ويحسن إليّ ،

---

[1] في الأصل : ويكفني ، والتصحيح من الدكتور مصطفى جواد .

ولا يعترض في شيء أريده عليّ .

قال : واتفق ، أنّ بعض الجند رآني ، فقال : هل لك في أن تخرج معي إلى خراسان ، فأركبك الدوابّ ، وأفعل بك ، وأصنع .

فقلت : أصحبك ، على شرط أن لا أكون مملوكك ، ولا تتملّكني ، ولكن أشتري لنفسي دابّة ، وسلاحاً ، وأتبعك غلاماً لك ، مالكاً لنفسي ، فمتى رأيت منك ما أكره ، فارقتك ، ولم يكن لك الاعتراض عليّ .

فقال : افعل .

قال : فجئت إلى البقّال ، فحاسبته ، وكان قد اجتمع لي عنده شيء كثير ، فأخذته ، واشتريت منه دابّة وسلاحاً ، وأخذت اليك[1] ، ومعي دراهم ، وصحبت الجندي ، وأبقت من مولاي هذا .

ومضيت إلى خراسان بأسرها ، وتقلّبت بي الأمور ، وترقّت حالي مع الأيّام ، حتى بلغت هذا المبلغ ، وأنا في رقّ هذا الشيخ ، وأنا أسألكم الآن ، مسألته أن يبيعني نفسي .

قال : فأكبر الرجل ذلك ، وقال : أنا عبد الأمير ، والأمير حرّ لوجه الله ، وأتجمّل بولائه ، وأفتخر أنا وعقبي بذلك .

قال : فقال : يا غلام ، هات ثلاث بدر[2] .

وأحضرَتْ ، وصبّ المال ، وسلّمه إلى الشيخ ، ثم استدعى له من الثياب ، والدواب ، والبغال ، والطيب ، والآلات ، ما تزيد قيمته على قدر المال .

ثم استدعى ابنه ، فأحضر ، وأكرمه ، وتطاول له[3] ، ووهب له عشرة آلاف درهم ، وثياباً كثيرة ، ودواب ، وبغالاً .

---

١ كذا في الأصل ، ولم أفهم معناها .

٢ البدرة : عشرة آلاف درهم .

٣ تطاول له : يعني هم بالقيام له ، لاحظ أنه في أول الحكاية قام للأب قياماً تاماً .

واستدعى البقال ، ووهب له خمسمائة دينار ، وثياباً كثيرة .

قال : ثم أنفذ هدايا ، إلى بنات الشيخ ، وزوجته ، وعيال البقّال .

قال : ثم قال للشيخ : يا فلان ، انبسط في هذا السلطان الذي قد رزقك الله [إياه] ، انبساط من يعلم أنّ الأمير مولاه ، واعلم بأنّك لا تحلّ شيئاً فأعقده ، ولا تعقد شيئاً فأحلّه .

قال : ثم التفت إلينا ، وقال : يا مشايخ قم ، أنتم سادتي ، وشيوخي ، وما على الأرض ، أهل بلد ، أحبّ إليّ منكم ، ولا أوجب حقاً [١٠٥] منكم، فانبسطوا في حوائجكم ، انبساط الشريك الذي لا فرق بيني وبينه، إلاّ فيما حظرته الديانة ، وليس بيني وبينكم فرق ، إلاّ في ثلاث : طاعة السلطان ، وصيانة الحرم ، ومخالفتكم في الرفض، فإنّي قد طوّفت الآفاق، وسلكت الجبال والبحار ، وبلغت أقاصي المشرق والمغرب ، فما رأيت على دينكم أحداً غيركم ، ومحال أن يجتمع الناس كلهم على ضلالة ، وتكونوا أنتم من بين أهل الآفاق على حقّ .

قال : ثم سأل كل واحد منّا ، عن حوائجه ، ونظر إليه فيها بطرف ، ونظر للشيخ بضعف ما نظر به لأجلنا .

قال : فخرجنا من عنده ، وقد نبل في عيوننا نبلاً شديداً ، وانقلبت المواكب إلى باب الشيخ ، فأقبل الناس إليه في الحوائج ، وإلى ابنه ، فصارا رئيسي البلد ، ولم يكن وصيف يردّهما في شيء يسألانه من قليل ولا كثير ، إلى أن خرج عن قم [١] .

---

١ كان وصيف كامه في السنة ٢٨٥ من قواد بدر مولى المعتضد (الطبري ٦٧/١٠) ، وفي السنة ٢٩٨ وجهه المقتدر ، مع جماعة من القواد ، لحرب سبكرى غلام عمرو بن الليث الصفار ، فانتصر وصيف ، وفر سبكرى إلى أحمد بن إسماعيل الساماني (الطبري ١٤٤/١٠ وتجارب الأمم ١٩/١) .

١١١

وصيف كامه يعين عاملا على فارس

قال : وحدّثني أبو الهذيل ، أنّ وصيفاً لما ولي فارس ، أقام بشيراز ، وكان يتواضع للناس ، تواضعاً شديداً ، ويحسن السيرة ، ويتحبّب إلى العامّة جدّاً ، حتى كان يعود مرضاهم ، ويشهد جنائزهم .

قالوا : وما رأينا أميراً أعقل منه ، ولقد رأيته يوماً ، قد حضر جنازة رجل من السوق ، راكباً دابّة ، وعليه درّاعة[1] بيضاء وعمامة ، وليس بين يديه ، إلاّ ثلاثة من الشاكريّة[2] ، فوقف في جملة الناس ، يصلّي على الرجل .

قال : وكان عندنا حائك ، يعرف بفلان ، يظهر الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، قال : فرأيته ، وقصد أن جاء فوقف إلى جنبه [في] الصلاة ، وزاحمه . حتى وضع مرفقه في صدر وصيف ، وزحمه به .

فجاء بعض من كان معه ، ينكر ذلك ، وينحّي الرجل ، فنظر إليه نظراً شزراً ، جزع معه الغلام ، وتنحّى ، وتركه والحائك .

قال : فرأيته ، وقد تجمّع في مكانه ، ووسّع للحائك ، حتى أتمّوا الصلاة .

---

١ الدراعة : راجع حاشية القصة ١/١٠٠ من النشوار .

٢ الشاكري : فارسي ، أصله جاكر : العبد أو المسخر ، وتطلق على التابع .

١١٢

الوزير يتيم في حجر كل كاف

بلغني من جهة وثقت بها ، عن أبي إسحاق إبراهيم بن السريّ الزجّاج [١] ، قال :

حضرت مجلس أبي القاسم عبيد الله بن سليمان [٢] ، وأبو زنبور الكاتب [٣] ، يعذله في إفضائه إلى أبي العبّاس بن الفرات [٤] ، وتفويضه الأمور إليه ، ويخاطبه بكلّ عظيم في ذلك .

إلى أن قال له : الناس يقولون ، أيها الوزير : إنّك يتيم في حِجْر ابن الفرات .

فقال عبيد الله : أنا يتيم ، في حجر كلّ كافٍ .

---

١ أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج : ترجمته في حاشية القصة ١/١٤٦ من النشوار .

٢ الوزير أبو القاسم عبيد الله بن سليمان : ترجمته في حاشية القصة ١/٣٢ من النشوار .

٣ أبو زنبور الحسين بن أحمد بن رستم المادرائي الكاتب : ترجمته في حاشية القصة ١/٢١ من النشوار .

٤ أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات : ترجمته في حاشية القصة ٢/١٤٥ من النشوار .

١١٣
أبو أحمد الشيرازي والصفراء

حدّثني[١] بعض إخواني الثقات عندي [١٠٦] ، قال : حدّثني أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي الكاتب[٢] ، قال :

لما صحبت أبا عليّ بن مقلة[٣] إلى بغداد ، واستكتبني ، كان يتعمّد نفعي بكلّ شيء ، ويوصل إليّ أموالاً جليلة ، فلم أكن أحفظها ، وكانت كلها تخرج عن يدي ، في القيان ، والشراب ، وأتلفها .

قال : فهويت جارية من القيان صفراء ، واشتهر أمري معها ، وأتلفت كلّ كسبي عليها ، حتى بلغ أبا عليّ ، وكان يعذلني ، ويوبخني ، ويمنعني من مفارقة حضرته ، وأن أخلّ بها .

قال : فأفلتّ يوماً من حضرته ، ومضيت إلى بيتي ، وقد حصّلها غلامي ، وأعدّ لي مجلساً بالفاكهة الكثيرة ، والتحايا الظراف ، والشراب الفاخر .

قال : فشربت ليلتي معها ، وخفت أن أخلّ بالوزير ، فحملتني الشهوة للجلوس مع المغنّية ، على أن كتبت إلى الوزير رقعة ، أعتذر فيها من التأخر ، وأقول : إنّ الصّفراء تحركت عليّ ، واضطرب جسمي ، فلم أقدر على المجيء ، وأباكر الخدمة في غد ، وأسأل قبول عذري .

قال : فعاد إليّ الجواب ، بخط أبي عليّ بن مقلة ، في أضعاف السطور ،

---

١ وردت القصة في النشوار مكررة ، راجع القصة ٢/٢٨ من النشوار ، ووردت في معجم الأدباء ٥/٤٤٤ .

٢ أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي الكاتب : ترجمته في حاشية القصة ١/١٧ من النشوار .

٣ أبو علي محمد بن علي بن الحسين الوزير الكاتب : ترجمته في حاشية القصة ١/١٧ من النشوار .

بأجلّ خطاب ، وألطف مداعبة .

وقال فيه : يا هذا ، ظلمت الصفراء ، أنت تحركت على الصفراء ، ليس هي تحركت عليك ، وقد علمت مغزاك في التأخّر ، وبحسب ذلك أجبتك ، وقد بعثت إليك منديلاً مختوماً فاستعن بما فيه .

قال : ففتحت المنديل ، وإذا فيه ، رطل ندّ[1] ، وشيء كثير من الكافور[2] ، والمسك[3] ، ومائتا دينار عيناً[4] .

وأنشدني أبو الحسن عليّ بن هارون بن المنجم ، لنفسه في معنى الصفراء ، بيتين ما سمعت أظرف [منهما] في معناهما ، وهما يقاربان قول ابن مقلة ، وهما :

قال الطبيب وقد تأمل سحنتي　　هذا الفتى أودت به الصفراء
فعجبت منه إذ أصاب وما درى　　قولاً ومعنى ما أراد خطاء

---

١ الند : عود يتبخر به .
٢ الكافور : مادة عطرية تستخرج من شجر الكافور .
٣ المسك : هو الطيب المشهور ، ويستخرج من غزال يسمى غزال المسك .
٤ عيناً : يعني من الذهب .

١١٤

لا يمكن التجلد على عذاب الله

حدّثني بعض البغداديين ، قال :

ضُرِبَ عندنا رجل من أهل العصبيّة، خمسمائة سوط[1] ، في وقت واحد، فلم يتأوّه ، ولم ينطق .

فلما كان بعد أيّام ، حمّ حمّى صعبة ، وضرب عليه معها رأسه[2]، فأقبل يصيح ، كما يصيح البعير ، ويقول : العفو ، العفو ، يكرّرها .

فلما كان من غد ، اجتمع إليه قوم من أهل الحبس ، فقالوا : فضحتنا ، أنت تضرب بالأمس خمسمائة سوط ، فلا تصيح ، تحمّ ساعة من ليلة ، فتصيح ؟

فقال : عذاب الله عزّ وجلّ ، أشدّ العذاب ، وما كنت لأتجلّد عليه .

---

١ السوط : ما يضرب به من جلد مضفور ، أو نحوه ، سمي بذلك لأنه يسوط اللحم بالدم ، أي يخلطهما ، والضرب بالسياط ، هو الجلد ، والذي يضرب بها ، هو الجلاد ، على وزن فعال ، ثم صرف الاسم إلى السياف الذي يقطع العنق ، ثم شمل كل من يقوم بالإعدام بجميع أنواعه ، والمقرعة ، أعم من السوط ، لأنها تجمع كل ما يقرع به ، حتى العصا ، وإنما سميت عصا ، لأن اليد والأصابع تمصو عليها ، أي تجتمع .

٢ ضرب الضرس ، أو الرأس : اشتد وجعه .

١١٥

الغلط الذي لا يتلافى

قال : وأتي [١٠٧] بعض الولاة ، برجلين ، أحدهما قد ثبت عليه الزندقة [١] ، والآخر قد وجب عليه الحدّ [٢] .

فسلّم الوالي الرجلين ، إلى بعض أصحابه ، وقال : اضرب عنق هذا ، — وأومأ إلى الزنديق — واجلد هذا ، كذا وكذا .

قال : فتسلّمهما وخرج .

فوقف المحدود ، وقال : أيها الأمير ، سلّمني إلى غيره ، فإنّ هذا الأمر ، لا آمن فيه الغلط ، [والغلط] فيه لا يتلافى .

قال : فضحك منه الأمير ، واستطابه ، وأمر بإطلاقه ، فأطلق ، وضربت عنق الزنديق .

---

١ الزندقة : تهمة غير واضحة المعالم ، اتخذت في أيام العباسيين سبباً لقتل أو تشريد من يراد قتله أو تشريده ، لسبب من أسباب السياسة ، فقد اتهم بالزندقة كل من أوّل نصاً من نصوص القرآن أو الحديث ، تأويلا منافياً للأصول الاعتقادية ، كما اعتبر زنديقاً ، كل من اتهم بأنه من أتباع ماني ، أو من أصحاب مزدك ، أو من اتهم بالثنوية ، أو بأنه يقول بقدم العالم ، أو بإنكار وجود الله ، أو إنكار الحكمة الإلهية ، أو اتهم بعدم التدين بدين ، أو أنكر الحياة الآخرة ، أو اتهم بالقول بالدهر ، أو بإنكار النبوات ، والكتب المنزلة ، للتفصيل راجع دائرة المعارف الإسلامية ١٠/٤٤٠ – ٤٤٦ .

٢ الحد : في اللغة : المنع أو القيد ، وفي الاصطلاح القرآني : الحدود ، هي القيود التي فرضها الله ، من الأوامر والنواهي الشرعية الواردة في الآيات ، وقد سميت حدوداً لأنها فصلت بين الحلال والحرام ، ولأن العقوبات المفروضة بشأنها تحد ، أي تمنع ، من إتيانها ، للتفصيل راجع دائرة المعارف الإسلامية ٧/٣٢٥ ولسان العرب مادة : حد .

١١٦
المهدي والمتهم بالزندقة

قال : وأتي المهدي بن المنصور ، برجل قد رمي بالزندقة ، فسأله عن ذلك .

فقال الرجل : أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأنّ محمداً صلى الله عليه وسلّم ، رسوله ، وأنّ الإسلام ديني ، عليه أحيا ، وعليه أموت ، وعليه أبعث .

فقال له المهدي : يا عدوّ الله ، إنّما تقول هذا مدافعة عن نفسك ، هاتم السياط ، فأحضرت ، وأمر بضربه ، فضرب ، وهو يقرّره .

فلما أوجعه الضرب ، قال له : يا أمير المؤمنين ، اتّق الله ، فقد حكمت عليّ ، بخلاف حكم الله تعالى ، وخلاف حكم رسوله صلى الله عليه وسلّم ، فإنّ الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلّم ، يقاتل الناس حتّى يقولوا لا إله إلاّ الله ، فإذا قالوها ، عصموا دماءهم ، وأموالهم ، إلاّ بحقهما ، وحسابهم على الله ، وأنت قد جلست تطالبني ، وتضربني ، حتّى أكفر ، فتقتلني .

قال : فخجل المهدي ، وعلم أنّه قد أخطأ .

فأمر بإطلاقه [1] .

---

١ اتخذ المهدي ، من الاتهام بالزندقة ، حجة للتخلص من خصومه السياسيين ، ونصب لذلك عمر الكلوذاني (الكامل لابن الأثير ٦/٧٥) ، ولما توفي في السنة ١٦٧ ولي مكانه حمدويه ، وهو محمد بن عيسى ، من أهل ميسان (الطبري ٨/١٦٧) ، فاتهم صالح بن عبد القدوس بالزندقة ، فتنصل من التهمة ، ولكنه احتج عليه بحجة بالغة التفاهة ، وقتله (وفيات الأعيان ٢/٤٩٢) ، كما اتهم بشار بن برد بالزندقة أيضاً ، فأمر به ، فضرب بالسياط حتى مات (وفيات الأعيان ١/٢٧٣) .

١١٧

شر السلطان يدفع بالساعات

حدّثني عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي علان الأهوازي ، قال : حدّثني جدّي أبو القاسم بن أبي علان[١] ، وقد جرى حديث السلطان ، وأنّ شرّه يدفع بالساعات ، قال :

ورد علينا أبو يوسف البريدي[٢] ، كاتب السيدة[٣] ، يطالبني ، وأبا يحيى الرامهرمزي[٤] ، أن نضمن منه ضياع السيّدة ، وتشدّد علينا ونحن ممتنعون .

إلى أن أخلى لنا مجلسه ، في يوم خميس ، وناظرنا مناظرة طويلة ، وشدّد علينا أمراً عظيماً ، فكدنا معه أن نجيبه ، وكان علينا في ذلك ضرر عظيم .

فقلت لأبي يحيى : يجب أن نجتهد في رفع المجلس اليوم ، لنتفكر إذا انصرفنا ، كيف نعمل .

قال : وكان أبو يوسف محدّثاً طيّباً .

قال : فجرّه أبو يحيى ، إلى المحادثة ، واستلب هو الحديث ، وسكت أبو يحيى .

قال : وكانت عادة أبي يوسف ، في كلامه ، أن يقول في كل قطعة من حديثه : أفهمت ؟

---

١ أبو القاسم عبد الله بن محمد بن مهرويه المعروف بابن أبي علان الأهوازي: راجع أخباره في القصص ١/١١٩ و ١/١٢٠ من النشوار .

٢ أبو يوسف يعقوب بن محمد البريدي: أحد الإخوة الثلاثة آل البريدي ، راجع ترجمته في حاشية القصة ١/١٦٦ من النشوار ، وراجع حاشية القصة ١/٤ ،وحاشية القصة ٧/١٢٢ من النشوار .

٣ السيدة : أم المقتدر .

٤ ورد ذكره في القصة ٢/٨٢ من النشوار .

قال : وكان كلّما قال أبو يوسف ، لأبي يحيى ، أفهمت ؟ يقول أبو يحيى : لا ، فيعيد الحديث ، ويخرج منه إلى حديث آخر .

قال : فلم يزل [١٠٨] كذلك ، حتّى حمي النهار ، وقربت الشمس من موضعنا .

فرجع أبو يوسف إلى حديث الضمان ، ومطالبتنا بالعقد .

فقلت له : إنّه قد حمي النهار ، وهذا لا يتقرّر في ساعة ، ولكن نعود غداً ، ورفقنا به ، فقال : انصرفوا ، فانصرفنا ، واستدعانا من غد ، فكتبنا إليه رقعة ، إنّه يوم الجمعة ، وهو يوم ضيق ، ونحتاج إلى الحمام والصلاة ، وقلّ أمر يبتدأ به يوم الجمعة ، قبل الصلاة ، فيتمّ ، ولكنّا نباكرك يوم السبت ، فاندفع .

واستدعانا يوم السبت ، فصرنا إليه ، وقد وضعنا في نفوسنا ، الإجابة ، لمّا أيسنا من الفرج .

فحين دخولنا إليه ، ورد إليه كتاب ، فقرأه ، وشغل قلبه ، وقال : انصرفوا اليوم ، فانصرفنا ، ورحل بعد ساعة ، لأنّ الكتاب كان يتضمن ذكر صرفه .

فبادر قبل ورود الصارف ، وكفينا أمره .

١١٨

كيفية إغراء العمال بأخذ المرافق

قال [١] : وورد إلينا ، في وقتٍ من الأوقات ، بعض العمّال ، متقلّداً للأهواز ، من قبل السلطان ، وقد أسماه ، ونسيه الذي حدّثني .

قال : فتتبّع رسومنا [٢] ، ورام نقض شيء منها ، وكنت أنا وجماعة من التنّاء [٣] في تلك المطالبة ، وكان فيها ذهاب غلاّتنا في تلك السنة ، لو تمّ علينا ، وذهاب أكثر قيم ضياعنا .

قال : فقالت لي الجماعة : ليس لنا غيرك ، تخلو بهذا الرجل ، وتبذل له مرفقاً [٤] ، وتكفينا إيّاه .

قال : فجئته ، وخلوت به ، وبذلت له مرفقاً جليلاً ، فلم يقبله ، ودخلت عليه بالكلام في غير وجه ، فما لان ، ولا أجاب .

قال : فأيست منه ، وكدت أن أقوم خائباً .

قال : فقلت له في عرض الكلام : يا هذا الرجل ، أنت مصمّم في هذا الأمر على خطأ شديد ، لأنك تظلمنا ، وتزيل رسومنا ، من حيث لا يحمدك السلطان ، ولا تنتفع أنت بذلك .

ومع هذا ، فأخبرني ، هل تأمن أن تكون قد صرفت [٥] ، وكتاب صرفك ،

---

١ الراوي : أبو القاسم عبد الله بن محمد بن مهرويه المعروف بابن أبي علان الأهوازي .

٢ الرسوم : ومفردها رسم ، كل تصرف استمر وأصبح في حكم المقرر ، كالتصرف الحاصل في كيفية احتساب الضرائب ، وفي كيفية استيفائها .

٣ التناء : أهالي البلدة .

٤ المرفق : الرشوة .

٥ الصرف : العزل .

في الطريق ، يرد عليك بعد يومين أو ثلاثة ، فتكون قد أهلكتنا ، وأثمت في أمرنا ، وفاتك هذا المرفق الجليل .

ولعلّنا نحن نكفى ، ويجيء غيرك فلا يطالبنا ، أو يطالبنا فنبذل له هذا المرفق ، فيقبله ، ويكون الضرر ، إنّما يدخل عليك وحدك .

قال : فحين سمع هذا ، اعتقد أنّ لي ببغداد ، من يكاتبني بالأخبار ، وأنّني قد أحسست باختلال أمره ، وأخذ يخاطبني من أين وقع لي أنّه قد وقع هذا ؟

قال : فقوّيته ، وثبتّه في نفسه ، فأجاب إلى أخذ المرفق ، وإزالة المطالبة .

فسلّمت [١٠٩] إليه رقاع الصيارف بالمال ، وأخذت منه حجّة بإزالة المطالبة ، وانصرفت ، وقد بلغت ما أردت .

قال : فسلمت ، فلما كان بعد خمسة أيام ، لا تزيد يوماً ، ورد عليه الكتاب بالصرف .

قال : فدخلت عليه ، فأخذ يشكرني ، ويخبرني بما جرى ، وبما ورد عليه ، فأوهمته أنّي كنت قد قلت له ذلك ، على أصل .

وكفيت تلك المطالبة .

١١٩

يحتال على القواد الأتراك

بسرّ من رأى

حدّثني أبو الطيّب محمد بن أحمد بن عبد المؤمن ، الوكيل على أبواب القضاة بالأهواز ، قال : قال لي بعض المكدّين [١] ببغداد ، عن شيخ لهم أيسر ، وعظمت حالته ، حتّى استغنى عن الشحذ ، فكان يعلّمهم ما يعملون، فسألناه عن سبب نعمته ، فقال :

كنت تعلمت السريانية ، حتّى كنت أقرأ كتبهم التي يصلّون بها .

ثم لبست زيّ راهب ، وخرجت إلى سرّ من رأى ، وبها قوّاد الأتراك، فاستأذنت على أحدهم ، فأدخلت .

فقلت له : أنا فلان الراهب ، صاحب العُمْر الفلاني [٢] ، وذكرت عمراً بعيداً بالشام ، وأنا راهب فيه منذ ثلاثين سنة .

وكنت نائماً ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلّم ، وكأنّه قد دخل إلى عُمْري ، فدعاني إلى الإسلام ، فأجبته .

فقال لي : امض إلى فلان القائد ، حتّى يأخذ عليك الإسلام ، فإنّه من أهل الجنة ، فجئت لأسلم على يديك .

قال : ففرح التركي فرحاً عظيماً شديداً ، ولم يحسن أن يأخذ عليّ الإسلام، فتعتع في كلامه ، وقطعت الزنّار وأسلمت بحضرته .

قال : فوصلني ما قيمته خمسة آلاف درهم ، من الدراهم ، والثياب ، وغيرها وعدت إلى منزلي .

---

١ المكدي : الشحاذ .

٢ العمر : الدير .

فلما كان من غد ، بكّرت إلى قائد منهم ، بزيّ الرهبان ، وقلت له ، كما قلت للأوّل ، وأعطاني أكثر من ذلك ، حتّى طفت على جماعة منهم ، فحصل لي من جهتهم أكثر من خمسين ألف درهم .

فلما كان في بعض تلك الأيّام ، صرت إلى أحدهم ، واتّفق أنّه كانت عنده دعوة ، فيها وجوههم ، فلمّا دخلت ، وقصصت الرؤيا ، وتأمّلتهم ، وإذا في الجماعة واحد ممّن كنت لقيته بالرؤيا .

قال : فقامت عليّ القيامة ، فلما فرغت من حديث الرؤيا ، وأظهرت الإسلام على يد التركي ، وأمر لي بالجائزة ، وخرجت ، أتبعني ذلك القائد بغلامه .

فلما بعدت عن الدار ، قبض عليّ [١١٠] ، وحملني إلى منزل التركي الأول ، فقامت قيامتي ، وأحسست بالمكروه ، وبذلت للغلام جميع ما كان معي ، ليدعني أنصرف ، فلم يفعل .

وجاء التركي ، وهو منتش [1] ، فقال : « يابا ، حصلت تسخر بالأتراك واحد واحد ، وتأخذ دراهمهم » [2] ؟

قال : فقلقت فزعاً ، وقلت : يا سيدي ، أنا رجل صفعان ، فقير ، مكدّ ، وأنا فعلت هذا لآخذ شيئاً .

قال : فقال لي : أظننت أنّني أفضحك في بلدك ؟ ما كنت بالذي أفعل ، وقد جازت السخرية عليّ ، حتّى تجوز على الجماعة ، كما جازت عليّ ، ولكن أليس أنت ؟

قال : فطايبته ، وتصفّعت له ، فضحك منّي ، واستدعى بالنبيذ ،

---

١ المنتشي : السكران .

٢ جملة بغدادية عامية ، تعني : إنك قد أخذت تسخر بالأتراك واحداً بعد واحد ، وتأخذ أموالهم .

وشرب ، ولاعبته ، فاستخفّ روحي ، وحبسني عنده ، وخلع عليّ ، وأعطاني دراهم ، ودعا جماعة من قوّاد الأتراك وخرجت عليهم في زيّ الصفاعنة ، فعطعطوا عليّ ، وضحكوا .

فحدّثهم التركي ، بالحديث ، فضحكوا .

قال : فأخذت منهم ، على تلك الحال ، مالاً ثانياً جليلاً ، وانصرفت إلى بغداد وابتعت به عقاراً ، منه أعيش إلى الآن .

تمّ الجزو الثامن ويتلوه التاسع

والحمد لله رب العالمين

وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين [١١١]

بلغ مقابلة

صحح بقدر الطاقة

من الأصل المنقول منه

محتويات الكتاب

فهرس أسماء الأشخاص

أ

ب

ت

ث

ج

ح

خ

د

ر

ز

س

ش

ص

ط

ظ

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

ن

ه

و

ي

فهرس جغرافي

فهرس عمراني

ص

ض

ط

ظ

ع

ن

هـ

فهرس الكتب والمراجع

أحسن التقاسيم ، في معرفة الأقاليم : أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري — طبع ليدن ١٩٠٦

أدب الغرباء : الأصبهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين الأموي — تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد — طبع بيروت ١٩٧٢

الأعلاق النفيسة : ابن رسته — أبو علي أحمد بن عمر — طبع ليدن ١٨٩١

الأعلام : الزركلي ، خير الدين — الطبعة الثالثة

الأغاني : الأصبهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين الأموي — طبعة دار الكتب بالقاهرة ٢١ مجلداً

الألفاظ الفارسية المعربة : أدي شير — المطبعة الكاثوليكية — بيروت

الأنساب : السمعاني ، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي — نشر المستشرق د . س . مرجليوث — طبع لندن ١٩١٣

الأوراق : الصولي ، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله — أخبار الراضي والمتقي .

البصائر والذخائر : أبو حيان التوحيدي ، علي بن محمد بن العباس — تحقيق الدكتو إبراهيم الكيلاني — طبع دمشق

تاج العروس — قاموس : الزبيدي ، محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي — طبع دار صادر ببيروت

تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت — بيروت

تاريخ الحكماء : ابن القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف — تحقيق ليبرت — طبع ليبزك ١٩٠٣

تاريخ الرسل والملوك : الطبري ، الإمام أبو جعفر محمد بن جرير — طبع دار المعارف بمصر

تجارب الأمم : الجزء الأول ، للمدة ٢٩٥ — ٣٢٩ ، والجزء الثاني للمدة ٣٢٩ — ٣٦٩ ،

ابن مسكويه ، أبو علي أحمد بن محمد – تحقيق آمدروز – طبع مصر ١٩١٤
تجارب الأمم – الجزء السادس ، للمدة ١٩٨ – ٢٥١ : ابن مسكويه ، أبو علي أحمد بن محمد – ذيل على الجزء الثالث من كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، لمؤلف مجهول – تحقيق دي غويه ودي يونغ – طبع بريل ١٨٦٩
تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء : الصابي ، أبو الحسن هلال بن المحسن – تحقيق عبد الستار أحمد فراج – طبع البابي الحلبي بالقاهرة ١٩٥٨
تحفة النظار ، في غرائب الأمصار ، وعجائب الأسفار : ابن بطوطة ، أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي – القاهرة ١٩٣٤
تزيين الأسواق ، بتفصيل أشواق العشاق : الأنطاكي ، داود بن عمر ، الطبيب البصير – المطبعة الأزهرية بالقاهرة ١٣٠٢
التعريفات : الشريف الجرجاني ، علي بن محمد بن علي (٧٤٠ – ٨١٦) ، طبعة اصطنبول
تفسير الألفاظ الدخيلة ، في اللغة العربية ، مع ذكر أصلها بحروفه : طوبيا العنسي – دار العرب للبستاني بالقاهرة ١٩٦٥
جمع الجواهر ، في الملح والنوادر : الحصري ، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني – طبعة الخانجي .
جهات الخلفاء : ابن الساعي ، تاج الدين أبو طالب علي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله – تحقيق الدكتور مصطفى جواد .
حكاية أبي القاسم البغدادي : أبو المطهر الأزدي – تحقيق ونشر آدم متز – هيدابرج ١٩٠٢
خلاصة الذهب المسبوك ، المختصر من سير الملوك : عبد الرحمن سنبط قنيتو الإربلي – تحقيق السيد مكي السيد جاسم ١٩٦٤
دائرة المعارف الإسلامية – الترجمة العربية – ١٥ مجلداً ١٩٣٣
الديارات : الشابشتي ، أبو الحسن علي بن محمد – تحقيق كوركيس عواد – ط ٢ – بغداد ١٩٦٦
ديوان البحتري : البحتري ، أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي – تحقيق رشيد عطية – المطبعة الأدبية ببيروت ١٩١١

ديوان الصبابة : ابن أبي حجلة المغربي ، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد – حاشية على كتاب تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق – طبع المطبعة الأزهرية بالقاهرة سنة ١٣٠٢ .

ذيل تجارب الأمم ، للمدة ٣٦٩ – ٣٩٣ : الروذباري ، الوزير أبو شجاع ظهير الدين محمد بن الحسين

رسوم دار الخلافة : الصابي ، أبو الحسن وأبو الحسين هلال بن المحسّن – تحقيق ميخائيل عواد – طبع بغداد ١٩٤٦

زهر الربيع : الجزائري ، السيد نعمة الله بن عبد الله بن محمد بن حسين الحسيني الجزائري (١٠٥٠ – ١١١٢)

الزهرة : الظاهري ، أبو بكر محمد بن داود بن علي بن خلف .

شرح نهج البلاغة : عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله ابن أبي الحديد المدائني – ٢٠ مجلداً – طبعة الحلبي بالقاهرة .

شفاء الغليل ، فيما في كلام العرب من الدخيل : الخفاجي ، شهاب الدين أحمد ، مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٥

صلة الطبري : عريب بن سعيد القرطبي – المطبعة الحسينية – القاهرة .

الفخري ، في الآداب السلطانية ، والدول الإسلامية : ابن الطقطقا ، محمد بن علي بن طباطبا – طبع دار صادر – بيروت

الفرج بعد الشدة : التنوخي ، أبو علي المحسّن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود – الجزآن الأول والثاني – طبع دار الهلال بمصر ١٩٠٣ – ١٩٠٤

الفرج بعد الشدة : التنوخي ، أبو علي المحسّن بن عليّ – الجزء الأول – مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق

الفرج بعد الشدة : التنوخي ، أبو علي المحسّن بن عليّ – طبعة دار الطباعة المحمدية بالقاهرة سنة ١٩٥٥

الفرج بعد الشدة : التنوخي ، أبو علي المحسّن بن عليّ – مخطوطة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، جزآن اثنان .

الفرج بعد الشدة : التنوخي ، أبو عليّ المحسّن بن عليّ — المخطوطة المغربية — جزآن اثنان
فرج المهموم ، في مواقع النجوم : ابن طاووس ، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى
ابن جعفر بن محمد بن طاووس الحسني الحسيني — طبع النجف
الفصل في الملل والأهواء والنحل : ابن حزم — طبعة الخانجي ١٣٢١
فوات الوفيات : ابن شاكر الكتبي — طبع بولاق — مجلدان اثنان
الكامل في التاريخ : ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم
الجزري — عن طبعة المستشرق تورنبرغ — طبع دار صادر ببيروت ١٩٦٦ —
١٣ مجلداً
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : الحاج خليفة — طبعة اصطنبول — ٦ مجلدات
اللباب ، في تهذيب الأنساب : ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد — ٣ أجزاء —
طبع القاهرة ١٣٥٧
لسان العرب ، قاموس : ابن منظور المصري ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم
ابن علي بن أحمد الأنصاري — طبع دار صادر ببيروت .
لطائف المعارف : الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري —
تحقيق إبراهيم الأبياري وحسن كامل الصيرفي — طبعة الحلبي — القاهرة
مجلة المشرق — المجلد ٢٨ — بيروت
مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن—طبع بيروت١٠ ج ٥ م
مراصد الاطلاع ، على أسماء الأمكنة والبقاع : صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق
البغدادي — ٣ مجلدات — طبع مصر ١٩٥٤
مروج الذهب ، ومعادن الجوهر : المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسن بن علي — تحقيق
محيي الدين عبد الحميد — طبعة الشعب — القاهرة ١٩٦٦
المشترك وضعاً ، والمفترق صقعاً : الحموي ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي
الرومي البغدادي — طبع وستنفلد ١٨٦٤
مصارع العشاق : السراج ، أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين القارىء — دار صادر —
بيروت

مطالع البدور ، في منازل السرور : الغزولي ، علاء الدين ــ مطبعة الوطن ــ مصر ١٢٩٩
معجم الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي : زامباور ، المستشرق ــ جامعة فؤاد الأول ١٩٥١
معجم البلدان : الحموي ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي البغدادي ــ طبع وستنفلد ــ ٦ مجلدات مع الفهارس
معجم الحيوان : أمين المعلوف ــ طبع دار المقتطف ١٩٣٢
المعجم المفهرس ، لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي ــ مطبعة دار الكتب بالقاهرة ١٩٣٤
مفاتيح العلوم : الخوارزمي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب ــ المطبعة المنيرية ١٣٤٢
الملل والنحل : الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد ، هامش على كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لابن حزم ــ طبعة الخانجي ١٣٢١
المنتظم ، في تاريخ الملوك والأمم : ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ــ طبعة حيدر آباد الدكن ١٣٥٧
المنجد ، قاموس : الأب لويس معلوف ــ ط ١٩ ــ بيروت
نخبة الدهر ، في عجائب البر والبحر : شيخ الربوة ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الصوفي الدمشقي ــ طبع ليبزك ١٩٢٣
نشوار المحاضرة ، وأخبار المذاكرة : التنوخي ، أبو عليّ المحسّن بن عليّ ــ الأجزاء من ١ ــ ٧ ، تحقيق عبود الشالجي المحامي ــ طبع دار صادر ــ بيروت
نكت الهميان ، في نكت العميان : الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك ــ تحقيق أحمد زكي باشا ــ طبع مصر ١٩١١
هدية العارفين ــ أسماء المولفين ، وآثار المصنفين : إسماعيل باشا البغدادي ــ طبع اصطنبول ١٩٥٥
الهفوات النادرة : غرس النعمة ، أبو الحسن محمد بن هلال الصابي ــ تحقيق الدكتور صالح الأشتر ــ دمشق ١٩٦٧

الوافي بالوفيات : الصفدي ـ صلاح الدين أيبك ـ الأجزاء ١ ـ ٧ ـ طبع على مطابع دار صادر ـ بيروت
وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان : ابن خلكان ، القاضي شمس الدين أحمد ـ تحقيق الدكتور إحسان عباس ـ طبع دار صادر ـ بيروت ـ ٨ مجلدات مع الفهارس
يتيمة الدهر ، في محاسن أهل العصر : الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ القاهرة ١٩٥٦

رموز

= : راجع

م : مقدمة المؤلف

الأرقام المطبوعة بحروف سوداء تشير إلى التراجم

الأرقام المثبتة في العمود الأيمن : للصفحات ، والأرقام التالية لها : للقصص .

استدراكات

الجزء الثالث

الصحيفة	السطر	القصة	
١٥٦	حاشية ٢	١٠٨/٣	اقرأ : هشام بن الوليد بن عبد الملك بدلا من : هشام بن عبد الملك .

الجزء السادس

الصحيفة	السطر	القصة	
٨٨	٩	٥١/٦	اقرأ : الله ، الله في دمي بدلا من : من دمي .
١١٧	٣	٧١/٦	اقرأ : الحكيمي بدلا من : الحكمي .
١١٧	حاشية ٣	٧١/٦	اقرأ : الحكيمي بدلا من : الحكمي .

الفهارس

بعونه تعالى

تم طبع الجزء الثامن من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار
المذاكرة يوم الاثنين الثالث من شهر أيلول ١٩٧٣
على مطابع دار صادر في بيروت

DAR SADER Publishers
P.O.Box 10 - BEIRUT

THE TABLE-TALK OF A MESOPOTAMIAN JUDGE

BEING THE EIGHTH PART OF THE

NISHWĀR AL-MUHĀDARAH

OF

ABU 'ALĪ AL-MUHASSIN AL-TANŪKHĪ

Vol. VIII

EDITED BY

ABOOD SHALCHY

LAWYER

DAR SADER

BEIRUT